الجزء الاول (محمد المصطفى «ص»)

فهرس إجمالي‏

الباب الأوّل:

المدخل: المنهج القرآني في عرض و دراسة التاريخ و السيرة 17

الفصل الأوّل: النبي الخاتم (صلّى اللّه عليه و اله) في سطور 25

الفصل الثاني: سنّة البشارة على مدى العصور 31

الفصل الثالث: مظاهر من شخصية خاتم النبيين (صلّى اللّه عليه و اله) 39

الباب الثاني:

الفصل الأوّل: الولادة و النشأة 51

الفصل الثاني: دور الفتوة و الشباب 61

الفصل الثالث: من الزواج الى البعثة 67

الباب الثالث:

الفصل الأول: البعثة النبوية المباركة و إرهاصاتها 77

الفصل الثاني: مراحل حركة الرسالة في العصر المكي 87

الفصل الثالث: موقف بني هاشم من النبي (صلّى اللّه عليه و اله) 93

الفصل الرابع: سنوات ما قبل الهجرة 107

الباب الرابع:

الفصل الأول: تأسيس الدولة النبوية المباركة 119

الفصل الثاني: الدفاع عن كيان الدولة الفتيّة 131

الفصل الثالث: تظاهر قوى الشرك و الرد الإلهي الحاسم 153

الباب الخامس:

الفصل الأوّل: مرحلة الفتح 161

الفصل الثاني: الاسلام خارج الجزيرة 173

الفصل الثالث: تصفية الوجود الوثني خارج الجزيرة 193

الفصل الرابع: أيّام الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) الأخيرة 205

الفصل الخامس: من معالم الرسالة الخالدة 211

الفصل السادس: تراث خاتم المرسلين (صلّى اللّه عليه و اله) 217

ص:7

[مقدمة المجمع‏]

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم‏

الحمد للّه الذي أعطى كلّ شي‏ء خلقه ثم هدى، ثم الصلاة و السلام على من اختارهم هداة لعباده، لا سيما خاتم الأنبياء و سيّد الرسل و الأصفياء أبو القاسم المصطفى محمد (صلّى اللّه عليه و اله) و على آله الميامين النجباء.

لقد خلق اللّه الانسان و زوّده بعنصري العقل و الإرادة، فبالعقل يبصر و يكتشف الحقّ و يميّزه عن الباطل، و بالإرادة يختار ما يراه صالحا له و محقّقا لأغراضه و أهدافه.

و قد جعل اللّه العقل المميّز حجة له على خلقه، و أعانه بما أفاض على العقول من معين هدايته؛ فإنّه هو الذي علّم الإنسان ما لم يعلم، و أرشده إلى طريق كماله اللائق به، و عرّفه الغاية التي خلقه من أجلها، و جاء به إلى هذه الحياة الدنيا من أجل تحقيقها.

و أوضح القرآن الحكيم بنصوصه الصريحة معالم الهداية الربّانية و آفاقها و مستلزماتها و طرقها، كما بيّن لنا عللها و أسبابها من جهة، و أسفر عن ثمارها و نتائجها من جهة اخرى.

قال تعالى:

ص:8=PAGEص:

قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدى‏ [الانعام (6): 71].

وَ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى‏ صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ‏ [البقرة (2): 213].

وَ اللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ‏ [الاحزاب (33): 4].

وَ مَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلى‏ صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ‏ [آل عمران (3): 101].

قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَ فَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدى‏ فَما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ‏ [يونس (10): 35].

وَ يَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَ يَهْدِي إِلى‏ صِراطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ [سبأ (34): 6].

وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَواهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللَّهِ‏ [القصص (28): 50].

فاللّه تعالى هو مصدر الهداية. و هدايته هي الهداية الحقيقية، و هو الذي يأخذ بيد الانسان إلى الصراط المستقيم و إلى الحقّ القويم.

و هذه الحقائق يؤيدها العلم و يدركها العلماء و يخضعون لها بمل‏ء وجودهم.

و لقد أودع اللّه في فطرة الانسان النزوع إلى الكمال و الجمال ثمّ منّ عليه بإرشاده إلى الكمال اللائق به، و أسبغ عليه نعمة التعرّف على طريق الكمال، و من هنا قال تعالى: وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ‏ [الذاريات (51): 56]. و حيث لا تتحقّق العبادة الحقيقية من دون المعرفة، كانت المعرفة و العبادة طريقا منحصرا و هدفا و غاية موصلة إلى قمّة الكمال.

و بعد أن زوّد اللّه الانسان بطاقتي الغضب و الشهوة ليحقّق له وقود الحركة نحو الكمال؛ لم يؤمن عليه من سيطرة الغضب و الشهوة؛ و الهوى الناشئ منهما، و الملازم لهما فمن هنا احتاج الانسان- بالإضافة إلى عقله و سائر أدوات المعرفة- ما يضمن له سلامة البصيرة و الرؤية؛ كي تتمّ عليه الحجّة، و تكمل نعمة الهداية،

ص:9=PAGEص:

و تتوفّر لديه كلّ الأسباب التي تجعله يختار طريق الخير و السعادة، أو طريق الشرّ و الشقاء بمل‏ء إرادته.

و من هنا اقتضت سنّة الهداية الربّانية أن يسند عقل الانسان عن طريق الوحي الإلهي، و من خلال الهداة الذين اختارهم اللّه لتولّي مسؤولية هداية العباد و ذلك عن طريق توفير تفاصيل المعرفة و إعطاء الارشادات اللازمة لكلّ مرافق الحياة.

و قد حمل الأنبياء و أوصياؤهم مشعل الهداية الربّانية منذ فجر التاريخ و على مدى العصور و القرون، و لم يترك اللّه عباده مهملين دون حجة هادية و علم مرشد و نور مضي‏ء، كما أفصحت نصوص الوحي- مؤيّدة لدلائل العقل- بأنّ الأرض لا تخلو من حجة للّه على خلقه، لئلّا يكون للناس على اللّه حجّة، فالحجّة قبل الخلق و مع الخلق و بعد الخلق، و لو لم يبق في الأرض إلّا اثنان لكان أحدهما الحجّة، و صرّح القرآن- بشكل لا يقبل الريب- قائلا: إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ [الرعد (13): 7].

و يتولّى أنبياء اللّه و رسله و أوصياؤهم الهداة المهديّون مهمّة الهداية بجميع مراتبها، و التي تتلخّص في:

1- تلقّي الوحي بشكل كامل و استيعاب الرسالة الإلهية بصورة دقيقة. و هذه المرحلة تتطلّب الاستعداد التام لتلقّي الرسالة، و من هنا يكون الاصطفاء الإلهي لرسله شأنا من شؤونه، كما أفصح بذلك الذكر الحكيم قائلا: اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ‏ [الانعام (6): 124] و اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشاءُ [آل عمران (3): 179].

2- إبلاغ الرسالة الإلهية الى البشرية و لمن ارسلوا إليه، و يتوّقف الإبلاغ على الكفاءة التامّة التي تتمثّل في «الاستيعاب و الإحاطة اللازمة» بتفاصيل‏

ص:10=PAGEص:

الرسالة و أهدافها و متطلّباتها، و «العصمة» عن الخطأ و الانحراف معا، قال تعالى:

كانَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ‏ [البقرة (2): 213].

3- تكوين امة مؤمنة بالرسالة الإلهية، و إعدادها لدعم القيادة الهادية من أجل تحقيق أهدافها و تطبيق قوانينها في الحياة، و قد صرّحت آيات الذكر الحكيم بهذه المهمّة مستخدمة عنواني التزكية و التعليم، قال تعالى: يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ [الجمعة (62): 2] و التزكية هي التربية باتجاه الكمال اللائق بالإنسان. و تتطلّب التربية القدوة الصالحة التي تتمتّع بكلّ عناصر الكمال، كما قال تعالى: لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ [الاحزاب (33): 21].

4- صيانة الرسالة من الزيغ و التحريف و الضياع في الفترة المقرّرة لها، و هذه المهمة أيضا تتطلّب الكفاءة العلمية و النفسية، و التي تسمّى بالعصمة.

5- العمل لتحقيق أهداف الرسالة المعنوية و تثبيت القيم الأخلاقية في نفوس الأفراد و أركان المجتمعات البشرية و ذلك بتنفيذ الاطروحة الربّانية، و تطبيق قوانين الدين الحنيف على المجتمع البشري من خلال تأسيس كيان سياسيّ يتولّى إدارة شؤون الامة على أساس الرسالة الربّانية للبشرية، و يتطلّب التنفيذ قيادة حكيمة، و شجاعة فائقة، و صمودا كبيرا، و معرفة تامة بالنفوس و بطبقات المجتمع و التيارات الفكرية و السياسية و الاجتماعية و قوانين الإدارة و التربية و سنن الحياة، و نلخّصها في الكفاءة العلمية لإدارة دولة عالمية دينية، هذا فضلا عن العصمة التي تعبّر عن الكفاءة النفسية التي تصون القيادة الدينية من كلّ سلوك منحرف أو عمل خاطئ بإمكانه أن يؤثّر تأثيرا سلبيّا على مسيرة القيادة و انقياد الامة لها بحيث يتنافى مع أهداف الرسالة و أغراضها.

ص:11=PAGEص:

و قد سلك الأنبياء السابقون و أوصياؤهم المصطفون طريق الهداية الدامي، و اقتحموا سبيل التربية الشاقّ، و تحمّلوا في سبيل أداء المهامّ الرسالية كلّ صعب، و قدّموا في سبيل تحقيق أهداف الرسالات الإلهية كلّ ما يمكن أن يقدّمه الإنسان المتفاني في مبدئه و عقيدته، و لم يتراجعوا لحظة، و لم يتلكّأوا طرفة عين.

و قد توّج اللّه جهودهم و جهادهم المستمرّ على مدى العصور برسالة خاتم الأنبياء محمد بن عبد اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) و حمّله الأمانة الكبرى و مسؤولية الهداية بجميع مراتبها، طالبا منه تحقيق أهدافها. و قد خطا الرسول الأعظم (صلّى اللّه عليه و اله) في هذا الطريق الوعر خطوات مدهشة، و حقّق في أقصر فترة زمنية أكبر نتاج ممكن في حساب الدعوات التغييرية و الرسالات الثورية، و كانت حصيلة جهاده و كدحه ليل نهار خلال عقدين من الزمن ما يلي:

1- تقديم رسالة كاملة للبشرية تحتوي على عناصر الديمومة و البقاء.

2- تزويدها بعناصر تصونها من الزيغ و الانحراف.

3- تكوين امة مسلمة تؤمن بالإسلام مبدأ، و بالرسول قائدا، و بالشريعة قانونا للحياة.

4- تأسيس دولة إسلامية و كيان سياسيّ يحمل لواء الإسلام و يطبّق شريعة السماء.

5- تقديم الوجه المشرق للقيادة الربّانية الحكيمة المتمثّلة في قيادته (صلّى اللّه عليه و اله).

و لتحقيق أهداف الرسالة بشكل كامل كان من الضروري:

أ- أن تستمرّ القيادة الكفوءة في تطبيق الرسالة و صيانتها من أيدي العابثين الذين يتربّصون بها الدوائر.

ص:12=PAGEص:

ب- أن تستمرّ عملية التربية الصحيحة باستمرار الأجيال؛ على يد مربّ كفوء علميا و نفسيا حيث يكون قدوة حسنة في الخلق و السلوك كالرسول (صلّى اللّه عليه و اله)، يستوعب الرسالة و يجسّدها في كل حركاته و سكناته.

و من هنا كان التخطيط الإلهيّ يحتّم على الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) إعداد الصفوة من أهل بيته، و التصريح بأسمائهم و أدوارهم؛ لتسلّم مقاليد الحركة النبويّة العظيمة و الهداية الربّانية الخالدة بأمر من اللّه سبحانه و صيانة للرسالة الإلهية التي كتب اللّه لها الخلود من تحريف الجاهلين و كيد الخائنين، و تربية للأجيال على قيم و مفاهيم الشريعة المباركة التي تولّوا تبيين معالمها و كشف أسرارها و ذخائرها على مرّ العصور، و حتى يرث اللّه الأرض و من عليها.

و تجلّى هذا التخطيط الربّاني في ما نصّ عليه الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) بقوله: «إنّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا، كتاب اللّه و عترتي، و إنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض».

و كان أئمة أهل البيت صلوات اللّه عليهم خير من عرّفهم النبي الأكرم (صلّى اللّه عليه و اله) بأمر من اللّه تعالى لقيادة الامّة من بعده.

إنّ سيرة الأئمّة الاثني عشر من أهل البيت عليهم السّلام تمثّل المسيرة الواقعية للاسلام بعد عصر الرسول (صلّى اللّه عليه و اله)، و دراسة حياتهم بشكل مستوعب تكشف لنا عن صورة مستوعبة لحركة الاسلام الأصيل الذي أخذ يشقّ طريقه إلى أعماق الامة بعد أن أخذت طاقتها الحرارية تتضاءل بعد وفاة الرسول (صلّى اللّه عليه و اله)، فأخذ الأئمة المعصومون (عليهم السّلام) يعملون على توعية الامة و تحريك طاقتها باتجاه إيجاد و تصعيد الوعي الرساليّ للشريعة و لحركة الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) و ثورته المباركة، غير خارجين عن مسار السنن الكونية التي تتحكّم في سلوك القيادة و الامة جمعاء.

ص:13=PAGEص:

و تبلورت حياة الأئمّة الراشدين في استمرارهم على نهج الرسول العظيم و انفتاح الامة عليهم و التفاعل معهم كأعلام للهداية و مصابيح لإنارة الدرب للسالكين المؤمنين بقيادتهم، فكانوا هم الأدلّاء على اللّه و على مرضاته، و المستقرّين في أمر اللّه، و التامّين في محبّته، و الذائبين في الشوق اليه، و السابقين إلى تسلّق قمم الكمال الإنسانيّ المنشود.

و قد حفلت حياتهم بأنواع الجهاد و الصبر على طاعة اللّه و تحمّل جفاء أهل الجفاء حتّى ضربوا أعلى أمثلة الصمود لتنفيذ أحكام اللّه تعالى، ثم اختاروا الشهادة مع العزّ على الحياة مع الذلّ، حتى فازوا بلقاء اللّه سبحانه بعد كفاح عظيم و جهاد كبير.

و لا يستطيع المؤرّخون و الكتّاب أن يلمّوا بجميع زوايا حياتهم العطرة و يدّعوا دراستها بشكل كامل، و من هنا فإنّ محاولتنا هذه إنّما هي إعطاء قبسات من حياتهم، و لقطات من سيرتهم و سلوكهم و مواقفهم التي دوّنها المؤرّخون و استطعنا اكتشافها من خلال مصادر الدراسة و التحقيق، عسى اللّه أن ينفع بها إنّه وليّ التوفيق.

إنّ دراستنا لحركة أهل البيت (عليهم السّلام) الرسالية تبدء برسول الإسلام و خاتم الأنبياء محمد بن عبد اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) و تنتهي بخاتم الأوصياء، محمد بن الحسن العسكري المهدي المنتظر عجّل اللّه تعالى فرجه و أنار الأرض بعدله.

و يختص هذا الكتاب بدراسة حياة الرسول المصطفى محمد بن عبد اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) الذي جسّد الإسلام بكل أبعاده، في جميع مرافق حياته: الفردية و الاجتماعية، و في ظروف اجتماعية و سياسية عصيبة فأرسى قواعد القيم الإسلامية المثلى في واقع الفكر و العقيدة و في افق الخلق و السلوك و أصبح نبراسا

ص:14=PAGEص:

- على مدى العصور- يشعّ بالإيمان و الطهر و البهاء للعالمين.

و لا بدّ لنا من تقديم الشكر الى كلّ الاخوة الأعزّاء الذين بذلوا جهدا وافرا و شاركوا في إنجاز هذا المشروع المبارك و إخراجه إلى عالم النور، لا سيما أعضاء لجنة التأليف بإشراف سماحة السيد منذر الحكيم حفظه اللّه تعالى.

و لا يسعنا إلّا أن نبتهل الى اللّه تعالى بالدعاء و الشكر لتوفيقه على إنجاز هذه الموسوعة المباركة فإنه حسبنا و نعم النصير.

المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السّلام قم المقدسة

ص:15=PAGEص:

الباب الأوّل فيه فصول:

المدخل:

المنهج القرآني في عرض و دراسة التاريخ و السيرة الفصل الأول:

النبيّ الخاتم (صلّى اللّه عليه و اله) في سطور الفصل الثاني:

سنّة البشارة على مدى العصور الفصل الثالث:

مظاهر من شخصية خاتم النبيين (صلّى اللّه عليه و اله)

ص:17=PAGEص:

المدخل: المنهج القرآني في عرض و دراسة التأريخ و السيرة

للقرآن الكريم عناية فائقة بسيرة الانبياء الهداة و له نهج خاص في عرض سيرتهم صلوات اللّه عليهم أجمعين.

و المنهج القرآني يقوم على مجموعة من الاسس و الاصول العلمية في كيفية عرضه لسيرة الهداة المصطفين.

إنّ القرآن الكريم ينطلق من عنصر الهداية و هو عنصر ترشيد حركة الانسان نحو الكمال اللائق به فيختار أهدافا واقعية لمجموعة من الحوادث التاريخية التي تشكّل منعطفا مهمّا في حياة الأفراد و الامم و تكون مفتاحا للدخول الى ابواب واسعة من العلوم و المعارف التي تخدم حركة الانسان التكاملية.

و القرآن الكريم يوظّف شتى الأدوات للوصول الى تلك الأهداف المثلى.

فهو يخاطب العقل و العقلاء و يفتح أمام الفكر الإنساني آفاقا جديدة حيث يقول:

1- فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ‏[[1]](#footnote-1).

ص:18=PAGEص:

2- لَقَدْ كانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبابِ‏[[2]](#footnote-2).

ف (التفكر) و (الاعتبار) في حوادث التأريخ و السيرة (تاريخ الامم و سيرة القادة الهداة) يشكّلان هدفين أساسيّين في المنهج القرآني في مجال للتاريخ.

و لا تقتصر الأهداف على هذين بل تتعدّاهما الى أهداف رسالية اخرى تتجلى في قوله تعالى:

ما كانَ حَدِيثاً يُفْتَرى‏ وَ لكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ تَفْصِيلَ كُلِّ شَيْ‏ءٍ وَ هُدىً وَ رَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ‏[[3]](#footnote-3).

و في قوله تعالى: وَ كُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْباءِ الرُّسُلِ ما نُثَبِّتُ بِهِ فُؤادَكَ وَ جاءَكَ فِي هذِهِ الْحَقُّ وَ مَوْعِظَةٌ وَ ذِكْرى‏ لِلْمُؤْمِنِينَ‏[[4]](#footnote-4).

حيث تضمّنت كلّ آية أربعة أهداف رسالية لاستعراض أنباء المرسلين و التحدّث عن قصصهم.

و يعتمد القرآن الكريم في منهجه التاريخي الذي يتفرّد به على الاصول التالية:

1- الحق.

2- العلم.

3- المعاصرة للأحداث.

4- الاحاطة بها.

فلا يدع مجالا للريب و الافتراء فيما يحدّث عنه و يقصّه و يستعرضه من ظواهر تأريخية و حوادث اجتماعية سابقة أو معاصرة للتنزيل. ما دام يعتمد الحق‏

ص:19=PAGEص:

و العلم دون الخرافة و الخيال.

و قد أكّد هذين الأصلين بقوله تعالى: إِنَّ هذا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ...[[5]](#footnote-5) و بقوله أيضا في مطلع سورة الاعراف: فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَ ما كُنَّا غائِبِينَ‏[[6]](#footnote-6) و فيه تصريح بعنصر المعاصرة للأحداث التي يقوم بعرضها.

و للقرآن الكريم بعد ذلك كله منهج علمي في التحليل و الاستنتاج الى جانب اعتماده على الاستقراء تارة و على الاستدلال تارة اخرى.

و حين يستعرض القرآن حياة الرسل بشكل عام يذكر خطوطا عريضة تجعلهم في صف واحد و خندق واحد و خط واحد هو خط الاسلام العام، كما قال تعالى: إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ‏[[7]](#footnote-7).

ثم إنه يغور في أعماق سيرة كل واحد من اولي العزم من الرسل ليحيط المتلقي بأهم مفاصل سيرتهم و زواياها و ليربط بينها و بين ما سبقها و ما يلحقها من حوادث تتعلق بالخط الرسالي المستمر باستمرار الحياة.

إنّ من طبيعة البحث التاريخي أن تناله يد التحريف و قد يغطيه الإبهام و الغموض و قد تستره سحب داكنة ريثما تتكشف الحقيقة بالتدريج و ينمو الانكشاف حتى يبلغ حدّا لا يستسيغ المجتمع الانساني التغافل عنه و تجاوز الحقائق فيه.

و تشير الآية المباركة (111) من سورة يوسف الى إمكان الافتراء و التلاعب بحقائق التاريخ أو المبالغة و البحث عن غير علم و سدل الستار على الحق الذي لا بدّ أن يظهر في ظرف ما.

ص:20=PAGEص:

و من هنا؛ كان على المدرسة القرآنية أن تسلّح الباحث عن الحقيقة بسلاح موضوعي قادر على اكتشاف الحقيقة بشكل كامل.

لقد طرح القرآن الكريم نظرية الثوابت التي لا يمكن للفكر الانساني أن يتجاوزها في حال من الاحوال و سمّاها بالمحكمات و ام الكتاب. و هي الحقائق الثابتة و البينة للفكر الانساني، و هي لا تقبل الريب أو الترديد أو التشكيك بحال من الاحوال.

و الثوابت دائما تشكّل الخطوط العريضة و المعالم الاساسية للفكر الانساني الذي يستوعب ما لا يستوعبه عالم المادة، و لكنه لا يستسيغ أن يقف مكتوف اليدين أمام المبهمات و ما يختلف فيه أبناء آدم (عليه السّلام).

و يسوق القرآن الكريم للقارئ الواعي موقفين و اسلوبين من التعامل مع المبهمات أو ما يختلف فيه بنو آدم، و يحاكم هذين الاسلوبين ليخرج الى نتيجة بيّنة تصبح معيارا و تقدم قاعدة عامة للتعامل مع كل خبر يرد على الفكر الانساني.

و يعود كل نوع من أنواع التعامل الى جذور نفسية واضحة تنسحب على نوع التعامل و تنعكس في اسلوب المواجهة مع كل حديث ينقل الى الانسان و يراد من الفكر الانساني أن يتخذ منه الموقف المناسب و الجدير به.

قال تعالى بعد أن أشار الى أن القرآن هو الفرقان الذي نزله اللّه على رسوله الامين:

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَ ابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا وَ ما يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبابِ\* رَبَّنا

ص:21=PAGEص:

لا تُزِغْ قُلُوبَنا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا وَ هَبْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ‏[[8]](#footnote-8).

إن سلامة النفس من الزيغ تحول بين الانسان و بين ابتغاء الفتنة. و من هنا يتوقف الانسان الذي يتحرّى الحقيقة عن اتّباع المتشابه من الآيات، بل يرجع الأمر الى ربه.

فالعقل يقف حائلا بينه و بين أي تفسير غير علمي أو غير مستند الى دليل صحيح و حقائق ثابتة، بل العقل هو الذي يرشده الى الركون الى المحكمات و الالتزام بأم الكتاب حيث يشكّل ذلك الاطار العام و الخطوط الثابتة التي لا يمكن تجاوزها بحال من الاحوال، و حينئذ من الطبيعي أن نلاحظ الآيات الاخرى في ظل هذه الثوابت و هذه المعالم التي لا يمكن تجاوزها.

و هنا تتفتح آفاق النفس لآفاق الفكر لتتأمل فيما لا يكون صريحا أو واضحا في بداية الامر، و بهذا سوف يضمن العاقل الذى آمن بربّه عدم الزيغ و عدم التسرّع في تفسير و تحليل ما يشاهده من الآيات المتشابهة، بل يقف منها موقف اللبيب الحكيم، و إن لم يفلح في اكتشاف الحقيقة فإنه لا ينكرها و لا يستنكرها، و إنّما يرجع الامر الى مصدره و يوكل الامر الى ربه الذي نزّل الآيات هذه و يستفهم منه ما يبتغيه، طالبا منه استمرار الهداية و نزول الرحمة.

إنه الموقف السليم الذي يمثل النضج و التعامل المنطقي مع النصوص إذ لا يتسرع العاقل في التوجيه و التحليل.

و من هنا: قد نفهم الوجه في قوله تعالى في مطلع سورة هود: الر\* كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ[[9]](#footnote-9) فإن التفصيل إنما يكون بعد الإحكام و بعد أن تتعين الآيات التي هي ام الكتاب، و التي تعدّ هي الاسس و الخطوط الثابتة

ص:22=PAGEص:

كما أفصحت بذلك الآية السابعة من سورة آل عمران‏ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ‏[[10]](#footnote-10).

و الآية (39) من سورة الرعد تلقي بظلالها على هذه النقطة أيضا إذ تقول:

يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ‏ فإن ما لا يتعرض للمحو و التغيير هو أم الكتاب. و ما دونه قد يتعرض للمحو و التغيير تبعا لاختلاف الظروف و الحالات و الطوارى‏ء.

و تكفي هذه الآيات لرسم المنهج العام الذي يسير عليه القرآن الكريم في تعامله مع وقائع التاريخ، فإن الاختلاف في التفاصيل لا يسمح لنا بإنكار الأصل و التغافل عنه و إدانة ما ثبت لدينا و تحققنا من وجوده.

و في ضوء هذا يمكن تقويم كل ما ورد في كتب السيرة النبوية أو التاريخ الاسلامي أو تأريخ ما قبل الاسلام مما يرتبط بالانبياء و اممهم؛ فإنّ الثوابت التأريخية هي محطّات الإشعاع و هي المحكمات التي لا يمكن تجاوزها بحال من الاحوال و اليها نحتكم في تفسير أو قبول أو ردّ ما أثبتته كتب التأريخ من نصوص تحتوي على الصحيح و الخطأ.

إذن؛ حقل التاريخ- و هو حقل اختلاط الحقائق بالأباطيل- يتطلب منا استعمال أدوات تسعفنا لكشف تمام الحقيقة الثابتة.

و ثوابت التاريخ- التي أيّدتها محكمات العقل و النقل- هي المنطلق لأي تفسير أو تأويل أو محاكمة أو إدانة.

و قد طبّق القرآن الكريم هذا المنهج على سيرة الأنبياء و اممهم بالذات حينما رسم لنا صورة واضحة يشترك فيها كل الأنبياء و اعتبر النبوّة و الاصطفاء

ص:23=PAGEص:

ناشئين من مواصفات أساسية في شخصية كل نبيّ، أهّلته لأن يختاره اللّه نبيّا لهداية الخلق على يديه، و هذه المواصفات هي: اكتمال العقل و الوعي و الصلاح و الصبر و العبودية التامّة للّه القائمة على الوعي و البصيرة، قال تعالى مخاطبا نبيّه: قُلْ إِنِّي عَلى‏ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي ...[[11]](#footnote-11)، كما قاله له: قُلْ هذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلى‏ بَصِيرَةٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِي ...[[12]](#footnote-12).

هذا هو المنطق القرآني الذي يمثّل الإحكام و الثبات ... فكيف يبعث اللّه نبيّا لا يعي و لا يدرك أنه مبعوث أو مرسل من ربه و لا يطمئن الى ما يراه من آيات ربه إلّا أن يطمئنه الآخرون؟! فلا يعقل أن يبعث و يهيّأ للنبوة و هو لا يعلم أنه نبي و مبعوث من اللّه الى الخلق، أو يتردد أو يشك في مهمّته، فضلا عن تصوّره أنه يستلهم الحقيقة ممّن يراد منه هدايته. قال تعالى مشيرا الى هذه الحقيقة:

... أَ فَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدى‏ فَما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ‏[[13]](#footnote-13).

إن الصورة الواضحة التى يرسمها القرآن الكريم عن شخصية أنبياء اللّه و التي تؤيّدها محكمات العقل هي التي تصبح موئلا و مرجعا محكما و ثابتا لمحاكمة كل صورة تسرّبت من التوراة و الانجيل أو جاءت فيما سمّي بالصحاح أو عامّة كتب التاريخ التي وردت فيها بعض القصص عن أنبياء اللّه، سواء كان ذلك النبي هو إبراهيم (عليه السّلام) أو موسى (عليه السّلام) أو عيسى (عليه السّلام) أو محمد (صلّى اللّه عليه و اله)، و سواء كان الناقل لهذه الصورة بعض امّهات المؤمنين أو بعض الصحابة أو من يمتّ الى الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) بصلة من قريب أو بعيد.

ص:25=PAGEص:

الفصل الأوّل النبيّ الخاتم (صلّى اللّه عليه و اله) في سطور

ولد خاتم النبيين و سيّد المرسلين محمّد بن عبد اللّه بن عبد المطّلب (صلّى اللّه عليه و اله) في السابع عشر من شهر ربيع الأول من عام الفيل بعد أن فقد أباه، ثم استرضع في بني سعد، و ردّ الى امّه و هو في الرابعة أو الخامسة من عمره. و قد توفّيت امّه حين بلغ السادسة من عمره فكفله جدّه و اختص به و بقي معه سنتين ثمّ ودّع الحياة بعد أن أوكل أمر رعايته الى عمّه الحنون أبي طالب حيث بقي مع عمّه الى حين زواجه.

و سافر مع عمّه الى الشام و هو في الثانية عشرة من عمره و التقى ببحيرا الراهب في الطريق فعرفه بحيرى و حذّر أبا طالب من التفريط به و كشف له عن تربص اليهود به الدوائر.

و حضر النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) حلف الفضول بعد العشرين من عمره و كان يفتخر بذلك فيما بعد، و سافر الى الشام مضاربا بأموال خديجة و تزوجها و هو في الخامسة و العشرين و في ريعان شبابه، بعد أن كان قد عرف بالصادق الأمين، و قد ارتضته القبائل المتنازعة لنصب الحجر الأسود لحل نزاعها فأبدى حنكة و ابداعا رائعا أرضى به جميع المتنازعين.

و بعث و هو في الأربعين و أخذ يدعو الى اللّه و هو على بصيرة من أمره‏

ص:26=PAGEص:

و يجمع الاتباع و الأنصار من المؤمنين السابقين.

و بعد مضي ثلاث أو خمس سنوات من بداية الدعوة الى اللّه، أمره اللّه بإنذار عشيرته الأقربين ثم أمره بأن يصدع بالرسالة و يدعو إلى الإسلام علانية ليدخل من أحبّ الإسلام في سلك المسلمين و المؤمنين.

و من ذلك الحين أخذت قريش تزرع الموانع أمام حركة الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) و تحاول أن تمنع من انتشار الرسالة صادّة بذلك عن سبيل اللّه. و عمل النبي (صلّى اللّه عليه و اله) الى فتح نافذة جديدة للدعوة خارج مكة فارسل عدّة مجاميع من المسلمين الى الحبشة بعد أن حظوا باستقبال ملكها (النجاشي) و ترحيبه بقدومهم فاستقروا فيها بقيادة جعفر بن أبي طالب و لم يتركها جعفر الّا في السنة السابعة بعد الهجرة.

و لم تفلح قريش في تأليب النجاشي على المسلمين، فبدأت بخطّة جديدة تمثّلت في فرض الحصار الاقتصادي و الاجتماعي و السياسي و الذي استمرّ لمدة ثلاث سنوات- فلمّا أيست من إخضاع النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) و أبي طالب و سائر بني هاشم لأغراضها فكّت الحصار و لكن النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) و عشيرته بعد أن خرجوا من الحصار منتصرين امتحنوا بوفاة أبي طالب و خديجة- سلام اللّه عليهما- في السنة العاشرة من البعثة و كان وقع الحادثين ثقيلا على النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) لأنّه فقد بذلك أقوى ناصرين في عام واحد.

و هنا رجّح بعض المؤرّخين تحقق حادثة الاسراء و المعراج و النبيّ في أوج هذا الحزن و الضغط النفسي على النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) و هو يرى صدود قريش و وقوفها بكل ثقلها أمام رسالته ففتح اللّه له آفاق المستقبل بما أراه من آياته الكبرى فكانت بركات (المعراج) عظيمة للنبي و للمؤمنين جميعا.

و هاجر الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) الى الطائف ليبحث عن قاعدة جديدة و لكنه لم يكسب فتحا جديدا من هذه البلدة المجاورة لمكة و المتأثرة بأجوائها، فرجع الى‏

ص:27=PAGEص:

مكة بعد أن اختار جوار مطعم بن عدي فدخلها، و بدأ نشاطا جديدا لنشر الرسالة و في مواسم الحج حيث أخذ يعرض نفسه على القبائل القاصدة للبيت الحرام لأداء مناسك الحج و للاتجار في سوق عكاظ ففتح اللّه له أبواب النصر بعد التقائه بأهل يثرب، و استمرّت دعوته الى اللّه و انتشر الاسلام في يثرب حتى قرّر الهجرة اليها بنفسه بعد أن أخبره اللّه تعالى بكيد قريش حين أجمعت بطونها على قتله و التخلّص منه نهائيّا، فأمر عليّا (عليه السّلام) بالمبيت في فراشه و هاجر هو الى يثرب بكل حيطة و حذر، و دخلها و أهل يثرب على أتمّ الاستعداد لاستقباله، فوصل (قبا) في غرّة ربيع الأول و أصبحت هجرته المباركة مبدأ للتأريخ الاسلامي بأمر منه (صلّى اللّه عليه و اله).

و أسّس النبيّ الخاتم (صلّى اللّه عليه و اله) أوّل دولة اسلامية فأرسى قواعدها طيلة السنة الاولى بعد الهجرة بدءا بكسر الأصنام و بناء المسجد النبوي الذي أعدّه مركزا لنشاطه و دعوته و حكومته و بالمؤاخاة بين المهاجرين و الأنصار ليقيم بذلك قاعدة شعبية صلبة يقوم عليها بناء الدولة الجديدة، هذا مضافا إلى كتابة الصحيفة التي نظم فيها علاقة القبائل بعضها مع بعض و المعاهدة التي أمضاها مع بطون اليهود حيث كانت تشتمل على الخطوط العامة لأوّل نظام إداري و حكومي إسلامي.

و لقد واجهت الدولة الإسلامية الفتية و كذا الدعوة الإسلامية مواجهة شرسة من جانب قريش التي عزمت على اكتساح الدعوة و الدولة الإسلاميتين فشنّت الحرب بعد الحرب على المسلمين و كان لا بدّ للنبي (صلّى اللّه عليه و اله) و المسلمين من الدفاع.

و بدأت سنوات الدفاع عن هذه الدولة الفتية و قد افتتحها بأوّل سريّة بقيادة عمّه حمزة في الشهر السابع بعد الهجرة و جهّز ثلاث سرايا الى نهاية العام الأوّل من الهجرة. و نزلت في هذا العام آيات كثيرة من سورة البقرة لترسم للنبي (صلّى اللّه عليه و اله) و دولته و أمّته أحكاما خالدة و تفضح خطط المنافقين و تكشف مؤامرات اليهود

ص:28=PAGEص:

ضدّ خاتم المرسلين و دولته العالمية الجديدة.

لقد استهدفت قريش النبي (صلّى اللّه عليه و اله) و دولته من خارج المدينة، و استهدف اليهود هذه الدولة من داخل المدينة فرصد النبيّ تحركاتهم جميعا، و تتابعت ثمان غزوات و سريّتان طيلة العام الثاني بما فيها غزوة بدر الكبرى في رمضان المبارك حيث افترضت فريضة الصيام و تمّ تحويل القبلة الذي أعطى لاستقلال الامّة المسلمة و الدولة الاسلامية بعدا جديدا.

و حفل العام الثاني بمزيد من الانتصارات العسكرية من جانب و نزول التشريعات السياسية و الاجتماعية من جانب آخر و منيت قريش و اليهود بأوّل هزيمة فاضحة كما تمّ إجلاء بني قينقاع و هم أول طوائف اليهود التي اتّخذت المدينة وطنا بعد أن نكثوا عهدهم مع الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) عقيب انتصار المسلمين في بدر الكبرى.

و استمرت محاولات قريش العسكريّة ضد الإسلام و المسلمين من خارج المدينة و نكثت قبائل اليهود عهودها مع النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) عدّة مرّات خلال ثلاث سنوات متتابعة، فكانت خمس غزوات- و هي: احد و بني النضير و الأحزاب و بني قريظة و بني المصطلق- ذات ثقل باهض على عاتق النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) و المسلمين جميعا خلال هذه السنين الثلاث.

و ردّ اللّه كيد الأحزاب و اليهود معا في العام الخامس بعد أن أبلى المسلمون بلاءا حسنا و مهّد اللّه بذلك للفتح المبين بعد أن أيست قريش من القضاء على شوكة المسلمين و انطلق النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) بعد صلح الحديبية يتحالف مع القبائل المحيطة به و يستقطبها ليجعل منها قوة واحدة أمام قوى الشرك و الإلحاد جميعا حتى فتح اللّه له مكّة في العام الثامن و مكّنه من تصفية قواعد الشرك في شبه الجزيرة بعد أن أخضع عتاة قريش لدولته و سياسته المباركة.

ص:29=PAGEص:

ثمّ كانت السنة التاسعة عامرة بوفود القبائل التي أخذت تدخل في دين اللّه أفواجا.

و كان العام العاشر عام حجة الوداع و آخر سنة قضاها النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) مع امّته و هو يمهّد لدولته العالمية و لامّته الشاهدة على سائر الامم.

و توفّي النبيّ القائد (صلّى اللّه عليه و اله) في الثامن و العشرين من صفر المظفر سنة احدى عشرة هجرية بعد أن أحكم دعائم دولته الاسلامية حيث عيّن لها القيادة المعصومة التي تخلفه و تترسّم خطاه متمثّلة في شخص علي بن أبي طالب (عليه السّلام) ذلك الانسان الكامل الذي ربّاه الرسول الكريم بيديه الكريمتين منذ أن ولد و رعاه أحسن رعاية طيلة حياته، و جسّد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السّلام) كل قيم الاسلام في فكره و سلوكه و خلقه و ضرب مثلا أعلى في الانقياد لرسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) و لأوامره و نواهيه فكان جديرا بوسام الولاية الكبرى و الوصاية النبوية و الخلافة الإلهية حيث رشّحه عمق وجوده في كيان الرسالة الاسلامية و الثورة الإلهيّة و الدولة النبوية ليكون النائب الأوّل لرسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) حين غيابه عن مسرح الحياة بأمر من اللّه سبحانه و تعالى.

و قد لبّى الرسول الأعظم (صلّى اللّه عليه و اله) نداء ربّه بعد أن أتمّ تبليغ الرسالة بنصب عليّ (عليه السّلام) هاديا و إماما للمسلمين على الرغم من حراجة الظروف و صعوبتها.

و هكذا ضرب الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) المثل الأعلى لطاعة اللّه و الانقياد لأوامره حيث بلّغ أمر اللّه أحسن تبليغ و أتمّ الحجة بأبلغ بيان.

تلك نظرة سريعة إلى شخصية و حياة خاتم الأنبياء محمّد بن عبد اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) و هلمّ معنا بعد هذه النظرة إلى دراسة تفصيلية في هذا المجال.

ص:31=PAGEص:

الفصل الثّاني سنّة البشارة على مدى العصور

لقد صرّح القرآن الكريم بأن العهد التاريخي للبشرية قد بدأ بظاهرة وجود النبوّات و بعث الأنبياء و إرسال الرسل. الذين مضوا يقودون مجتمعاتهم نحو حياة أفضل و وجود إنساني أكمل؛ مما يمكن أن نستنتج منه أنّ إشراق النبوّة و ظهور الأنبياء في المجتمعات البشريّة يعتبر بداية العصر التاريخي للبشرية.

قال تعالى: كانَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّناتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ، فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى‏ صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ‏[[14]](#footnote-14).

لقد قضت حكمة اللّه و رحمته بإرسال الأنبياء حاملين الى الإنسانية منهاج هدايتها الذي يخرجها من عهد الغريزة الى عهد العقل، و من منطق الصراع الذي مرجعه الغريزة و القوّة الى منطق النظام و مرجعه القانون .. و خرج المجتمع البشري بالنبوّات عن كونه تكوينا حيوانيا- بيولوجيّا الى كونه ظاهرة عقلية روحية و حققت النبوّات للإنسان مشروع وحدة أرقى من وحدته الدموية البيولوجية ...

و هي الوحدة القائمة على أساس المعتقد، و بذلك تطوّرت العلاقات الإنسانية

ص:32=PAGEص:

مرتفعة من علاقات المادة الى علاقات المعاني. و الاختلافات التي نشأت في النوع الإنساني بعد إشراق عهد النبوّات غدت اختلافات في المعنى، و اختلافات في الدين و المعتقد؛ فإن أسباب الصراع لم تلغ بالدين الذي جاءت به النبوّات بل استمرّت و تنوّعت، و لكن المرجع لم يعد الغريزة بل غدا القانون مرجعا في هذا المضمار. و القانون الذي يتضمنه الدين يكون قاعدة ثابتة لوحدة الإنسانية و تعاونها و تكاملها[[15]](#footnote-15).

و أوضح الإمام علي بن أبي طالب (عليه السّلام) في الخطبة الأولى من نهج البلاغة- بعد أن استعرض تاريخ خلق العالم و تاريخ خلق آدم (عليه السّلام) و إسكانه في الأرض- أن إشراق النبوّة و تسلسلها على مدى العصور هو المحور في تاريخ الإنسان و حركته نحو الكمال كما صرّح به القرآن الكريم موضحا منهجه في التعامل مع التاريخ.

قال (عليه السّلام «... و اصطفى سبحانه من ولد (آدم) أنبياء، أخذ على الوحي ميثاقهم‏[[16]](#footnote-16)، و على تبليغ الرسالة أمانتهم لمّا بدّل أكثر خلقه عهد اللّه اليهم‏[[17]](#footnote-17)، فجهلوا حقّه، و اتّخذوا الأنداد معه‏[[18]](#footnote-18)، و اجتالتهم الشياطين عن معرفته‏[[19]](#footnote-19)، و اقتطعتهم عن عبادته ..

فبعث فيهم رسله، و واتر إليهم أنبياءه؛ ليستأدوهم ميثاق فطرته‏[[20]](#footnote-20)، و يذكّروهم منسيّ نعمته، و يحتجّوا عليهم بالتّبليغ، و يثيروا لهم دفائن العقول‏[[21]](#footnote-21)، و يروهم آيات‏

ص:33=PAGEص:

المقدرة: من سقف فوقهم مرفوع، و مهاد تحتهم موضوع، و معايش تحييهم، و آجال تفنيهم، و أوصاب تهرمهم‏[[22]](#footnote-22)، و أحداث تتابع عليهم.

و لم يخل اللّه سبحانه خلقه من نبيّ مرسل، أو كتاب منزل، أو حجّة لازمة، أو محجّة قائمة[[23]](#footnote-23).

رسل لا تقصّربهم قلّة عددهم، و لا كثرة المكذّبين لهم: من سابق سمّي له من بعده، أو غابر عرّفه من قبله‏[[24]](#footnote-24).

على ذلك نسلت القرون‏[[25]](#footnote-25)، و مضت الدهور، و سلفت الآباء، و خلفت الأبناء.

الى أن بعث اللّه سبحانه محمّدا رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله)، لإنجاز عدته‏[[26]](#footnote-26)، و إتمام نبوّته.

مأخوذا على النبيّين ميثاقه، مشهورة سماته‏[[27]](#footnote-27)، كريما ميلاده، و أهل الأرض يومئذ ملل متفرّقة و أهواء منتشرة، و طوائف متشتّتة، بين مشبّه للّه بخلقه، أو ملحد في اسمه، أو مشير الى غيره‏[[28]](#footnote-28).

فهداهم به من الضّلالة، و أنقذهم بمكانه من الجهالة.

ص:34=PAGEص:

ثم اختار سبحانه لمحمّد (صلّى اللّه عليه و اله) لقاءه، و رضي له ما عنده، و أكرمه عن دار الدنيا، و رغب به عن مقام البلوى، فقبضه اليه كريما (صلّى اللّه عليه و اله)، و خلّف فيكم ما خلّفت الأنبياء في اممها إذ لم يتركوهم هملا بغير طريق واضح، و لا علم قائم»[[29]](#footnote-29).

إنّ بشائر الأنبياء السابقين بنبوّة الأنبياء اللاحقين تنفع الأجيال المعاصرة لهم و كذا الأجيال اللاحقة؛ إذ تفتح عيونهم و تجعلهم على أهبة الاستقبال للنبيّ المبشّر بنبوّته، كما أنّها تزيل عنهم الريب و تعطيهم مزيدا من الثقة و الاطمئنان.

على أن اليأس من الاصلاح إذا ملأ القلب يجعل الانسان يفكر بطرق أبواب الشّر و الخيانة، فالبشائر بمجي‏ء الأنبياء المصلحين تزيل اليأس من النفوس التي تنتظر الاصلاح و توجّهها الى حبّ الحياة و قرع أبواب الخير.

و تزيد البشائر إيمان المؤمنين بنبوّة نبيّهم، و تجعل الكافرين في شكّ من كفرهم، فيضعف صمودهم أمام دعوة النبي الى الحقّ ممّا يمهّد لقبولهم الدعوة.

و إذا أدّت البشارة إلى حصول الثقة فقد لا تطلب المعجزة من النبيّ، كما تكون النبوّة المحفوفة بالبشارة أنفذ الى القلوب و أقرب الى الاذعان بها. على أنّها تبعّد الناس عن وطأة المفاجأة أمام واقع غير منتظر، و تخرج دعوة النبيّ عن الغرابة في نفوس الناس‏[[30]](#footnote-30).

على أن الأنبياء جميعا يشكّلون خطا واحدا، فالسابق يبشّر باللاحق، و اللاحق يؤمن بالسابق. و قد تكفّلت الآية (81) من سورة آل عمران بالتصريح بسنّة البشائر هذه. فضلا عن الشواهد و التطبيقات التي سوف نلاحظها في البحث الآتي.

ص:35=PAGEص:

بشارات الانبياء برسالة محمد بن عبد اللّه (صلّى اللّه عليه و اله)

1- لقد نصّ القرآن الكريم على بشارة ابراهيم الخليل (عليه السّلام) برسالة خاتم النبيين (صلّى اللّه عليه و اله) باسلوب الدعاء قائلا- بعد الكلام عن بيت اللّه الحرام في مكة المكرّمة و رفع القواعد من البيت و الدعاء بقبول عمله و عمل اسماعيل (عليه السّلام) و طلب تحقيق امة مسلمة من ذريتهما-: رَبَّنا وَ ابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِكَ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ يُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ‏[[31]](#footnote-31).

2- و صرّح القرآن الكريم بأنّ البشارة بنبوّة محمد (صلّى اللّه عليه و اله) الامّي كانت موجودة في العهدين القديم (التوراة) و الجديد (الانجيل). و العهدان كانا في عصر نزول القرآن الكريم و ظهور محمد (صلّى اللّه عليه و اله) و لو لم تكن البشارة موجودة فيهما لجاهر بتكذيبها أصحاب العهدين.

قال تعالى: الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْراةِ وَ الْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّباتِ وَ يُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبائِثَ وَ يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الْأَغْلالَ الَّتِي كانَتْ عَلَيْهِمْ ...[[32]](#footnote-32).

3- و صرّحت الآية السادسة من سورة الصف بأن عيسى (عليه السّلام) صدّق التوراة بصراحة و بشّر برسالة نبيّ من بعده اسمه أحمد. و قد خاطب عيسى (عليه السّلام) بني اسرائيل جميعا لا الحواريين فحسب.

أهل الكتاب ينتظرون خاتم النبيّين (صلّى اللّه عليه و اله)

لم يكتف الأنبياء السابقون بذكر الأوصاف العامة للنبيّ المبشّر به، بل‏

ص:36=PAGEص:

ذكروا أيضا العلائم التي يستطيع المبشّرون من خلالها معرفته بشكل دقيق، مثل:

محل ولادته، و محل هجرته و خصائص زمن بعثته، و علائم جسمية خاصة و خصائص يتفردّ بها في سلوكه و شريعته .. و لهذا قال القرآن عن بني إسرائيل بأنهم كانوا يعرفون رسول الإسلام المبشّر به في العهدين كما يعرفون أبناءهم‏[[33]](#footnote-33).

بل رتبوا على ذلك آثارا عملية فاكتشفوا محل هجرته و دولته فاستقروا فيها[[34]](#footnote-34) و أخذوا يستفتحون برسالته على الذين كفروا و يستنصرون برسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) على الأوس و الخزرج‏[[35]](#footnote-35) و تسرّبت هذه الأخبار الى غيرهم عن طريق رهبانهم و علمائهم فانتشرت في المدينة و تسرّبت الى مكة[[36]](#footnote-36).

و ذهب وفد من قريش بعد إعلان الرسالة إلى اليهود في المدينة للتثبّت من صحة دعوى النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) النبوّة و حصلوا على معلومات اختبروا بها النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله)[[37]](#footnote-37) و اتضح لهم من خلالها صدق دعواه.

و قد آمن جمع من أهل الكتاب و غيرهم بالنبيّ محمّد (صلّى اللّه عليه و اله) على أساس هذه العلائم التي عرفوها من دون أن يطلبوا منه معجزة خاصة[[38]](#footnote-38)، و هذه البشائر تحتفظ بها لحد الآن بعض نسخ التوراة و الانجيل‏[[39]](#footnote-39).

و هكذا تسلسلت البشائر بنبوة خاتم النبيين محمد (صلّى اللّه عليه و اله) من قبل ولادته،

ص:37=PAGEص:

و خلال فترة حياته قبل بعثته، و قد عرف و اشتهر منها إخبار بحيرا الراهب و غيره إبّان البعثة المباركة[[40]](#footnote-40).

و قد شهد علي أمير المؤمنين (عليه السّلام) بهذه الحقيقة التأريخية حين قال في إحدى خطبه: «... الى أن بعث اللّه سبحانه محمدا رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) لإنجاز عدته و اتمام نبوّته، مأخوذا على النبيين ميثاقه مشهورة سماته ..»[[41]](#footnote-41).

و قد جاء في طبقات ابن سعد عن سهل مولى عتيبة انه كان نصرانيا من أهل حريس، و انه كان يتيما في حجر امّه و عمّه و أنه كان يقرأ الإنجيل، قال:

«... فأخذت مصحفا لعمي فقرأته حتّى مرّت بي ورقة فانكرت كتابتها حين مرّت بي و مسستها بيدي، قال: فنظرت؛ فاذا فصول الورقة ملصق بغراء، قال: ففتقتها فوجدت فيها نعت محمّد (صلّى اللّه عليه و اله): انه لا قصير و لا طويل، أبيض ذو ضفيرتين، بين كتفيه خاتم يكثر الاحتباء و لا يقبل الصدقة و يركب الحمار و البعير و يحتلب الشاة و يلبس قميصا مرقوعا، و من فعل ذلك فقد برئ من الكبر و هو يفعل ذلك، و هو من ذرّية اسماعيل، اسمه أحمد. قال سهل: فلما انتهيت الى هذا من ذكر محمد (صلّى اللّه عليه و اله) جاء عمّي فلّما رأى الورقة ضربني و قال: مالك و فتح هذه الورقة و قراءتها؟! فقلت: فيها نعت النبيّ احمد، فقال: إنّه لم يأت بعد[[42]](#footnote-42).

ص:39=PAGEص: 39

الفصل الثّالث مظاهر من شخصية خاتم النبيين (صلّى اللّه عليه و اله)

1- الاميّ العالم:

لقد تميّز خاتم النبيين بأنه لم يتعلّم القراءة و الكتابة عند معلّم بشري‏[[43]](#footnote-43) و لم ينشأ في بيئة علم و انما نشأ في مجتمع جاهلي، و لم يكذب أحد هذه الحقيقة التي نادى بها القرآن‏[[44]](#footnote-44).

ترعرع و نما في قوم هم من أشد الأقوام جهلا و أبعدهم عن العلوم و المعارف، و لقد سمّى هو ذلك العصر بالعصر الجاهلي و لا يمكن أن تصدر هذه التسمية إلّا من عالم خبير بالعلم و الجهل و العقل و الحمق.

أضف الى ذلك أنه قد جاء بكتاب يدعو الى العلم و الثقافة و الفكر و التعقّل و احتوى على صنوف المعارف و العلوم، و بدأ بتعليم الناس الكتاب و الحكمة[[45]](#footnote-45) وفق منهج بديع حتى أنشأ حضارة فريدة اخترقت الغرب و الشرق بعلومها و معارفها و لا زالت تتلألأ بهاء و نورا.

فهو امي و لكنه يكافح الجهل و الجاهلية و عبّاد الأصنام، و بعث بدين قيّم‏

ص:40=PAGEص:

إلى البشرية و بشريعة عالمية تتحدّى البشرية على مدى التأريخ. فهو معجزة بنفسه في علمه و معارفه و جوامع كلمه و رجاحة عقله و ثقافته و مناهج تربيته.

و من هنا قال تعالى: فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ كَلِماتِهِ وَ اتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ‏[[46]](#footnote-46) و قال له: وَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ عَلَّمَكَ ما لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَ كانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً[[47]](#footnote-47).

أجل لقد أوحى اللّه اليه ما أوحى و علّمه الكتاب و الحكمة و جعله نورا و سراجا منيرا و برهانا و شاهدا و رسولا مبينا و ناصحا أمينا و مذكّرا و مبشّرا و نذيرا[[48]](#footnote-48).

و لقد شرح اللّه له صدره و أعدّه لقبول الوحي و القيام بمهمة الارشاد في مجتمع تسيطر عليه العصبية و الأنانية الجاهلية فكان أسمى قائد عرفته البشرية في مجال الدعوة و التربية و التعليم.

إنها نقلة كبيرة أن يصبح المجتمع الجاهلي في بضع سنين حارسا أمينا و مدافعا قويا لكتاب الهداية و مشعل العلم و يقف أمام محاولات التشويه و التحريف، إنها معجزة هذا الكتاب الخالد و ذلك الرسول الامي الرائد و الذي كان أبعد الناس- في ذلك المجتمع الجاهلي- عن الخرافات و الأساطير. إنه نور البصيرة الربّانية التي أحاطت به بكل جوانب وجوده.

2- أوّل المسلمين العابدين:

إن الخضوع المطلق للّه خالق الكون و مبدع الوجود، و التسليم التام لعظيم‏

ص:41=PAGEص:

قدرته و نفاذ حكمته، و العبودية الاختيارية الكاملة تجاه الإله الأحد الفرد الصمد هي القمة الاولى التي لا بد لكل إنسان أن يجتازها كي يتهيّأ للاجتباء و الاصطفاء الإلهي. و قد شهد القرآن الكريم بذلك لهذا النبيّ العظيم حين قال عنه: قُلْ إِنَّنِي هَدانِي رَبِّي إِلى‏ صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ‏ ... وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ‏[[49]](#footnote-49).

إنّه و سام الكمال الذي حازه هذا العبد المسلم وفاق في عبوديته من سواه على الإطلاق و تجلّت هذه العبودية المثلى في قوله و سلوكه حتى قال (صلّى اللّه عليه و اله): «قرّة عيني في الصلاة»[[50]](#footnote-50) فهو ينتظر وقت الصلاة و يشتد شوقه للوقوف بين يدي اللّه و يقول لمؤذّنه بلال: أرحنا يا بلال‏[[51]](#footnote-51) و قد كان يحدّث أهله و يحدّثونه فإذا دخل وقت الصلاة فكأنه لم يعرفهم و لم يعرفوه‏[[52]](#footnote-52). و كان إذا صلّى يسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل‏[[53]](#footnote-53). و يبكي حتى يبل مصلّاه خشية من اللّه عزّ و جلّ‏[[54]](#footnote-54)، و كان يصلّي حتى تنتفخ قدماه، فيقال له: أتفعل هذا و قد غفر اللّه لك ما تقدم من ذنبك و ما تأخّر؟! فيقول: أفلا أكون عبدا شكورا[[55]](#footnote-55)؟

و كان يصوم شعبان و رمضان و ثلاثة أيام من كل شهر[[56]](#footnote-56)، و كان اذا دخل شهر رمضان يتغيّر لونه و تكثر صلاته و يبتهل في الدعاء[[57]](#footnote-57). و اذا دخل العشر

ص:42=PAGEص:

الأواخر منه شدّ المئزر و اجتنب النساء و أحيى الليل و تفرّغ للعبادة[[58]](#footnote-58). و كان يقول عن الدعاء: «الدعاء مخّ العبادة»[[59]](#footnote-59) و «سلاح المؤمن و عمود الدين و نور السماوات و الأرض»[[60]](#footnote-60). و قد كان دائم الاتصال باللّه، دائم الانشداد إليه بالضراعة و الدعاء في كل عمل كبير أو صغير، حتى كان يستغفر اللّه كل يوم سبعين مرّة و يتوب إليه سبعين مرة من غير ذنب‏[[61]](#footnote-61)، و لم يستيقظ من نوم قطّ إلّا خرّ للّه ساجدا[[62]](#footnote-62) و كان يحمد اللّه في كل يوم ثلاثمائة و ستين مرّة و يقول: «الحمد للّه ربّ العالمين كثيرا على كل حال»[[63]](#footnote-63) و لقد كان دؤوبا على قراءة القرآن و شغوفا به.

و نزل عليه جبرئيل مخففا لمّا أجهد نفسه بالعبادة بقوله تعالى: طه\* ما أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقى‏[[64]](#footnote-64)

3- الثقة المطلقة باللّه تعالى:

قال اللّه تعالى لرسوله (صلّى اللّه عليه و اله): أَ لَيْسَ اللَّهُ بِكافٍ عَبْدَهُ‏[[65]](#footnote-65)؟

و قال له أيضا: وَ تَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ الَّذِي يَراكَ حِينَ تَقُومُ وَ تَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ‏[[66]](#footnote-66).

و قد كان رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) كما قال اللّه تعالى على ثقة مطلقة به سبحانه.

ص:43=PAGEص:

جاء عن جابر أنه قال: كنا مع رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) بذات الرقاع فإذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول اللّه، فجاء رجل من المشركين و سيف رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) معلق بالشجرة فاخترطه و قال: تخافني؟ قال: لا. قال: فمن يمنعك منّي؟

قال: اللّه. فسقط السيف من يده فأخذ رسول اللّه السيف فقال: من يمنعك منّي؟

فقال: كن خير آخذ. فقال: تشهد أن لا اله الّا اللّه و أني رسول اللّه؟ قال: لا و لكني أعاهدك أن لا اقاتلك و لا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلّى سبيله فأتى أصحابه فقال:

جئتكم من عند خير الناس‏[[67]](#footnote-67).

4- الشجاعة الفائقة:

قال اللّه تعالى: الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسالاتِ اللَّهِ وَ يَخْشَوْنَهُ وَ لا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ‏[[68]](#footnote-68) و جاء عن علي بن أبي طالب (عليه السّلام)- الذي طأطأ له فرسان العرب- أنّه: كنّا إذا احمرّ البأس و لقي القوم القوم اتّقينا برسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) فما يكون أحد أدنى من القوم منه‏[[69]](#footnote-69).

و وصف المقداد ثبات رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) يوم احد بعد أن تفرّق الناس و تركوا رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) وحده فقال: و الذي بعثه بالحق إن رأيت رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) زال شبرا واحدا. إنه لفي وجه العدوّ تثوب اليه طائفة من أصحابه مرّة و تتفرّق عنه مرّة، فربّما رأيته قائما يرمي عن قوسه أو يرمي بالحجر حتى تحاجروا[[70]](#footnote-70).

ص:44=PAGEص:

5- زهد منقطع النظير:

قال تعالى: وَ لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى‏ ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَ رِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَ أَبْقى‏[[71]](#footnote-71).

و عن أبي أمامة عن النبي (صلّى اللّه عليه و اله): أنه قال: عرض عليّ ربّي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا، قلت: لا يا ربّ و لكن أشبع يوما و أجوع يوما .. فإذا جعت تضرّعت إليك و ذكرتك، و إذا شبعت شكرتك و حمدتك‏[[72]](#footnote-72).

و نام على حصير فقام و قد أثّر في جنبه، فقيل له: يا رسول اللّه لو اتخذنا لك و طاءا فقال: ما لي و ما للدنيا؟! ما أنا في الدنيا الّا كراكب استظلّ تحت شجرة ثم راح و تركها[[73]](#footnote-73).

و قال ابن عباس: كان رسول اللّه يبيت الليالي المتتابعة طاويا و أهله لا يجدون عشاءا و كان اكثر خبزهم خبز الشعير[[74]](#footnote-74).

و قالت عائشة: ما أكل آل محمد أكلتين في يوم واحد إلّا إحداهما تمر[[75]](#footnote-75).

و قالت: توفي رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) و درعه مرهونة عند يهوديّ بثلاثين صاعا من شعير[[76]](#footnote-76).

و عن أنس بن مالك أن فاطمة جاءت بكسرة خبز الى النبي (صلّى اللّه عليه و اله) فقال: ما هذه الكسرة يا فاطمة؟ قالت: قرص خبز، فلم تطب نفسي حتى أتيتك بهذه الكسرة. فقال:

ص:45=PAGEص:

أما إنّه أوّل طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيّام‏[[77]](#footnote-77).

و عن قتادة قال: كنّا عند أنس و عنده خبّاز له فقال: ما أكل النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) خبزا مرقّقا و لا شاة مسموطة حتى لقي اللّه‏[[78]](#footnote-78).

6- جود و حلم عظيمان:

قال ابن عبّاس: كان النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) أجود الناس بالخير، و كان أجود ما يكون في شهر رمضان .. إن جبريل كان يلقاه في كل سنة من رمضان .. فإذا لقيه جبريل كان رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) أجود بالخير من الريح المرسلة[[79]](#footnote-79).

و قال جابر: ما سئل النبي (صلّى اللّه عليه و اله) شيئا قطّ فقال لا[[80]](#footnote-80).

و روي أن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) أتى صاحب بزّ فاشترى منه قميصا بأربعة دراهم فخرج و هو عليه، فإذا رجل من الأنصار. فقال: يا رسول اللّه أكسني قميصا كساك اللّه من ثياب الجنة فنزع القميص فكساه إيّاه، ثم رجع الى صاحب الحانوت فاشترى منه قميصا بأربعة دراهم و بقي معه درهمان فاذا هو بجارية في الطريق تبكي فقال: ما يبكيك؟ قالت: يا رسول اللّه دفع اليّ أهلي درهمان اشتري بهما دقيقا فهلكا، فدفع النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) إليها الدرهمين فقالت: أخاف أن يضربوني فمشى معها الى أهلها فسلّم فعرفوا صوته، ثمّ عاد فسلّم، ثمّ عاد فثلّث، فردّوا، فقال:

أسمعتم أوّل السلام؟ فقالوا: نعم و لكن أحببنا أن تزيدنا من السلام. فما أشخصك بأبينا و امّنا؟ قال: أشفقت هذه الجارية أن تضربوها، قال صاحبها: هي حرّة لوجه اللّه لممشاك معها. فبشّرهم رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) بالخير و بالجنّة؛ و قال: لقد بارك اللّه في‏

ص:46=PAGEص:

العشرة كسا اللّه نبيّه قميصا و رجلا من الأنصار قميصا و أعتق منها رقبة، و أحمد اللّه هو الذي رزقنا هذا بقدرته‏[[81]](#footnote-81).

و كان إذا دخل شهر رمضان أطلق كل أسير و أعطى كل سائل‏[[82]](#footnote-82).

و عن عائشة: أن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) ما انتقم لنفسه شيئا يؤتى إليه إلّا أن تنتهك حرمات اللّه. و لا ضرب بيده شيئا قط الّا أن يضرب بها في سبيل اللّه و لا سئل شيئا قط فمنعه إلّا أن يسأل مأثما فإنه كان أبعد الناس منه‏[[83]](#footnote-83).

و عن عبيد بن عمير: أن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) ما اتي في غير حدّ إلّا عفا عنه‏[[84]](#footnote-84).

و قال أنس: خدمت رسول اللّه عشر سنين. فما قال لي افّ قطّ، و ما قال لشي‏ء صنعته: لم صنعته؟ و لا لشي‏ء تركته: لم تركته؟[[85]](#footnote-85).

و جاءه أعرابي فجذب رداءه بشدّة حتى أثرت حاشية الرداء على عاتق النبي (صلّى اللّه عليه و اله) ثم قال له: يا محمد مر لي من مال اللّه الذي عندك. فالتفت اليه فضحك ثم أمر له بعطاء.

لقد عرف (صلّى اللّه عليه و اله) بالعفو و السماحة طيلة حياته ... فقد عفا عن وحشي قاتل عمه حمزة ... كما عفا عن المرأة اليهودية التي قدمت له شاة مسمومة و عفا عن أبي سفيان و جعل الدخول الى داره أمانا من القتل. و عفا عن قريش التي عتت عن أمر ربّها و حاربته بكل ما لديها .. و هو في ذروة القدرة و العزّة قائلا لهم: «اللهم اهد قومي فإنّهم لا يعلمون .. اذهبوا فأنتم الطلقاء»[[86]](#footnote-86).

ص:47=PAGEص:

لقد أفصح القرآن عن عظمة حلم الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) بقوله تعالى: وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ‏[[87]](#footnote-87)، و وصف مدى رأفته و رحمته بقوله تعالى: لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ‏[[88]](#footnote-88).

7- حياؤه و تواضعه:

عن أبي سعيد الخدريّ: كان النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) أشدّ حياءا من العذراء في خدرها و إذا كره شيئا عرف في وجهه‏[[89]](#footnote-89).

و عن علي (عليه السّلام): كان النبي (صلّى اللّه عليه و اله) إذا سئل شيئا فأراد أن يفعله قال: نعم و إذا أراد أن لا يفعل سكت، و كان لا يقول لشي‏ء لا[[90]](#footnote-90).

و عن يحيى بن أبي كثير أنّ رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) قال: آكل كما يأكل العبد و أجلس كما يجلس العبد. فإنّما أنا عبد[[91]](#footnote-91). كما اشتهر عنه أنه كان يسلّم على الصبيان‏[[92]](#footnote-92).

و كلّم النبي (صلّى اللّه عليه و اله) رجلا فأرعد. فقال: هوّن عليك فإني لست بملك إنّما أنا ابن امرأة تأكل القديد[[93]](#footnote-93).

و عن أبي أمامة: خرج علينا رسول اللّه متوكّئا على عصا، فقمنا إليه فقال:

«لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضا»[[94]](#footnote-94).

ص:48=PAGEص:

و كان يداعب أصحابه و لا يقول إلّا حقّا[[95]](#footnote-95). و لقد شارك أصحابه في بناء المسجد[[96]](#footnote-96) و حفر الخندق‏[[97]](#footnote-97) و كان يكثر من مشاورة أصحابه بالرغم من أنّه كان أرجح الناس عقلا[[98]](#footnote-98).

و كان يقول: «اللهم أحيني مسكينا و توفّني مسكينا و احشرني في زمرة المساكين و إنّ أشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا و عذاب الآخرة»[[99]](#footnote-99).

هذه صورة موجزة جدا عن بعض ملامح شخصيته (صلّى اللّه عليه و اله) و بعض جوانب سلوكه الفردي و الاجتماعي. و هناك صور رائعة و كثيرة عن سلوكه و سيرته الإدارية و السياسية و العسكرية و الاقتصادية و الاسريّة التي تستحق الدراسة المعمّقة للتأسي بها و الاستلهام منها، نتركها الى الفصول اللاحقة.

ص:49=PAGEص:

الباب الثّاني فيه فصول:

الفصل الأول:

دور الولادة و النشأة الفصل الثاني:

دور الفتوة و الشباب الفصل الثالث:

من الزواج الى البعثة

ص:51=PAGEص:

الفصل الأوّل دور الولادة و النشأة

1- ملامح انهيار المجتمع الوثني:

استحكم الفساد و الظلم في مجتمع الجزيرة في الفترة التي سبقت البعثة النبوية فلم تعد كتلة المجتمع واحدة و لم تكن الخصائص الاجتماعية و الثقافية التي أوجدتها طبيعة الحياة في الصحراء كافية لإيقاف حالة الانهيار التي بدت ملامحها على المجتمع في الجزيرة العربية. و ما الأحلاف التي نشأت إلا تعبير عن ظاهرة اجتماعية لمقاومة ذلك التحلل و لكنها في تعددها دليل على انعدام القوة المركزية في المجتمع.

و لا نلاحظ حركة إصلاحية تغييرية يذكرها لنا التأريخ تكون قد سعت للنهوض بالمجتمع و الارتقاء به نحو الحياة الفضلى سوى حركة بعض الأفراد التي تعبر عن حالة الرفض لهذا التفسخ و الظلم الاجتماعي متمثلة في حالة التحنّث التي أبداها عدد قليل من أبناء الجزيرة العربية و لم ترتق الى مستوى النظرية أو الحركة

ص:52=PAGEص:

التغييرية الفاعلة في المجتمع ...[[100]](#footnote-100) و تفكك المجتمع القرشي قد نلاحظه أيضا في ظاهرة اختلافهم حول بناء الكعبة في الوقت الذي كانت قريش من أعز القبائل العربية و أشدها تماسكا. و يمكن لنا أن نستدل على تمادي المجتمع في الفساد من خلال الإنذارات المتكررة من اليهود القاطنين في الجزيرة العربية و استفتاحهم على أهالي الجزيرة بظهور المصلح المنقذ للبشرية برسالته السماوية و كانوا يقولون لهم: ليخرجن نبي فليكسرن أصنامكم‏[[101]](#footnote-101).

2- إيمان آباء النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله):

ولد النبي (صلّى اللّه عليه و اله) و ترعرع في عائلة تدين بالتوحيد و تتمتع بسمو الأخلاق و علو المنزلة. فإيمان جدّه عبد المطلب نلمسه من كلامه و دعائه عند هجوم أبرهة الحبشي لهدم الكعبة إذ لم يلتجئ الى الأصنام بل توكل على اللّه لحماية الكعبة[[102]](#footnote-102).

بل يمكن أن نقول إن عبد المطلب كان عارفا بشأن النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) و مستقبله المرتبط بالسماء من خلال الأخبار التي أكدت ذلك. و تجلّت اهتماماته به في الاستسقاء بالنبي (صلّى اللّه عليه و اله) و هو رضيع، و ما ذلك إلّا لما كان يعلمه من مكانته عند اللّه المنعم الرازق‏[[103]](#footnote-103)، و الشاهد الآخر هو تحذيره لأم أيمن من الغفلة عند عند ما كان صغيرا[[104]](#footnote-104).

و كذلك حال عمه أبي طالب الذي استمر في رعاية النبي (صلّى اللّه عليه و اله) و دعمه لأجل تبليغ الرسالة و الصدع بها حتى آخر لحظات عمره المبارك متحملا في ذلك‏

ص:53=PAGEص:

أذى قريش و قطيعتهم و حصارهم له في الشعب. و نلمس هذا في ما روي عن أبي طالب (عليه السّلام) في عدة مواقف ترتبط بحرصه على سلامة حياة النبي (صلّى اللّه عليه و اله)[[105]](#footnote-105).

و أما والدا النبي (صلّى اللّه عليه و اله) فالروايات دالّة على نبذهما للشرك و الأوثان و يكفي دليلا قول الرسول (صلّى اللّه عليه و اله): «لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات» و فيه إيعاز الى طهارة آبائه و امهاته من كل دنس و شرك‏[[106]](#footnote-106).

3- مولد الرسول (صلّى اللّه عليه و اله):

ما إن استنفذت الديانة النصرانية أغراضها في المجتمع البشري و لم تعد لها فاعلية تذكر حتى حلّت في الدنيا كلّ مظاهر التيه و الزّيغ، و أمسى الناس كافة ضلّال فتن و حيرة، استخفّتهم الجاهلية الجهلاء، و لم تكن أوضاع الروم بأقل سوءا من أوضاع منافسيهم في فارس، و ما كانت جزيرة العرب أفضل وضعا من الاثنين. و الكل على شفا حفرة من النّار.

و قد وصف القرآن بصورة بليغة جانبا مأساويا من حياة البشر آنذاك، كما وصف سيد أهل بيت النبوة علي بن أبي طالب (عليه السّلام) ذلك الوضع المأساوي وصفا دقيقا عن حس و معايشة في عدّة خطب، منها قوله في وصف حال المجتمع الذي بعث فيه النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله):

«أرسله على حين فترة من الرسل و طول هجعة من الأمم و إعتزام من الفتن، و انتشار من الأمور و تلظّ من الحروب، و الدنيا كاسفة النور، ظاهرة الغرور، على حين اصفرار من ورقها، و إياس من ثمرها، و اغورار من مائها، قد درست منار الهدى، و ظهرت أعلام الردى، فهي متجهمة لأهلها، عابسة في وجه طالبها، ثمرها الفتنة، و طعامها الجيفة، و شعارها

ص:54=PAGEص:

الخوف، و دثارها السيف»[[107]](#footnote-107).

في مثل هذا الظرف العصيب الذي كانت تمر به البشرية سطع النور الإلهي فأضاء العباد و البلاد مبشرا بالحياة الكريمة و السعادة الأبدية. و ذلك عند ما بوركت أرض الحجاز بمولد النبيّ الأكرم محمد بن عبد اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) في عام الفيل سنة (570 ميلادية) و في شهر ربيع الأول على ما هو عليه أكثر المحدثين و المؤرخين.

و أما عن يوم ميلاده (صلّى اللّه عليه و اله)، فقد حدّده أهل بيته (عليهم السّلام)- و هم أدرى بما في البيت- فقالوا: هو يوم الجمعة السابع عشر من شهر ربيع الأول بعد طلوع الفجر، كما هو المشهور بين الإمامية، و عند غيرهم أنّه (صلّى اللّه عليه و اله) ولد في يوم الاثنين الثاني عشر من الشهر نفسه‏[[108]](#footnote-108).

و تتحدث جملة من المصادر التأريخية و الحديثية عن وقوع حوادث عجيبة يوم ولادته مثل: انطفاء نار فارس، و زلزال أصاب الناس حتّى تهدّمت الكنائس و البيع و زال كلّ شي‏ء يعبد من دون اللّه عزّ و جل عن موضعه، و تساقط الأصنام المنصوبة في الكعبة على وجوهها حتّى عمّيت على السحرة و الكهّان أمورهم، و طلوع نجوم لم تر من قبل هذا و قد ولد (صلّى اللّه عليه و اله) و هو يقول: «اللّه أكبر، و الحمد للّه كثيرا و سبحان اللّه بكرة و أصيلا»[[109]](#footnote-109).

و اشتهر النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) ب: اسمين: «محمّد» و «أحمد» و قد ذكرهما القرآن الكريم، و روى المؤرخون أنّ جدّه عبد المطلب قد سمّاه «محمدا»، و أجاب من سأله عن سبب التسمية قائلا: أردت أن يحمد في السماء و الأرض‏[[110]](#footnote-110). كما أن أمه‏

ص:55=PAGEص:

آمنة سمّته قبل جده ب: «أحمد».

و قد بشّر به الإنجيل على لسان عيسى (عليه السّلام)- كما أخبر القرآن الكريم بذلك و صدّقه علماء أهل الكتاب- و قد حكاه قوله تعالى: وَ مُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ[[111]](#footnote-111). و لا مانع من أن يعرف الشخص باسمين و لقبين و كنيتين في عرف الجزيرة العربية و غيرها.

4- رضاعه الميمون:

أصبح محمد (صلّى اللّه عليه و اله) الشغل الشاغل لجدّه عبد المطلب الذي فقد ابنه عبد اللّه- و هو أعزّ أبنائه- في وقت مبكّر جدا. من هنا أوكل جدّه رضاعه إلى «ثويبة» و هي جارية لأبي لهب كي يتسنى لهم إرساله إلى بادية بني سعد ليرتضع هناك و ينشأ في بيئة نقيّة بعيدا عن الأوبئة التي كانت تهدد الاطفال في مكة و يترعرع بين أبناء البادية كما هي عادة أشراف مكة في إعطاء أطفالهم الرضّع الى المراضع و كانت مراضع قبيلة بني سعد من المشهورات بهذا الأمر، و كانت تسكن حوالي مكة و نواحي الحرم و كانت نساؤهم يأتين إلى مكة في موسم خاص من كل عام يلتمسن الرضعاء خصوصا عام ولادة النبي (صلّى اللّه عليه و اله) حيث كانت سنة جدب و قحط فكنّ بحاجة إلى مساعدة أشراف مكة.

و زعم بعض المؤرخين أنه لم تقبل أية واحدة من تلك المراضع أن تأخذ «محمدا» بسبب يتمه، و أوشكت قافلة المراضع أن ترجع و مع كل واحدة رضيع إلّا حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية فقد أعرضت عن النبي (صلّى اللّه عليه و اله) أوّل الأمر كغيرها من المرضعات و حين لم تجد رضيعا قالت لزوجها: و اللّه لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه. و رجح لها زوجها ذلك فرجعت إليه و احتضنته و الأمل يملأ نفسها

ص:56=PAGEص:

[[112]](#footnote-112)

في أن تجد بسببه الخير و البركة[[113]](#footnote-113).

و يردّ هذا الزعم مكانة البيت الهاشمي الرفيعة و شخصية جدّه الذي عرف بالجود و الإحسان و مساعدة المحتاجين و المحرومين.

على أن بعض المؤرخين قد ذكر أن أباه قد توفي بعد ولادته بعدة أشهر[[114]](#footnote-114).

كما روي أنّه (صلّى اللّه عليه و اله) لم يقبل إلّا ثدي «حليمة»[[115]](#footnote-115).

قالت حليمة: استقبلني عبد المطلب فقال: من أنت؟ فقلت: أنا امرأة من بني سعد. قال ما اسمك؟ قلت: حليمة. فتبسم عبد المطّلب و قال: بخ بخ سعد و حلم خصلتان فيهما خير الدهر و عزّ الأبد[[116]](#footnote-116).

و لم يخب ظنّ حليمة في نيل البركة و زيادة الخير بأخذ يتيم عبد المطلب فقد روي أن ثدي حليمة كان خاليا من اللبن فلما ارتضع النبي (صلّى اللّه عليه و اله) منه امتلأ و درّ لبنا.

و تقول حليمة: عند ما أخذنا رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) عرفنا الخير و الزيادة في معاشنا و رياشنا حتى أثرينا بعد الجدب و الجهد[[117]](#footnote-117).

و أمضى وليد «عبد المطلب» في أحضان حليمة و زوجها في مرابع بني سعد ما يقارب خمس سنوات رجعت به خلالها إلى أهله عند فطامه بعد أن أتم السنتين على كره منها؛ لما وجدت فيه من السعادة و الخير، كما أن أمّه أرادت أن يشتد عود ابنها بعيدا عن مكة، خوفا عليه من الأمراض فرجعت به مسرورة.

و روي أنها جاءت به ثانية الى مكة خوفا عليه من أيادي السوء عند ما

ص:57=PAGEص:

شاهدت جماعة من نصارى الحبشة القادمين الى الحجاز قد أصرّوا على أخذه معهم إلى الحبشة لأنهم وجدوا فيه علائم النبيّ الموعود، لينالوا بذلك شرف احتضانه و بلوغ المجد باتّباعه‏[[118]](#footnote-118).

5- الاستسقاء بالنبيّ (صلّى اللّه عليه و اله):

أشار المؤرخون إلى ظاهرة الاستسقاء برسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) التي حدثت أكثر من مرة في حياته، حين كان رضيعا و حين كان غلاما في حياة جدّه و عمه أبي طالب. فالمرة الاولى: لمّا أصاب أهل مكّة من الجدب العظيم، و أمسك السحاب عنهم سنتين، أمر عبد المطلب ابنه أبا طالب أن يحضر حفيده محمدا (صلّى اللّه عليه و اله) فأحضره- و هو رضيع في قماط- فوضعه على يديه و استقبل الكعبة و قدّمه إلى السماء، و قال: يا ربّ بحق هذا الغلام، و جعل يكرّر قوله و يدعو: اسقنا غيثا مغيثا دائما هطلا، فلم يلبث ساعة حتى أطبقت الغيوم وجه السماء و هطل المطر منهمرا حتى خافوا من شدته على المسجد أن ينهدم‏[[119]](#footnote-119).

و تكرر الاستسقاء ثانيا بعد مدة و كان النبي (صلّى اللّه عليه و اله) في هذه المرة غلاما حين خرج به عبد المطلب الى جبل أبي قبيس و معه وجوه قريش يرجون الاستجابة ببركة النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله)، و قد أشار أبو طالب إلى هذه الواقعة بقصيدة أولها:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أبونا شفيع الناس حين سقوا به‏ |  | من الغيث رجاس العشير بكور |
| و نحن- سنين المحل- قام شفيعنا |  | بمكّة يدعو و المياه تغور[[120]](#footnote-120) |
|  |  |  |

و نقل المؤرّخون أن قريشا طلبت من أبي طالب أن يستسقي لهم فخرج‏

ص:58=PAGEص:

أبو طالب الى المسجد الحرام و بيده النبي (صلّى اللّه عليه و اله)- و هو غلام- كأنه شمس دجى تجلّت عنها غمامة- فدعا اللّه بالنبي (صلّى اللّه عليه و اله) فأقبلت السحاب في السماء و هطل المطر فسالت به الأودية و سرّ الجميع و قد ذكر أبو طالب هذه الكرامة أيضا عند ما تمادت قريش في عدائها للنبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) و رسالته المباركة فقال:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| و أبيض يستسقى الغمام بوجهه‏ |  | ربيع اليتامى عصمة للأرامل‏ |
| تلوذ به الهلاك من آل هاشم‏ |  | فهم عنده في نعمة و فواضل‏[[121]](#footnote-121) |
|  |  |  |

و كلّ هذا يعرب لنا عن توحيد كفيلي رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) الخالص و إيمانهما باللّه تعالى، و لو لم يكن لهما إلّا هذان الموقفان لكفاهما فخرا و اعتزازا. و هذا يدل أيضا على أن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) قد نشأ في بيت كانت الديانة السائدة فيه هي الحنيفية و توحيد اللّه تعالى.

6- مع امّه آمنة:

لم يتمتع النبي (صلّى اللّه عليه و اله) بطول رعاية أمه الحنون التي عاشت بعد أبيه و هي تنتظر أن يشبّ يتيم عبد اللّه ليكون لها سلوة عن فقد زوجها الحبيب و لكن الموت لم يمهلها طويلا. فقد روي أن حليمة السعدية جاءت بالنبي (صلّى اللّه عليه و اله) الى أهله و قد بلغ خمس سنين. و أرادت أمه آمنة أن تحمله معها و تزور قبر زوجها العزيز و يزور محمد (صلّى اللّه عليه و اله) أخواله من بني النجار في يثرب فيتعرف في هذه السفرة عليهم و لكن هذه الرحلة لم تترك على النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) إلّا حزنا آخر حيث فقد أمه في طريق العودة في منطقة تدعى بالأبواء بعد أن زار الدار التي توفيّ و دفن فيها أبوه، و كأنّ تلاحق الأحزان على قلب النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) في طفولته كانت خطوات إعداد إلهي لتتكامل نفسه الشريفة.

ص:59=PAGEص:

و واصلت أم أيمن رحلتها نحو مكة و هي تصطحب النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) لتسلمه الى جدّه عبد المطلب الذي ازداد تعلّقا بحفيده محمّد (صلّى اللّه عليه و اله)[[122]](#footnote-122).

7- مع جدّه عبد المطّلب:

بلغ محمد (صلّى اللّه عليه و اله) في قلب عبد المطلب مكانة لم يبلغها أحد من بنيه و أحفاده و هم سادات بطحاء مكة، فقد روي أن عبد المطلب كان يجلس في فناء الكعبة على بساط كان يمد له و حوله وجوه قريش و ساداتها و أولاده، فإذا وقعت عيناه على حفيده «محمد» (صلّى اللّه عليه و اله) أمر بأن يفرج له حتى يتقدم نحوه ثمّ يجلسه إلى جنبه على ذلك البساط الخاص به‏[[123]](#footnote-123). و هذه العناية من سيد قريش قد عزّزت من مكانة محمد (صلّى اللّه عليه و اله) في نفوس قريش إضافة إلى سمو أخلاقه منذ نعومة أظفاره.

و لقد أشار القرآن الكريم إلى فترة اليتم هذه التي اجتازها النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) تحت رعاية ربه بقوله تعالى: أَ لَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوى‏ إن فترة اليتم عادة تصب في صياغة الإنسان و إعداده للنضج و الاعتماد على النفس في تحمّل الصعاب و المكاره عند مواجهتها و الصبر عليها. و هكذا تولّى اللّه إعداد نبيّه المختار ليكون قادرا على تحمل مهام المستقبل و حمل الرسالة الكبرى التي كانت تنتظر نضجه و كماله. و قد أشار النبي (صلّى اللّه عليه و اله) الى هذه الحقيقة بقوله: «أدبني ربي فأحسن تأديبي»[[124]](#footnote-124).

و لم يمض من عمر النبي (صلّى اللّه عليه و اله) أكثر من ثمان سنوات حتى مني بمحنة ثالثة و هي فقد جدّه العظيم «عبد المطلب»، و قد حزن محمد (صلّى اللّه عليه و اله) لموت جدّه حزنا لا يقل عن حزنه لموت أمه حتى أنّه بكى بكاءا شديدا و هو يتبع نعشه إلى‏

ص:60=PAGEص:

مقرّه الأخير، و لم ينس ذكره أبدا؛ إذ كان يرعاه خير رعاية و كان عارفا بنبوّته فقد روي أنّه قال- لمن أراد أن ينحي عنه محمّدا (صلّى اللّه عليه و اله) عند ما كان طفلا يدرج-: دع ابني فإنّ الملك قد أتاه‏[[125]](#footnote-125).

ص:61=PAGEص:

الفصل الثّاني دور الفتوّة و الشباب‏

1- كفالة أبي طالب للنبي (صلّى اللّه عليه و اله):

لقد استمرت رعاية عبد المطلب لحفيده «محمد» (صلّى اللّه عليه و اله) حين أوكل أمره إلى ولده أبي طالب لما كان يعلم من أن أبا طالب سيقوم برعاية ابن أخيه خير قيام و هو و إن كان فقيرا لكنّه كان أنبل إخوته و أكرمهم في قريش مكانة و احتراما. على أنّ أبا طالب كان شقيق عبد اللّه لأمه و أبيه و هو مما يزيد أواصر التلاحم مع «محمد» (صلّى اللّه عليه و اله) و الحنان و العطف عليه.

و تقبّل أبو طالب هذه المسؤولية بفخر و اعتزاز و كانت تعينه في ذلك زوجته الطيبة فاطمة بنت أسد فكانا يؤثران محمدا بالنفقة و الكسوة على نفسيهما و على أولادهما، و قد عبّر النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) عن ذلك حين وفاة فاطمة بنت أسد قائلا:

اليوم ماتت أمي. و كفّنها بقميصه و اضطجع في لحدها.

و منذ وفاة عبد المطلب بدأت مهمة أبي طالب الشاقّة في المحافظة على النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) فكان يقيه بماله و نفسه و جاهه منذ صغره و يدافع عنه و ينصره بيده و لسانه طوال حياته حتى نشأ محمّد (صلّى اللّه عليه و اله) و تلقّى النبوّة و صدع بالرسالة[[126]](#footnote-126).

ص:62=PAGEص:

2- السفرة الاولى الى الشام:

كان من عادة قريش الخروج الى الشام كل عام مرة للتجارة إذ كانت هي المصدر الرئيس للكسب و عزم أبو طالب على الخروج في هذه الرحلة و لم يكن يفكر في استصحاب محمد (صلّى اللّه عليه و اله) خوفا عليه من وعثاء السفر و مخاطر اجتياز الصحراء، و لكن في لحظة الرحيل غيّر أبو طالب قراره إذ وجد الإصرار لدى ابن أخيه كبيرا حين أغر و رقت عيناه بالدموع لفراق عمه، فكانت الرحلة الاولى لمحمّد (صلّى اللّه عليه و اله) إلى الشام بصحبة عمّه. و اطّلع محمّد في هذه الرحلة على طبيعة السفر عبر الصحراء و عرف طرق سير القوافل.

و في هذه الرحلة شاهد بحيرا الراهب محمّدا و التقى به و وجد فيه علامات النبيّ الخاتم الذي بشّر به عيسى (عليه السّلام)) إذ كان ممن خبر التوراة و الأنجيل و غيرهما من المصادر المبشرة بظهور النبي الخاتم، فنصح عمه أبا طالب أن يعود به إلى مكة و أن يحتاط عليه من اليهود لئلّا يغتالوه‏[[127]](#footnote-127). فقفل أبو طالب راجعا الى مكة و معه ابن أخيه محمّد (صلّى اللّه عليه و اله).

3- رعي الغنم:

لم يرو عن أئمة أهل البيت (عليهم السّلام) ما ينص على أنّ رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) قد رعى الأغنام في صباه، نعم روي عن الإمام الصادق (عليه السّلام)) حديث يعمّ الأنبياء فيما يخص الرعي و حكمة ذلك إذ جاء فيه: «ما بعث اللّه نبيا قط حتى يسترعيه الغنم، يعلّمه بذلك رعيه للناس».

ص:63=PAGEص:

كما روي عنه (عليه السّلام)) في حكمة الحرث و الرعي قوله: «إنّ اللّه عزّ و جلّ أحبّ لأنبيائه من الأعمال: الحرث و الرعي، لئلا يكرهوا شيئا من قطر السماء»[[128]](#footnote-128).

و روي أيضا: إنّ رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) ما كان أجيرا لأحد قط[[129]](#footnote-129).

و يدل هذا النّص على أنّه لم يكن يرعى الغنم لأهل مكة بأجرة كما زعم بعض المؤرخين من أنّه (صلّى اللّه عليه و اله) قد رعى الغنم لأهل مكة مستشهدا بحديث جاء في صحيح البخاري‏[[130]](#footnote-130).

و إذا ثبت لدينا رعيه (صلّى اللّه عليه و اله) للغنم في صباه أو في عنفوان شبابه أمكن تعليل ذلك بما جاء في النصّ الذي أشرنا إليه من حديث الإمام الصادق (عليه السّلام)) و هو الإعداد الإلهي له من خلال ممارسة النشاط الذي يؤهله لبلوغ المرتبة السامية من الكمال الذي وصفه اللّه تعالى به بقوله: وَ إِنَّكَ لَعَلى‏ خُلُقٍ عَظِيمٍ‏[[131]](#footnote-131) كمالا يجعله مستعدا لتحمل أعباء الرسالة الإلهية التي تتطلب رعاية الناس و تربيتهم و الصبر على مصاعب هدايتهم و إرشادهم.

4- حروب الفجار:

كانت للعرب عدّة حروب استحلّت فيها حرمة الأشهر الحرم فسميت بحروب الفجار[[132]](#footnote-132).

و زعم بعض المؤرخين أنّ النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) قد حضر بعض أيامها، و شارك فيها بنحو من المشاركة. و قد شكك بعض المحققين في ذلك لأسباب منها:

ص:64=PAGEص:

اولا: أن الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) كلما تقدم في العمر كانت شخصيته تزداد تألّقا و قد عرف بشجاعته الفائقة كسائر بني هاشم، و لكن هذا لا يعني أنهم شاركوا في حرب فيها ظلم و فساد. فقد روي أن أحدا من بني هاشم لم يحضر هذه الحروب فإن أبا طالب كان قد منع أن يكون فيها أحد منهم حين قال: هذا ظلم و عدوان، و قطيعة رحم، و استحلال للشهر الحرام، و لا أحضره و لا أحد من أهلي‏[[133]](#footnote-133). و انسحب عبد اللّه بن جدعان و حرب بن أمية- و هو قائد قريش و كنانة حينذاك- و قالا: لا نحضر أمرا تغيب عنه بنو هاشم‏[[134]](#footnote-134).

ثانيا: اختلفت الروايات حول الدور الذي أدّاه النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) في هذه الحرب، فبعضهم روى: أنّ عمله (صلّى اللّه عليه و اله) كان يقتصر على مناولة النبل لأعمامه و الردّ على نبل عدوهم و حفظ متاعهم‏[[135]](#footnote-135). و روى آخر: أنّه قد رمى فيها برميات‏[[136]](#footnote-136)، و روى ثالث أنه طعن أبا البراء ملاعب الأسنة فصرعه‏[[137]](#footnote-137) مع أنه كان غلاما[[138]](#footnote-138)، و لا ندري هل كانت العرب تسمح للغلام بخوض المعارك و الحروب‏[[139]](#footnote-139)؟

5- حلف الفضول:

شعرت قريش بعد حرب الفجار بضعفها و تفرّق كلمتها، و خشيت من طمع العرب فيها بعد أن كانت قوية منيعة، فدعا الزبير بن عبد المطلب إلى حلف‏

ص:65=PAGEص:

الفضول حيث اجتمعت بنو هاشم و زهرة و تميم و بنو أسد في دار عبد اللّه بن جدعان، و غمس المتحالفون أيديهم فى ماء زمزم و تحالفوا على نصرة المظلوم، و التأسي بالمعاش، و النهي عن المنكر[[140]](#footnote-140) و كان أشرف حلف في العهد الجاهلي.

و قد شارك محمّد (صلّى اللّه عليه و اله) في هذا الحلف و كان يومئذ قد جاوز العشرين من عمره‏[[141]](#footnote-141) و قد أثنى عليه بعد نبوّته و أمضاه. بقوله: ما أحب أن لي بحلف حضرته في دار ابن جدعان حمر النعم و لو دعيت به في الإسلام لأجبت»[[142]](#footnote-142).

و قيل في سبب تسميته بحلف الفضول أنه قد حضره ثلاثة نفر أسماؤهم مشتقة من مادة «الفضل» و كان السبب في عقد هذا الحلف ما روي من أنه: أتى رجل من زبيد أو من بني أسد بن خزيمة مكة في شهر ذي القعدة ببضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل السهمي و حبس عنه حقه فاستعدى عليه الزبيدي قريشا فأبت الأحلاف من قريش معونة الزبيدي على العاص بن وائل و انتهروه فلما رأى الزبيدي الشرّ صعد على جبل أبي قبيس و استغاث فقام الزبير بن عبد المطلب و دعا إلى الحلف المذكور؛ فعقد، ثم مشوا الى العاص و انتزعوا منه سلعة الزبيدي فدفعوها إليه‏[[143]](#footnote-143).

6- التجارة بأموال خديجة:

بدأت شخصية محمد (صلّى اللّه عليه و اله) تتلألأ في المجتمع المكي بما كانت تتمتع به من خلق رفيع و علو همة و أمانة و صدق حديث فكانت القلوب تنجذب إليه و هو سليل أسرة طاهرة و لكن الفقر الذي كان حليف أبي طالب دفع بالأسرة الكريمة

ص:66=PAGEص:

التي كان يعيش فيها محمد (صلّى اللّه عليه و اله) إلى أن يقترح أبو طالب على ابن أخيه الذي كان قد بلغ الخامسة و العشرين من عمره أن يخرج مضاربا بأموال خديجة بنت خويلد و بادر أبو طالب إلى خديجة و فاتحها بالأمر فرحّبت به على الفور و سرّت سرورا عظيما لما كانت تعرفه عن محمد (صلّى اللّه عليه و اله) و قد بذلت له ضعف ما كانت تبذل لغيره ممّن يخرج في تجارتها[[144]](#footnote-144).

و سافر محمّد (صلّى اللّه عليه و اله) إلى الشام يعينه في رحلته «ميسرة» غلام خديجة و استطاع بجمال شمائله و رقيق عواطفه أن يكسب حبّ ميسرة و إجلاله و استطاع بأمانته و حنكته أن يربح أوفر الربح و ظهرت له في سفره بعض الكرامات الباهرة، فلما عادت القافلة الى مكة أخبر ميسرة خديجة بما شاهد و سمع‏[[145]](#footnote-145) مما زاد في اهتمام خديجة بمحمّد (صلّى اللّه عليه و اله) و شوّقها الى الاقتران به.

و زعم بعض المؤرخين: أنّ خديجة قد استأجرته في تجارتها، بينما قال اليعقوبي- و تاريخه الذي يعدّ من أقدم المصادر المعتمدة- «و إنه ما كان مما يقول الناس: إنها استأجرته بشي‏ء، و لا كان أجيرا لأحد قط»[[146]](#footnote-146).

و قد ورد النصّ عن الإمام الحسن العسكري، عن أبيه الإمام الهادي (عليه السّلام):

«إنّ رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) كان يسافر الى الشام مضاربا لخديجة بنت خويلد»[[147]](#footnote-147).

ص:67=PAGEص:

الفصل الثّالث من الزواج الى البعثة

1- الزواج المبارك:

كان لا بد لمثل شخصية محمد (صلّى اللّه عليه و اله) التى فاقت كلّ شخصيّة من الاقتران بامرأة تناسبه و تتجاوب مع عظيم أهدافه و قيمه تواصل معه رحلة الجهاد و العمل المضنية و تصبر على متاعبه و مصاعبه، و لم يكن يومذاك امرأة تصلح لمحمد (صلّى اللّه عليه و اله) و لهذه المهمة سوى خديجة، و شاء اللّه ذلك فاتجه قلب خديجة بكلّ عواطفه نحو محمد (صلّى اللّه عليه و اله) و تعلق بشخصه الكريم. و لقد كانت خديجة (رضي اللّه عنها) من خيرة نساء قريش شرفا و أكثرهن مالا و أحسنهن جمالا، و كانت تدعى في الجاهلية ب «الطاهرة» و «سيدة قريش». و كان كل رجال قومها حريصين على الاقتران بها.

و قد خطبها عظماء قريش و بذلوا لها الأموال، فرفضتهم جميعا[[148]](#footnote-148) لما كانت تملك من عقل راجح يزن الأمور، و لكنّها اختارت محمدا (صلّى اللّه عليه و اله) لما عرفت فيه من النبل و الأخلاق الكريمة و السجايا الفاضلة و القيم العالية. فطلبت النزول في ساحة عظمته، و عرضت نفسها عليه.

ص:68=PAGEص:

و تظافرت النصوص التأريخية على أنّها هي التي أبدت أوّلا رغبتها في الاقتران به، فذهب أبو طالب في أهل بيته، و نفر من قريش لخطبتها من وليّها آنذاك و هو عمها عمرو بن أسد[[149]](#footnote-149) و كان ذلك قبل بعثة النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) بخمس عشرة سنة على المشهور.

و كان مما قاله أبو طالب في خطبته: «الحمد لربّ هذا البيت، الذي جعلنا من زرع إبراهيم و ذرية إسماعيل و أنزلنا حرما آمنا، و جعلنا الحكّام على الناس، و بارك لنا في بلدنا الذي نحن فيه ... ثمّ إن ابن أخي هذا ممن لا يوزن برجل من قريش إلّا رجح به و لا يقاس به رجل إلّا عظم عنه، و لا عدل له في الخلق و إن كان مقلّا في المال؛ فإن المال رفد جار، و ظل زائل، و له في خديجة رغبة و لها فيه رغبة، و قد جئناك لنخطبها إليك، برضاها و أمرها و المهر عليّ في مالي الذي سألتموه عاجله و آجله ... و له و ربّ هذا البيت حظّ عظيم، و دين شائع و رأي كامل»[[150]](#footnote-150).

لكن خديجة (رضي اللّه عنها) عادت، فضمنت المهر في مالها .. فقال البعض: يا عجبا! المهر على النساء للرجال فغضب أبو طالب، و قال: «إذا كانوا مثل ابن أخي هذا طلبت الرجال بأغلى الأثمان و أعظم المهر، و إن كانوا أمثالكم لم يزوجوا إلّا بالمهر الغالي».

و تفيد بعض المصادر أن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) نفسه قد أمهرها، و لا مانع من ذلك حينما يكون قد أمهرها بواسطة أبي طالب، و من خطبة أبي طالب يمكننا أن نستشف علو مكانة الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) في قلوب الناس، و ما كان يتمتع به بنو هاشم من شرف و سؤدد.

ص:69=PAGEص:

خديجة قبل أن يتزوّجها النبي (صلّى اللّه عليه و اله):

ولدت خديجة وسط اسرة عريقة النسب كانت تتمتّع بالذكر الطيب و الخلق الكريم و تميل إلى التدين بالحنيفية- دين إبراهيم الخليل (عليه السّلام)- فأبوها خويلد نازع ملك اليمن حين أراد أن يحمل الحجر الأسود إلى اليمن، و لم ترهبه كثرة أنصاره دفاعا عن معتقده و مناسك دينه، و أسد بن عبد العزى- جد خديجة- كان من المبرّزين في حلف الفضول الذي قام على أساس نصرة المظلوم، و قد شهد رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) لأهمية هذا الحلف و أيّد القيم التي قام عليها[[151]](#footnote-151). و ابن عمها ورقة بن نوفل كان قد عاشر النصارى و اليهود و درس كتبهم.

إن التأريخ لا يعطينا تفاصيل دقيقة عن حياة خديجة قبل زواجها من النبي (صلّى اللّه عليه و اله). فقد روي أنها تزوجت قبله (صلّى اللّه عليه و اله) برجلين و كان لها منهما بعض الأولاد و هما عتيق بن عائد المخزومي و أبو هالة التميمي‏[[152]](#footnote-152)، في حين تروي مصادر أخرى أن النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) حين تزوج بها كانت بكرا، و حينئذ تكون زينب و رقية ابنتي هالة أخت خديجة قد تبنّتهما خديجة بعد فقدهما لامّهما[[153]](#footnote-153).

و اختلف المؤرّخون في تحديد عمر خديجة (رضي اللّه عنها) حين زواجها مع النبي (صلّى اللّه عليه و اله) فهناك من روى أن عمرها كان (25) عاما و آخر (28) عاما و ثالث (30) عاما و رابع (35) عاما و خامس (40) عاما[[154]](#footnote-154).

ص:70=PAGEص:

2- إعادة وضع الحجر الأسود:

كان للكعبة منزلة كبيرة لدى العرب إذ كانت تعتني بها و تحج إليها في الجاهلية. و قبل البعثة النبوية بخمسة أعوام هدم السيل الكعبة فاجتمعت قريش و قررت بناءها و توسعتها و باشر أشراف القريشيين و المكيين العمل، و لما تكامل البناء و بلغوا الى موضع الحجر الأسود اختلفوا في من يضعه في مكانه؛ فكل قبيلة كانت تريد أن تختص بشرف ذلك و استعدوا للقتال و انضم كل حليف إلى حليفه و تركوا العمل في بنائها ثم اجتمعوا في المسجد فتشاوروا و اتفقوا على ان يكون أول داخل على الاجتماع هو الحكم بينهم و تعاهدوا على الالتزام بحكمه فكان أول داخل محمد بن عبد اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) فقالوا: هذا الأمين قد رضينا به، و أقدم النبي (صلّى اللّه عليه و اله) على حلّ النزاع حين جعل الحجر في ثوب و قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثمّ قال: ارفعوا جميعا ففعلوا فلما حاذوا موضعه أخذه بيده الشريفة و وضعه حيث يجب أن يكون، و بعد ذلك أتمّوا بناءها[[155]](#footnote-155).

و روى بعض المؤرخين: أنهم كانوا يتحاكمون إلى النبي (صلّى اللّه عليه و اله) في الجاهلية لأنّه كان لا يداري و لا يماري‏[[156]](#footnote-156).

لقد كان لهذا الموقف أثر كبير في نفوس تلك القبائل و أعطى الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) رصيدا كبيرا و عمقا جديدا لتثبيت مكانته الاجتماعية و لفت انتباههم إلى قدراته القيادية و كفاءته الإدارية مما ركّز ثقتهم بسموّ حكمته و حنكته و عظيم أمانته.

ص:71=PAGEص:

3- ولادة عليّ (عليه السّلام)) و تربية النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) له:

إنّ العلاقة بين محمّد (صلّى اللّه عليه و اله) و عليّ بن أبي طالب (عليه السّلام)) لا تقتصر على النسب بل تتميّز بأنّها علاقة فكرية و عاطفية عميقة جدا، فما ان خرجت فاطمة بنت أسد تحمل وليدها الذي وضعته في بطن الكعبة[[157]](#footnote-157) حتى تقدّم إليها محمّد المصطفى (صلّى اللّه عليه و اله) و أخذ عليا فضمّه إلى صدره‏[[158]](#footnote-158) و كانت هذه بداية العناية به و الإعداد الخاص له.

و نشأ الوليد في أحضان والديه و ابن عمه محمد (صلّى اللّه عليه و اله) الذي كان يتردد كثيرا على دار عمّه حتى بعد زواجه من خديجة (رضي اللّه عنها)، يشمله بفيض خاص من العواطف و الاهتمام الفائق يناغيه في يقظته و يحمله على صدره، و يحرك مهده عند نومه. و قد انعكست هذه الرعاية المستمرة لسنوات طويلة و هذا الحنان العظيم الملفت للنظر بآثارها على سلوك عليّ و شعوره حتّى طفح على لسانه و كلامه فأشار الى شدة قربه من رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) بقوله (عليه السّلام): «و قد علمتم موضعي من رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) بالقرابة القريبة و المنزلة الخصيصة، و ضعني في حجره و أنا وليد يضمني إلى صدره و يكنفني في فراشه و يمسّني جسده و يشمّني عرفه و كان يمضغ الشي‏ء ثم يلقمنيه، و ما وجد لي كذبة في قول و لا خطلة في فعل، و لقد كنت أتّبعه اتباع الفصيل أثر امه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علما و يأمرني بالاقتداء به»[[159]](#footnote-159).

و حين اشتدت الأزمة الاقتصادية على قريش سارع محمد (صلّى اللّه عليه و اله) مقترحا

ص:72=PAGEص:

على عمّيه حمزة و العباس أن يعينوا أبا طالب في شدّته فأخذ العباس طالبا و أخذ حمزة جعفرا و استبقى أبو طالب عقيلا و أخذ محمد (صلّى اللّه عليه و اله) عليّا و قال لهم: قد اخترت من اختار اللّه لي عليكم: عليا[[160]](#footnote-160).

و هكذا انتقل عليّ (عليه السّلام)) إلى دار ابن عمه و رعايته و أخذت تتبلور شخصيته و لم يفارقه حتى آخر لحظات عمر النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله). أن اهتمام النبي (صلّى اللّه عليه و اله) بعلي (عليه السّلام)) لم يقتصر على فترة الأزمة الاقتصادية و هذا يفيدنا بأنّ النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) كان يهدف أمرا آخر هو أن يتربى عليّ (عليه السّلام)) في حجره (صلّى اللّه عليه و اله) ليعدّه إعدادا خاصا كي يتسنى له القيام بدور رسالي عظيم في صيانة شريعة الرسول الخاتم التي كان اللّه قد اختار لها خير خلقه و صفوة عباده.

و هكذا هيأ اللّه لعلي (عليه السّلام)) أن يعيش منذ نعومة أظفاره في كنف الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) يحظى بمودّته و حنانه، و يقتبس من أخلاقه و عظيم سجاياه. هذا و قد عامله النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) كما لو كان ولده الحبيب .. و عاش علي (عليه السّلام)) مع النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) كلّ التحولات الغيبية التي جرت لرسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) إذ لم يفارقه في كل يومه‏[[161]](#footnote-161).

إن ما حفظه لنا التأريخ من سيرة الإمام علي (عليه السّلام)) يجسد لنا- بعمق و قوة- المدى الذي كان الإمام (عليه السّلام)) قد حظي به في مضمار الإعداد الرسالي على يد الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) قبل البعثة و بعدها و ما خصّه به من إعداد روحي و نفسي ممّا جعله جديرا بالمرجعية الفكرية و العلمية فضلا عن المرجعية السياسية بعد رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله).

ص:73=PAGEص:

4- ملامح من شخصية خاتم الأنبياء (صلّى اللّه عليه و اله) قبل البعثة:

لقد سطع اسم محمّد بن عبد اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) في مجتمع الجزيرة العربية في وقت كان الوهن و التفكك قد بدا على أواصر ذلك المجتمع بكل نواحيه و كانت شخصيّة محمّد بن عبد اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) تزداد تألّقا و سموّا.

و بدأت تظهر استقامة شخصيته في كل جوانب سلوكه و كمالاته الاخلاقية.

الى جانب الأصالة العائلية المتمثلة في كرم المحتد و طهارة المولد يرفده الإمداد الغيبي و التسديد الإلهي الذي يصونه عن كلّ المعاصي و المساوئ.

و لقد كان علي بن أبي طالب أكثر الناس التصاقا و معرفة بالرسول (صلّى اللّه عليه و اله)، و كلامه عن الرسول أصدق قول حيث قال: «و لقد قرن اللّه به (صلّى اللّه عليه و اله) من لدن أن كان فطيما أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، و محاسن أخلاق العالم، ليله و نهاره»[[162]](#footnote-162).

و قد روي عنه (صلّى اللّه عليه و اله) مدى بغضه للأصنام منذ الطفولة ففي قصة سفره إلى الشام مع عمه أبي طالب نجده يرفض أن يقيم وزنا للأوثان‏[[163]](#footnote-163).

لقد اختار محمّد (صلّى اللّه عليه و اله) لنفسه و لبناء شخصيته منهجا خاصّا حقّق له حياة زاخرة بالمعنوية و القيم السامية فلم يكن كلّا على أحد و لا عاطلا عن العمل، فقد رعى الأغنام لأهله حين كان فتى يافعا[[164]](#footnote-164) و سافر للتجارة في عنفوان شبابه‏[[165]](#footnote-165)؛ و في جانب آخر من شخصيته الفذّة نلمس جمال الإنسانية متجليّا في كمال الرحمة

ص:74=PAGEص:

و غاية العطف على الضعفاء و الفقراء و خير نموذج على ذلك تعامله مع زيد بن حارثة الذي رفض العودة الى أبيه و فضّل الحياة الكريمة مع محمد (صلّى اللّه عليه و اله)[[166]](#footnote-166).

و هكذا نعرف أن محمدا (صلّى اللّه عليه و اله) كان قبل بعثته رجلا لبيبا فاضلا رشيدا طوى سنوات شبابه و هو يملك أسمى مقوّمات التعامل الإنساني و الاجتماعي في مجتمع الجزيرة الجاهلي و قد فاق بشخصيته المثلى جميع من سواه في عامة المجتمع الإنساني آنذاك، و بذلك شهد له التنزيل قائلا له: وَ إِنَّكَ لَعَلى‏ خُلُقٍ عَظِيمٍ‏[[167]](#footnote-167)

ص:75=PAGEص:

الباب الثّالث فيه فصول:

الفصل الأول:

البعثة النبوية المباركة و ارهاصاتها الفصل الثاني:

مراحل حركة الرسالة في العصر المكي الفصل الثالث:

موقف بني هاشم و أبي طالب من النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) الفصل الرابع:

سنوات الانفراج حتى الهجرة

ص:77=PAGEص:

الفصل الأوّل البعثة النبوية المباركة و إرهاصاتها

تمثل نصوص القرآن الكريم أقدم النصوص التأريخية التي تتمتع بالصحة و الدقة و المعاصرة لأحداث عصر الرسالة الاسلامية، و المنهج العلمي يفرض علينا أن لا نتجاوز نصوص القرآن الكريم فيما يخص عصر النبي (صلّى اللّه عليه و اله) الذي نزلت فيه الآيات حين بعثته و استمرت بالنزول حتى وفاته.

و اذا عرفنا أن الروايات التأريخية المتمثلة في كتب الحديث و السيرة قد تأخّر تدوينها عن عصر وقوع الحوادث أوّلا، كما أنّها قريبة من الدس و تطرق التزوير اليها ثانيا؛ كان من الطبيعي و المنطقي أن نعرضها على محكمات الكتاب و السنة و العقل لنأخذ ما يوافقها و نرفض ما يخالفها.

و ينبغي أن لا يغيب عنا أن النبوة سفارة ربّانية و مهمة إلهية تتعيّن من قبله سبحانه و تعالى لغرض رفد البشرية بالهداية اللازمة لها على مدى الحياة. و أن اللّه إنما يصطفي من عباده من يتمتّع بخصائص فذة تجعله قادرا على أداء المهامّ الكبرى المرادة منه و تحقيقها بالنحو اللائق.

اذن لا بدّ أن يكون المرسل من قبله تعالى مستوعبا للرسالة و أهدافها و قادرا

ص:78=PAGEص:

على أداء الدور المطلوب منه على مستوى التلقيّ و التبليغ و التبيين و التطبيق و الدفاع و الصيانة و كل هذه المستويات من المسؤولية تتطلب العلم و البصيرة (و المعرفة) و سلامة النفس و صلاح الضمير و الصبر و الاستقامة و الشجاعة و الحلم و الانابة و العبوديّة للّه و الخشية منه و الاخلاص له و العصمة (و التسديد الرباني) على طول الخط. و لم يكن خاتم المرسلين بدعا من الرسل بل هو أكملهم و أعظمهم فهو أجمع لصفات كمالهم و اللّه أعلم حيث يجعل رسالته.

و من أبده القضايا و من مقتضيات طبائع الاشياء أن يكون المرشّح لمهمّة ربانيّة كبرى على استعداد تام لتقبّلها و تنفيذها قبل أن يتولّى تلك المهمة أو يرشّح لأدائها. إذن لا بد للنبي الخاتم أن يكون قد أحرز كل متطلّبات حمل هذه المسؤولية الإلهية و توفّر على كل الخصائص اللازمة لتحقيق هذه المهمة الربانية قبل البعثة المباركة. و هذا هو الّذي تؤيده نصوص القرآن الكريم.

1- قال تعالى: كَذلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَ إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ‏[[168]](#footnote-168).

2- و قال أيضا: وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرى‏[[169]](#footnote-169).

3- و قال أيضا: وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ‏[[170]](#footnote-170).

4- و قال أيضا: وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا وَ أَوْحَيْنا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْراتِ وَ إِقامَ الصَّلاةِ وَ إِيتاءَ الزَّكاةِ وَ كانُوا لَنا عابِدِينَ‏[[171]](#footnote-171).

اذن مصدر الوحي هو اللّه العزيز الحكيم. و المرسلون رجال يوحي اليهم اللّه‏

ص:79=PAGEص:

سبحانه معالم توحيده و عبادته و يجعلهم أئمة يهدون بأمره كما يوحي إليهم تفاصيل الشريعة من فعل الخيرات و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة و هم القدوة لغيرهم في العبادة و التجسيد الحي للاسلام الحقيقي للّه سبحانه.

و فيما يخص خاتم النبيين يقول سبحانه و تعالى:

1- وَ كَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرى‏ وَ مَنْ حَوْلَها وَ تُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لا رَيْبَ فِيهِ ...[[172]](#footnote-172).

2- شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحاً وَ الَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ وَ ما وَصَّيْنا بِهِ إِبْراهِيمَ وَ مُوسى‏ وَ عِيسى‏ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَ لا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ما تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشاءُ وَ يَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ\* .... فَلِذلِكَ فَادْعُ وَ اسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ وَ لا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ وَ قُلْ آمَنْتُ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتابٍ وَ أُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنا وَ رَبُّكُمْ لَنا أَعْمالُنا وَ لَكُمْ أَعْمالُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنا وَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ[[173]](#footnote-173).

3- اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ وَ الْمِيزانَ‏[[174]](#footnote-174).

4- أَمْ يَقُولُونَ افْتَرى‏ عَلَى اللَّهِ كَذِباً فَإِنْ يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلى‏ قَلْبِكَ وَ يَمْحُ اللَّهُ الْباطِلَ وَ يُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِماتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ[[175]](#footnote-175).

5- وَ ما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ ما يَشاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ\* وَ كَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا ما كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتابُ وَ لَا الْإِيمانُ وَ لكِنْ جَعَلْناهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبادِنا وَ إِنَّكَ لَتَهْدِي إِلى‏ صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ‏[[176]](#footnote-176).

إنّ الذين عاصروا الرسول الكريم قبل بعثته و حتى وفاته لم يقدّموا لنا تصويرا صحيحا و واضحا عن الرسول قبل بعثته بل و حين البعثة. و لعلّ أقدم‏

ص:80=PAGEص:

النصوص و أتقنها هو ما جاء عن ربيب الرسول و ابن عمه و وصيّه الذي لم يفارقه قبل بعثته و عاشره طيلة حياته، إلى جانب أمانته في النقل و دقته في تصوير هذه الشخصية الفذة. فقد قال عن الفترة التي سبقت البعثة النبوية و هو يتحدّث عن الرسول (صلّى اللّه عليه و اله):

«و لقد قرن اللّه به (صلّى اللّه عليه و اله) من لدن أن كان فطيما اعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم و محاسن أخلاق العالم. ليله و نهاره. و لقد كنت أتّبعه اتّباع الفصيل أثر امّه.

يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علما. و قد كان يجاور كل سنة بحراء فأراه و لا يراه غيري»[[177]](#footnote-177).

و يتوافق هذا النص مع قوله تعالى: وَ إِنَّكَ لَعَلى‏ خُلُقٍ عَظِيمٍ‏[[178]](#footnote-178). فقد نزل هذا النص في بداية البعثة. و الخلق ملكة نفسية متجذرة في النفس لا تستحدث خلال أيام، فوصفه بعظمة خلقه يكشف عن سبق اتصافه بهذه الصفة قبل البعثة المباركة.

و تتضح بجلاء بعض معالم شخصيته (صلّى اللّه عليه و اله) قبل البعثة من خلال نص حفيده الإمام الصادق (عليه السّلام): ان اللّه عزّ و جلّ أدّب نبيّه فأحسن أدبه فلمّا أكمل له الأدب قال:

وَ إِنَّكَ لَعَلى‏ خُلُقٍ عَظِيمٍ‏ ثم فوّض اليه أمر الدين و الامّة ليسوس عباده‏[[179]](#footnote-179).

على أنّ الخلق العظيم جامع لتمام المكارم التي فسّرها النص الوارد عن النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) حيث يقول: «إنما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق». فكيف يراد له تتميم مكارم الاخلاق و هو لم يتصف بها بعد؟! اذن لا بدّ من القول بأنّ النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) كان قبل البعثة قد أحرز جميع المكارم ليكون وصفه بالخلق العظيم وصفا صحيحا و منطقيا.

ص:81=PAGEص:

فالرسول قبل بعثته كان مثال الشخصية المتّزنة المتعادلة و الواعية المتكاملة و الجامعة لمكارم الأخلاق و معالي الصفات و حميد الأفعال.

و النصوص القرآنية التي تشير الى ظاهرة الوحي الرسالي و كيفية تلقي الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) له تصرّح بشكل لا يقبل الترديد بما كان عليه الرسول من الطمأنينة و الثبات و الاستجابة التامة لأوامر اللّه تعالى و نواهيه التي كان يتلقّاها قلبه الكريم.

لاحظ ما سقناه اليك من نصوص سورة الشورى، و اقرأ أيضا ما جاء في غيرها مثل قوله تعالى:

1- وَ النَّجْمِ إِذا هَوى‏\* ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ وَ ما غَوى‏\* وَ ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى‏\* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى‏\* عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوى‏\* ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوى‏\* وَ هُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلى‏\* ثُمَّ دَنا فَتَدَلَّى\* فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى‏\* فَأَوْحى‏ إِلى‏ عَبْدِهِ ما أَوْحى‏\* ما كَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأى‏[[180]](#footnote-180).

2- قُلْ إِنِّي عَلى‏ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي‏[[181]](#footnote-181).

3- قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحى‏ إِلَيَ‏[[182]](#footnote-182).

4- قُلْ إِنَّما أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ‏[[183]](#footnote-183).

5- قُلْ إِنَّما يُوحى‏ إِلَيَّ أَنَّما إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ[[184]](#footnote-184).

6- وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى‏ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً[[185]](#footnote-185).

ص:82=PAGEص:

7- وَ إِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِما يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي‏[[186]](#footnote-186).

8- قُلْ هذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلى‏ بَصِيرَةٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِي‏[[187]](#footnote-187).

و اذا عرفت ما جاء في هذه النصوص القرآنية المباركة تستطيع أن تولّي وجهك شطر المصادر الحديثية و التأريخية لتقف على محكماتها و متشابهاتها.

قال الامام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة أنّها قالت: «أول ما بدئ به رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلّا جاءت مثل فلق الصبح. ثم حبّب اليه الخلاء. و كان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه ... ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق و هو في غار حراء.

و ليس في بداية هذا النص ما يدعو للاستغراب سوى أن عائشة لم تكن حين بدء الوحي، و النص لا يفصح أنّها عمّن استقت هذه المعلومات؟ و هي لم تروه عن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) مباشرة. و لكن في ذيل النص ما هو مدعاة للاستغراب طبعا.

قالت: «ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي، و هو ابن عم خديجة أخي أبيها، و كان امرءا قد تنصّر في الجاهلية و كان يكتب الكتاب العربي فكتب بالعربيّة من الانجيل- ما شاء اللّه أن يكتب- و كان شيخا كبيرا قد عمي، فقالت خديجة: أي ابن عم اسمع من ابن أخيك، فقال ورقة: ابن أخي! ما ترى؟ فأخبره رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) ما رأى. فقال ورقة: هذا الناموس الذي انزل على موسى (عليه السّلام)، يا ليتني فيها جذعا، ليتني أكون حيّا حين يخرجك قومك، فقال رسول اللّه: «أو مخرجيّ هم؟ فقال ورقة: نعم. لم يأت رجل‏

ص:83=PAGEص:

قط بما جئت به إلّا عودي، و إن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا، ثم لم ينشب ورقة أن توفي»[[188]](#footnote-188).

إن ورقة الذي لم يسلم بعد هو عارف بما سيجري على النبي فضلا عن علمه بنبوته! بينما صاحب الدعوة و الرسالة نفسه لم يتضح له الامر بعد! و كأنّ ورقة هو الذي يفيض عليه الطمأنينة! و القرآن قد صرّح بأنّ النبي (صلّى اللّه عليه و اله) على بيّنة من ربّه، كما عرفت ذلك في أكثر من آية تنصّ على أن الرسل هم مصدر الهداية للناس و هم أصحاب البيّنات و ليس العكس هو الصحيح، بينما يشير هذا الحديث الى أن ورقة هو الذي عرف رسالة النبي قبله فبعث فيه الطمأنينة.

و هذا هو الذي فتح الطريق لأهل الكتاب للغمز في رسالة النبي محمد (صلّى اللّه عليه و اله) إذ قالوا بأن نبيّكم- بموجب نصوصكم هذه- لم يطمئن الى أنه رسول من اللّه إلّا بعد تطمين ورقة المسيحي له، و قد تجرأ البعض حتى ادعى أن محمدا (صلّى اللّه عليه و اله) قسيس من القساوسة الذين ربّاهم ورقة استنادا الى هذا النص الذي نقلته كتب الحديث و تداوله المؤرخون! و هذه ثغرة حصلت من الابتعاد عن محكمات العقل و الكتاب و السنة جميعا.

و هل يصدّق بهذا عاقل عرف المنطق القرآني و تعرّف على شخصية الأنبياء في القرآن الكريم؟ و كيف يمكن له أن يؤمن بمضمون هذا النص على أنه حقيقة؛ لمجرد زعم انتسابه الى عائشة زوجة النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله)؟!

و ثمة نصّ آخر في تاريخ الطبري هو أكثر فظاعة من هذا و أدعى للريب في محتواه حيث يذكر أن النبي (صلّى اللّه عليه و اله) كان نائما و جاءه الملك و علّمه مطلع سورة العلق .. يقول النص بعد ذلك: «و هببت من نومي و كأنما كتب في قلبي كتابا. قال:

ص:84=PAGEص:

و لم يكن من خلق اللّه أحد أبغض إليّ من شاعر أو مجنون، كنت لا أطيق أن أنظر اليهما، قال: قلت: إن الأبعد- يعنى نفسه- لشاعر أو مجنون! لا تحدّث بها عني قريش أبدا! لأعمدنّ الى حالق من الجبل فلأطرحنّ نفسي منه فلأقتلنّها فلأستريحن. قال: فخرجت أريد ذلك حتى إذا كنت في وسط الجبل سمعت صوتا من السماء يقول: يا محمد أنت رسول اللّه و أنا جبريل»[[189]](#footnote-189).

إن اضطراب النبي و خوفه يبلغ به النهاية حتى يريد الانتحار بينما يريد اللّه اختياره للنبوة و هداية الناس و دعوتهم الى الحق، فهل يتناسب ما في الرواية مع هذا الافق الذي هو من الوضوح بمكان؟!

و هكذا نستطيع أن نعرض نصوص التاريخ على محكمات العقل و الكتاب و السنّة لنخرج بنتائج واضحة تاركين ما لا يصمد أمام النقد العلمي البنّاء.

و بعد ملاحظة النصوص الصريحة من الكتاب العزيز إذا لا حظنا ما ورد في بعض مصادر الحديث و السيرة مما يرتبط باللقاء الأول للرسول (صلّى اللّه عليه و اله) مع الوحي الإلهي و ما رافقه من غرائب تأباها النصوص القرآنية، جاز لنا أن نطمئن الى تسرّب الاسرائيليات اليها.

و يحسن بنا أن نقارن بين هذا النص الروائي و بين نص آخر ورد في بحار الأنوار للعلّامة المجلسي (رضوان اللّه تعالى عليه) فيما يخصّ ارهاصات الوحي الرسالي و ما تبعه من نتائج لوحظت على نفس الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) و شخصيته و سلوكه.

فعن الإمام علي بن محمد الهادي (عليهما السّلام): أنّ رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) لمّا ترك التجارة الى الشام و تصدّق بكل ما رزقه اللّه تعالى من تلك التجارات كان يغدو كل يوم الى حراء يصعده و ينظر من قلله الى آثار رحمة اللّه، و إلى أنواع عجائب رحمته و بدائع حكمته و ينظر إلى أكناف السماء و أقطار الأرض و البحار و المفاوز و الفيافي، فيعتبر بتلك الآثار، و يتذكّر

ص:85=PAGEص:

بتلك الآيات، و يعبد اللّه حقّ عبادته.

فلمّا استكمل أربعين سنة و نظر اللّه عزّ و جلّ إلى قلبه فوجده أفضل القلوب و أجلّها و أطوعها و أخشعها و أخضعها أذن لأبواب السماء ففتحت و محمّد ينظر إليها، و أذن للملائكة فنزلوا و محمّد ينظر إليهم، و أمر بالرحمة فانزلت عليه من لدن ساق العرش إلى رأس محمد و غرّته، و نظر إلى جبرئيل الروح الأمين المطوّق بالنور طاووس الملائكة هبط إليه و أخذ بضبعه‏[[190]](#footnote-190) و هزّه و قال:

يا محمد اقرأ، قال: و ما اقرأ؟ قال يا محمّد اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ\* خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ\* اقْرَأْ وَ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ\* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ\* عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ‏[[191]](#footnote-191).

ثمّ أوحى إليه ما أوحى إليه ربّه عزّ و جلّ ثمّ صعد إلى العلو.

و نزل محمّد (صلّى اللّه عليه و اله) من الجبل و قد غشيه من تعظيم جلال اللّه و ورد عليه من كبير شأنه ما ركبه الحمّى و النافض ... و قد اشتدّ عليه ما يخافه من تكذيب قريش في خبره و نسبتهم إيّاه إلى الجنون، و إنّه يعتريه شياطين، و كان من أوّل أمره أعقل خلق اللّه، و أكرم براياه، و أبغض الأشياء إليه الشيطان و أفعال المجانين و أقوالهم، فأراد اللّه عزّ و جلّ أن يشرح صدره؛ و يشجّع قلبه، فأنطق اللّه الجبال و الصخور و المدر، و كلّما وصل إلى شي‏ء منها ناداه:

السلام عليك يا محمّد، السلام عليك يا وليّ اللّه، السلام عليك يا رسول اللّه أبشر، فإنّ اللّه عزّ و جلّ قد فضّلك و جمّلك و زيّنك و أكرمك فوق الخلائق أجمعين من الأوّلين و الآخرين، لا يحزنك أن تقول قريش إنّك مجنون، و عن الدين مفتون، فإنّ الفاضل من فضّله ربّ العالمين، و الكريم من كرّمه خالق الخلق أجمعين، فلا يضيقنّ صدرك من تكذيب قريش و عتاة العرب لك، فسوف يبلغك ربّك أقصى منتهى الكرامات، و يرفعك إلى أرفع الدرجات، و سوف ينعّم و يفرّح أولياءك بوصيّك عليّ بن أبي طالب، و سوف يبثّ علومك‏

ص:86=PAGEص:

في العباد و البلاد بمفتاحك و باب مدينة حكمتك: علي بن أبي طالب، و سوف يقر عينك ببنتك فاطمة، و سوف يخرج منها و من عليّ: الحسن و الحسين سيّدي شباب أهل الجنّة، و سوف ينشر في البلاد دينك و سوف يعظّم اجور المحبّين لك و لأخيك، و سوف يضع في يدك لواء الحمد فتضعه في يد أخيك عليّ، فيكون تحته كلّ نبيّ و صدّيق و شهيد، يكون قائدهم أجمعين إلى جنّات النعيم‏[[192]](#footnote-192).

و حين نقارن بين هذا النص الروائي و ما سبقه مما رواه الطبري نلاحظ البون الشاسع و الفرق الكبير بين الصورتين عن بداية البعثة و شخصية الرسول (صلّى اللّه عليه و اله). فبينما كانت تصوّره الرواية الاولى: شاكّا و مضطربا- اضطرابا ناشئا عن الجهل بحقيقة ما يجري له!- تصوّره الرواية الأخيرة: عالما مطمئنا متفائلا بمستقبل رسالته منذ بداية الطريق. و هذه الصورة هي التي تنسجم مع محكمات الكتاب و السنّة و التاريخ.

ص:87=PAGEص:

الفصل الثّاني مراحل حركة الرسالة في العصر المكي‏

1- بناء الخلية الإيمانية الاولى:

و بعد اللقاء الأوّل مع وحي النبوّة أخذت تتدرّج الآيات القرآنية بالنزول، و يبدو أنه بعد أن نزلت عليه الآيات الاولى من سورة المزمل شرع النبي (صلّى اللّه عليه و اله) يهيّ‏ء نفسه للخطوات التالية في طريق نشر الرسالة الإسلامية و بناء المجتمع الإسلامي، و كان عليه أن يعدّ العدّة لمواجهة الصعاب الكثيرة و المشاكل المتوقّعة، و أن يحكم خطّته و اسلوبه في العمل.

إنّ أوّل ما بدأ به هو دعوة أهل بيته. أمّا خديجة (رضي اللّه عنها) فكان من الطبيعي أن تصدّق النبي (صلّى اللّه عليه و اله) حيث عاشرته عمرا طويلا و وجدت فيه منتهى السموّ الأخلاقي و الطهر الروحي و التعلق بالسماء.

و لم يتكلّف النبي (صلّى اللّه عليه و اله) جهدا في دعوة ابن عمه و ربيبه علي بن أبي طالب (عليه السّلام) الذي كان يحمل بين جوانحه قلبا طاهرا لم تلوّثه عبادة الأصنام قطّ، فبادر إلى التصديق به فكان أوّل القوم إسلاما[[193]](#footnote-193).

و كان اختيار النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) لعلي صائبا و موفّقا لما كان يملكه عليّ (عليه السّلام) من مؤهلات الطاعة و الانقياد و القوة و الاندفاع في الوقت الذي كان النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) بأمسّ‏

ص:88=PAGEص:

الحاجة الى الناصر و المؤازر، فكان علي (عليه السّلام) يمثّل ذراع النبوة في تبليغ الرسالة منذ انطلاقتها و العين الباصرة، و لسان الدعوة الناطق بها.

فأوّل من آمن علي (عليه السّلام) حيث كان يرافق النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) في خلواته في حراء ثمّ خديجة و هما أوّل من صلّى مع رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) بعد أن كانا يوحّدان اللّه كالنبي (صلّى اللّه عليه و اله) متحدّين قوى الشرك و الضلالة.[[194]](#footnote-194) ثم التحق بهم زيد بن حارثة فكانوا هم المجموعة الخيّرة و النواة الأولى التي انفلق منها المجتمع الإسلامي.

2- أدوار العصر المكّي:

لقد مرّ تبليغ الرّسالة الاسلامية على يدي النبيّ العظيم بثلاثة أدوار على الأقل حتى تهيّأت الظروف لتأسيس أوّل دولة إسلامية مباركة و هي كما يلي:

1- دور إعداد القاعدة الأولى للرسالة الاسلامية. و اصطلح البعض على هذا الدور بدور الخفاء أو دور الدعوة الخاصة.

2- دور الدعوة المحدودة بالأقربين و الصراع المحدود مع الوثنية.

3- دور الصراع الشامل.

3- دور إعداد القاعدة الاولى:

تحرك النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) داعيا إلى الإسلام بعد أن أمره اللّه تعالى بالقيام و الانذار[[195]](#footnote-195) ساعيا لبناء كتلة إيمانية تكون بؤرة نور و إشعاع لهداية المجتمع و استمر الحال هكذا حوالي ثلاث سنين مسددا بالغيب معصوما من الزلل.

و كان التحرك الرسالي هذا محفوفا بالمخاطر و الصعوبات و لكنه كان متقنا متكاملا.

ص:89=PAGEص:

و كان من اسلوب الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) في هذه المرحلة من الدعوة أن ينوّع الاختيار من حيث الانتماء القبلي و الموقع الجغرافي و العمر لأتباعه ليوضح شمولية الرسالة و يضمن لها الانتشار في المجتمع الى أقصى ما يمكن؛ فاستجاب له- في بداية البعثة- المستضعفون و الفقراء إذ كانت الرسالة الإسلامية منطلقا نحو التسامي و الحياة الكريمة و الأمان، كما استجاب له من الأشراف من كان ذا نفس طيّبة و عقل منفتح و رغبة ففي السلوك النزيه.

و لم يتحسّس جبابرة قريش خطورة الرسالة و حسبوا أن الأمر لا يعدو تكهّنات و تأملات لها سوابق اندثرت؛ فلم يشدّدوا على محاربتهم للرسالة للقضاء عليها في مهدها.

و في هذا الوقت القصير استطاع الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) أن يصوغ من النفوس التي آمنت برسالته عناصر فعالة تحمل قيم الرسالة لتنطلق بها للناس، و هم أشد حرصا على إسلامهم و أكثر يقينا بإيمانهم مستنكرين بذلك ما كان عليه آباؤهم من شرك و خلق منحرف حتى تزايد الاستعداد لديهم لتحمل آثار الجهر بالرسالة.

و يروى أن النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) و أصحابه- في هذه الفترة- كانوا إذا جاء وقت العصر تفرقوا في الشعاب فصلّوا فرادى و مثنى، فبينما رجلان من المسلمين يصليان في بعض شعاب مكة اذ ظهر عليهما رجلان من المشركين- كانا فاحشين- فناكراهما و عابا عليهما ما يصنعان ثم تضاربوا، و انصرفا[[196]](#footnote-196).

و يبدو تكرر مثل هذه المواجهة مع المشركين‏[[197]](#footnote-197). من هنا استعان النبي (صلّى اللّه عليه و اله) ببعض الدور للتخفي لممارسة العبادة و الاتصال المنتظم به (صلّى اللّه عليه و اله) بعيدا

ص:90=PAGEص:

عن أنظار قريش فكانت دار الأرقم بن أبي الارقم‏[[198]](#footnote-198) خير ملجأ للمسلمين حينئذ.

4- دور المواجهة الاولى و إنذار الأقربين:

و حين شاع خبر الإسلام في أرجاء الجزيرة العربية و في الوقت الذي بلغت فيه الفئة المؤمنة المستوى الروحي الذي يؤهلها لخوض الصراع كان لا بد من الانتقال الى مرحلة الاعلان العام و أول خطواته إنذار الأقربين في مجتمع تسوده الاعتبارات القبلية فمن الأولى إنذارهم قبل إنذار الناس كافة، فكان نزول الأمر الإلهي: وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ‏[[199]](#footnote-199)؛ من هنا دعا النبي (صلّى اللّه عليه و اله) عشيرته الأقربين و أوضح لهم أمر الرسالة و هدفها و مستقبلها و كان فيهم من يرتجى خيره و يؤمل إيمانه. و لئن نهض أبو لهب معلنا المعاداة و الكراهية فقد تبنّى أبو طالب (عليه السّلام) دعم النبي (صلّى اللّه عليه و اله) و حماية رسالته.

و قد روي أنّه ما إن نزلت الآية المباركة أمر النبي (صلّى اللّه عليه و اله) عليا باعداد وليمة ثمّ دعا عشيرته و كانوا أربعين رجلا، و ما إن تأهب الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) للحديث حتى قاطعه عمه عبد العزّى- المعروف بأبي لهب- و حذّره من الاستمرار في التبليغ و الإنذار، و حال دون تحقيق هدف الرسول فانفضّ المجلس. و لمّا كان من غد جدّد النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) أمره لعلي و دعوته لعشيرته و بعد أن فرغوا من الطعام بادرهم (صلّى اللّه عليه و اله) بقوله: «يا بني عبد المطلب إني و اللّه ما أعلم شابا في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، إني جئتكم بخير الدنيا و الآخرة و قد أمرني اللّه عز و جل أن أدعوكم إليه فأيّكم يؤمن بي و يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي و وصيي و خليفتي فيكم؟» فسكتوا جميعا إلّا علي بن أبي طالب إذ نهض قائلا: «أنا يا رسول اللّه أكون‏

ص:91=PAGEص:

وزيرك على ما بعثك اللّه». فأمره رسول اللّه بالجلوس، و كرر الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) دعوته؛ فلم يجبه غير علي (عليه السّلام) ملبيا الدعوة معلنا المؤازرة و النصرة. و عندها التفت رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) الى الحاضرين من عشيرته و قال: «إن هذا أخي و وصيي و خليفتي فيكم (أو عليكم) فاسمعوا له و أطيعوا». فنهض القوم من مجلسهم و هم يخاطبون أبا طالب ساخرين: «قد أمرك أن تسمع لابنك و تطيع»[[200]](#footnote-200).

5- دور المواجهة الشاملة

و رغم احتياطات النبي (صلّى اللّه عليه و اله) في المرحلة السابقة و تجنّبه الدخول في مواجهة مباشرة له أو لأحد من المسلمين مع قوى الشرك و الوثنية فإنه كان يتعرّض خلالها للنقد و اللوم اللاذع له و لبقيّة المسلمين.

و كان لدعوة بني هاشم الى الدين الجديد الأثر البالغ و الذكر الشائع في أوساط القبائل العربية فقد تبين لهم صدق و جدّية النبوة التي أعلنها محمّد (صلّى اللّه عليه و اله) و آمن بها من آمن.

و بانقضاء السنوات الثلاث- أو الخمس- من بداية الدعوة نزل الأمر الإلهي بالصدع بالرسالة الإلهية و الإنذار العام ليخرج الأمر عن الاتصال الفردي الذي كان يتمّ بعيدا عن الأنظار، فيدعو الجميع الى رسالة الاسلام و الايمان باللّه الواحد الأحد، و قد وعد اللّه نبيّه (صلّى اللّه عليه و اله) بتسديد خطاه في مواجهة المستهزئين و المعاندين في قوله تعالى: فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ\* إِنَّا كَفَيْناكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ‏[[201]](#footnote-201).

فتحرك النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) صادعا بأمر اللّه بثقة مطلقة و عزيمة راسخة متحديا كل‏

ص:92=PAGEص:

قوى الشر و الشرك، و قام على الصفا و نادى قريشا من كل ناحية فأقبلوا نحوه فقال (صلّى اللّه عليه و اله): «أرأيتكم إن أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم ما كنتم تصدقونني؟

قالوا: بلى، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد». فنهض أبو لهب ليرد على رسول اللّه فقال: تبالك سائر هذا اليوم ألهذا جمعتنا؟!- فأنزل اللّه تعالى: تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَ‏[[202]](#footnote-202).

لقد كان هذا إنذارا صارخا أفزع قريشا إذ أصبح تهديدا علنيا لكل معتقداتهم و تحذيرا من عاقبة مخالفتهم لأمر الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) ... و اتضح أمر الدين الجديد لأهل مكة بل كل أطراف الجزيرة إذ أدركوا أنّ انقلابا حقيقيا سيحلّ بمسيرة البشرية و يرفع من شأنها في القيم و الثقافة و المعايير و المواقع الاجتماعية وفق تعاليم السماء و ينسف الشر من جذوره فكانت المواجهة مع قادة الشرك و الطغيان مواجهة حقيقية لا يمكن أن تنتهي إلى نقاط وفاق.

و خلال هذه الفترة دخل في الإسلام عدد من العرب و غير العرب حتى بلغوا أربعين رجلا، و لم تتمكن قريش من تحطيم هذه النهضة الفتية إذ إن المؤمنين ينتمون إلى قبائل شتى، من هنا توسّلت قريش بالمواجهة السلميّة ابتداء.

و لكن أبا طالب ردّهم ردّا جميلا، فانصرفوا عنه (صلّى اللّه عليه و اله)[[203]](#footnote-203).

ص:93=PAGEص:

الفصل الثّالث موقف بني هاشم من النبي (صلّى اللّه عليه و اله)

دفاع أبي طالب عن الرسول و الرسالة:

لم ينثن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) عن الاستمرار في نشر الرسالة الإسلامية بل اتسع نشاطه و كثرت تحركاته و تحركات أتباعه المؤمنين به و ازدادت جاذبية الدين الجديد في نظر الناس، و قد بدت قريش تظهر غيظها و تسعى لتجد السبل لإيقاف هذا المدّ الجديد (الإسلام)، و القضاء عليه فعاودت مساعيها عند أبي طالب مرّة اخرى باذلة مغرياتها تارة لإقناع الرسول بالعدول عن دعوته و التراجع عن دينه و تارة اخرى بالتهديد و الوعيد فقالوا له: يا أبا طالب إن لك سنا و شرفا و منزلة فينا، و إنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنّا و إنا و اللّه لا نصبر على هذا من شتم آباءنا و تسفيه أحلامنا و عيب آلهتنا، حتى تكفه عنا، أو ننازله و إياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين.

و من جهته أدرك زعيم بني هاشم قرار قريش الصارم و عدم تورعها عن سلوك كل السبل للقضاء على ابن أخيه و رسالته الفتية فحاول تهدئة الموقف مرة ثانية و تسكين غضب قريش حتى يعالج الموقف مع ابن اخيه، و لكن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) أصرّ على مواصلة تبليغه للرسالة الإسلامية تنفيذا لأوامر اللّه مهما كانت الظروف و النتائج فقال (صلّى اللّه عليه و اله): «يا عم و اللّه لو وضعوا الشمس في يميني و القمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره اللّه أو أهلك فيه ما تركته»، ثم اغر و رقت عيناه‏

ص:94=PAGEص:

الشريفتان بالدموع و قام ليذهب فتأثر أبو طالب لذلك و هو يعلم صدق ابن أخيه و يؤمن به فقال له: إذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت فو اللّه لا أسلمك لشي‏ء أبدا.

و لم تفتر قريش عن غيّها فمشت مرة أخرى إلى أبي طالب (عليه السّلام) تطمعه بخذلان رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) فتعطيه أجمل فتيان مكة بدل ابن أخيه ليسلّمه أبو طالب إليهم فقالوا له: يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى في قريش و أجمله، فخذه فلك عقله و نصره، و اتخذه ولدا فهو لك، و أسلم إلينا ابن أخيك هذا، الذي فرّق جماعة قومك، و سفّه أحلامهم فنقتله فإنما هو رجل برجل، فردّهم أبو طالب مستاءا من هذه المساومة الظالمة فقال: هذا و اللّه لبئس ما تسومونني، أتعطوني إبنكم أغذوه لكم، و اعطيكم ابني تقتلونه، هذا و اللّه ما لا يكون أبدا. فقال المطعم ابن عدي بن نوفل: و اللّه يا أبا طالب لقد أنصفك قومك، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئا، فأجابه أبو طالب قائلا: و اللّه ما أنصفوني و لكنّك قد أجمعت خذلاني و مظاهرة القوم عليّ فاصنع ما بدا لك‏[[204]](#footnote-204).

و بذا أيقنت قريش بأنّه لا سبيل لهم لإرضاء أبي طالب بخذلان رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله)، و سارع أبو طالب لاتخاذ تدابير احترازية ليضمن سلامة ابن أخيه و استمراره في نشر رسالته حين وجد الشرّ في نفوس قريش، فدعى بني هاشم و بني عبد المطلب لمنع رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) و حفظه و القيام دونه، فاستجابوا له سوى أبي لهب، و أكبر أبو طالب موقف بني هاشم فشجعهم و أثار فيهم العزيمة على الاستمرار في حماية النبي (صلّى اللّه عليه و اله)[[205]](#footnote-205).

ص:95=PAGEص:

موقف قريش من الرسالة و الرسول (صلّى اللّه عليه و اله):

نزلت آيات كثيرة من القرآن الكريم خلال أربع سنوات من حركة الرسالة تضمنت بيان عظمة التوحيد و الدعوة إليه و الإعجاز البلاغي و الإنذار و الوعيد لمخالفيه فتناقلتها الألسن و حوتها قلوب المؤمنين و انجذب إليها القاصي و الداني لاستماعها و استيعابها.

و لما كان للبلاغة أكبر الأثر في النفوس قررت قريش و هي تحاول احتواء حركة النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) بوسائل متعددة أن تمنع النبي (صلّى اللّه عليه و اله) من الاتصال بالجماهير و عرض دعوته عليهم أن لا يستمع القادم إلى مكة لما نزل من آيات القرآن، بعد أن فشلت في محاولة إغراء النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) بالملك و السلطان عليهم و الأموال الطائلة و الشرف و السؤدد. ثم أردفوا ذلك بتشكيكهم في صحة دعوته؛ زاعمين أن الذي يعتري النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) إنّما هو حالة مرضية يسعون لعلاجها، فأجابهم النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) جوابا فيه كل الخير و الشرف و النجاة لهم فقال (صلّى اللّه عليه و اله): كلمة واحدة تقولونها تدين لكم بها العرب و تؤدي اليكم بها العجم الجزية ... ففزعوا لكلمته و حسبوا أنها نهاية المطاف فقالوا: نعم و أبيك عشرا ... قال (صلّى اللّه عليه و اله): لا إله إلا اللّه ... فكان الردّ مفاجئة قوية خذلتهم فقاموا مستكبرين و هم يردّدون: أَ جَعَلَ الْآلِهَةَ إِلهاً واحِداً إِنَّ هذا لَشَيْ‏ءٌ عُجابٌ‏[[206]](#footnote-206).

و عندها قرروا أن يلجأوا الى الإهانة و السخرية من النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) و أتباعه الذين بدأوا يتزايدون كل يوم و تتعمق دعوته المباركة في النفوس فكان من أفعالهم قيام أبي لهب و زوجته أم جميل بطرح الشوك على باب بيت النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله)

ص:96=PAGEص:

اذ كان بيته يجاورهم‏[[207]](#footnote-207). و أخذ أبو جهل يتعرض للنبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) فيؤذيه بقوله الفاحش و لكن اللّه كان للظالمين بالمرصاد إذ ما كان من حمزة عم النبي (صلّى اللّه عليه و اله) حين علم بذلك إلّا أن ردّ على أبي جهل إهانته أمام الملأ من قريش معلنا إسلامه و تحدّيه لجمعهم أن يردّوا عليه أو أن يتعرضوا ثانية للرسول (صلّى اللّه عليه و اله)[[208]](#footnote-208).

الكفر يأبى الانصياع لصوت العقل:

تصورت قريش أنها بدهائها تستطيع أن تثني النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) عن رسالته، و قد بان لها استجابة الناس لدعوته المباركة. من هنا اقترح عتبة بن ربيعة- حين اجتمعت وجوه قريش- أن يذهب الى النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) ليحدّثه كي يكفّ عن دعوته، فمشى إليه و النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) جالس- وحده- في المسجد، و امتدح النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) و مكانته في قريش و عرض عليه عروضه و النبي (صلّى اللّه عليه و اله) ينصت مستمعا فقال: يا ابن أخي إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا و إن كنت تريد به شرفا سوّدناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك، و إن كنت تريد به ملكا ملّكناك علينا، و إن كان هذا الذي يأتيك رئيّا تراه لا تستطيع ردّه عن نفسك طلبنا لك الطبّ و بذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ... و لما أتم كلامه قال (صلّى اللّه عليه و اله): أقد فرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم، قال (صلّى اللّه عليه و اله): فاسمع مني ثم تلا قوله تعالى: حم\* تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ\* كِتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ\* بَشِيراً وَ نَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ\* وَ قالُوا قُلُوبُنا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونا إِلَيْهِ‏[[209]](#footnote-209) و استمر النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) يقرأ الآيات الكريمة فانبهر عتبة لما سمع و ألقى يديه خلف‏

ص:97=PAGEص:

ظهره معتمدا عليها. ثم سجد رسول اللّه عند آية السجدة. ثم قال (صلّى اللّه عليه و اله): قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت و ذاك.

فلم يحر عتبة جوابا و قام إلى قومه فلما جلس إليهم قال: إني قد سمعت قولا و اللّه ما سمعت مثله قط، و اللّه ما هو بالشّعر و بالسّحر و لا بالكهانة. يا معشر قريش أطيعوني و اجعلوها بي، و خلّوا بين هذا الرجل و بين ما هو فيه فاعتزلوه».

و لكن أنى للقلوب الميتة أن تستجيب فقالوا: سحرك و اللّه يا أبا الوليد بلسانه قال: هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم‏[[210]](#footnote-210).

الاتّهام بالسّحر:

أرادت قريش أن لا تختلف كلمتها و لا تفقد مكانتها في محاربة الرسالة الإسلامية و في نفس الوقت أن توقف سريان الرسالة الى نفوس الناس و موسم الحج على الأبواب فرأت أن تتخذ وسيلة تبدو فيها محافظتها على مكانتها الوثنية و إضعاف دور الرسول و مكانته فاجتمعوا الى الوليد بن المغيرة لكبر سنّه و سعة معرفته لاتخاذ قرار بذلك فاختلفت أقوالهم بين أن يدّعوا أنّه كاهن أو مجنون أو شاعر أو مريض تعتريه الوسوسة أو ساحر، ثم أرجعوا القول للوليد فقال: و اللّه إنّ لقوله لحلاوة و إن أصله لعذق و إن فرعه لجناة و ما أنتم بقائلين في هذا شيئا إلّا عرف أنّه باطل و إنّ أقرب القول فيه أن تقولوا: ساحر جاء بقول هو سحر يفرّق به بين المرء و أبيه و بين المرء و أخيه و بين المرء و زوجه، فتفرّقوا يندسّون بين الناس يبثّون شائعتهم الخبيثة[[211]](#footnote-211).

ص:98=PAGEص:

التعذيب وسيلة لقمع المؤمنين:

لقد عجزت قوى الكفر و الشرك أن تثني الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) و أصحاب الحق عن الاستمرار في نشر الرسالة الإسلامية، مثلما عجزت عقولهم عن إدراك التوحيد و الإيمان، و راحت كل جهودهم لإيقاف الرسالة أو تشويهها سدى فلم يجدوا بدّا من اتخاذ العنف و القسوة و التعذيب وسيلة لمحاربة أصحاب العقيدة فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين فجعلوا يحبسونهم و يعذبونهم بالضرب و فرض الجوع و العطش عليهم، محاولين أن يفتنوهم عن دينهم و رسالة ربّهم.

فهذا أمية بن خلف يخرج بلالا إلى رمضاء مكة إذا حميت الظهيرة ليمارس تعذيبه بأبشع صورة، و هذا عمر بن الخطاب يعذب جارية له- لإسلامها- ضربا حتى إذا عجز قال: إني أعتذر إليك، إني لم أتركك إلّا ملالة، و هذه بنو مخزوم يخرجون عمّارا و أباه و أمه يعذبونهم في رمضاء مكة فيمرّ بهم رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) فيقول: «صبرا آل ياسر موعدكم الجنّة»، حتى بلغ من تعذيبهم أن استشهدت سمية أم عمار[[212]](#footnote-212) على أيديهم فكانت أول شهيدة في الاسلام.

و إذا حاولنا أن نرسم صورة عامّة لأساليب مواجهة قريش للرسالة و الرسول و أتباعه فنستطيع أن نلخّص مراحل المواجهة في ما يلي:

1- كان الاستهزاء و السخرية بشخصية النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) و إضعاف مكانته في نفوس الناس من أبسط الأساليب. و قد مارس هذا الدور الوليد بن المغيرة (والد خالد)، و عقبة بن أبي معيط، و الحكم بن العاص بن أمية، و أبو جهل.

و لكن التسديد الإلهي أحبط كل مساعيهم فقد قال القرآن الكريم:

ص:99=PAGEص:

إِنَّا كَفَيْناكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ‏[[213]](#footnote-213)، وَ لَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ‏[[214]](#footnote-214).

2- إهانة النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) شخصيا لإضعافه. فقد روي أنّهم ألقوا الفرث و السلى عليه (صلّى اللّه عليه و اله)، فغضب عمه أبو طالب حين علم بذلك و ردّ الإهانة عليهم، و يعتبر موقف أبي جهل و ردّ حمزة بن عبد المطلب عليه شاهدا آخر.

3- محاولات الإغراء بالملك و السيادة و بذل الأموال الطائلة.

4- الاتهامات الباطلة: بالكذب و السحر و الجنون و الشعر و الكهانة. و قد تحدث القرآن عن كلّ ذلك.

5- الطعن في القرآن الكريم، فقد اتهموا النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) بتقوّله و افترائه على اللّه فتحدّاهم القرآن بأن يأتوا بمثله. على أن النبيّ كان قد أمضى عمرا بينهم لم يعرف بما اتهموه به.

6- استخدام التعذيب و قتل المؤمنين برسالته.

7- الحصار و المقاطعة الشاملة.

8- التخطيط لقتل صاحب الرسالة[[215]](#footnote-215).

و قد تصدّى النبي (صلّى اللّه عليه و اله) لكل هذه الأساليب بما يحقق للرسالة أهدافها مسدّدا بالوحي الذي كان يرعى حركة الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) خير رعاية.

ص:100=PAGEص:

الهجرة الى الحبشة و إيجاد قاعدة آمنة:

لقد أدرك رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) بعد عامين من الجهر بالرسالة أن لا قدرة له على حماية المسلمين من العناء الذي يصيبهم من طغاة قريش و زعماء الوثنية.

و حيث اشتدّ العنف من المشركين و صناديدهم تجاه المستضعفين من المسلمين حثّ رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) المسلمين المضطهدين على الهجرة إلى الحبشة ليعطيهم بذلك فترة استراحة و استعادة نشاط ليعودوا ثانية لمواصلة مسيرة الرسالة الإسلامية أو يفتحوا جبهة جديدة للصراع مع قريش بعد أن يحدثوا مركزا للضغط من خارج الجزيرة على مواقع قريش و عسى اللّه أن يحدث- خلال ذلك- أمرا كان مفعولا إذ أخبرهم (صلّى اللّه عليه و اله) «أن في الحبشة ملكا لا يظلم عنده أحد» فاستجاب المسلمون لذلك و تسلل عدد منهم صوب الساحل فعبروا البحر غير أن قريشا لاحقتهم و لكن لم يدركهم طلبها و تتابع المهاجرون منفردين أو مع أهليهم، حتى اجتمعوا بأرض الحبشة بضعة و ثمانين مهاجرا عدا أبنائهم الصغار و أمّر رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) عليهم جعفر بن أبي طالب‏[[216]](#footnote-216).

لقد كان اختيار الحبشة دارا للهجرة خطوة موفقة من خطوات الرسول القيادية نظرا للصفة التي وصف بها ملكها في الحديث المروي عن النبي (صلّى اللّه عليه و اله)، و تيسّر السفر إليها بالسفن، فضلا عن العلاقات المذهبية الطيبة التي أرادها الاسلام أن تكون بين الإسلام و النصرانية.

و قد أقلق قريشا أمر الهجرة إلى الحبشة فخشيت العاقبة و ساءها أن يأمن حملة الرسالة الإسلامية هناك، فأرسلت عمرو بن العاص و عمارة بن الوليد إلى‏

ص:101=PAGEص:

النجاشي و حمّلتهما الهدايا في محاولة منها لإقناع النجاشي بالتخلي عن جوارهم و إعادتهم إليها، و استطاعا أن ينفذا الى بطارقة الملك و إقناعهم بضرورة مساعدتهم لاسترداد المسلمين، لكن الملك أبى ذلك إلّا بعد أن يسمع رأي المسلمين في التهمة الموجهة إليهم بأنهم قد ابتدعوا دينا جديدا لهم.

و شملت العناية الإلهية ذلك اللقاء، فقد انبرى جعفر بن أبي طالب ليجيب بكلام رائع ينفذ إلى قلب النجاشي عن ماهية الدين الجديد فيزداد اقتناعه بحمايتهم. و كانت كلمات جعفر بن أبي طالب كالصاعقة على رؤوس الوفد القرشي الذي لم تنفعه هداياه لإنجاح خطته الشيطانية، و أصبحوا في موقف الذليل أمام النجاشي في الوقت الذي سطع فيه نجم المسلمين و قويت حجتهم مما دلّ على عظيم أثر التربية التي كان قد بذلها رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) للنهوض بالإنسان في الفكر و المعتقد و السلوك، فلم يهتز المسلمون ثانية عند ما حاول وفد قريش أن يثير فتنة عن ما جاء به القرآن حول عيسى (عليه السّلام)، و لكن النجاشي قال للمسلمين:

اذهبوا فأنتم آمنون، عند ما سمع آيات اللّه يرددها جعفر بن أبي طالب ردّا على سؤاله‏[[217]](#footnote-217).

عندها أيقنت قريش بفشل مساعيها لاسترداد المسلمين حين عاد اليها وفدها خائبا، و قرّر زعماؤها أن يضيّقوا على من عندهم من المسلمين بالمأكل و المشرب و أن يحظروا كل أنواع التعامل الاجتماعي معهم حيث لم يتخلّ أبو طالب و بنو هاشم عن نصرة النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) و دعمه الشامل.

ص:102=PAGEص:

الحصار الظالم و موقف بني هاشم:

و لمّا لم يستجب أبو طالب لقريش، و أصرّ على حماية الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) مهما كان الثمن، كتبت قريش صحيفتها الظالمة[[218]](#footnote-218) بالمقاطعة الشاملة في البيع و الشراء و المخالطة و الزواج.

و وقّعت الصحيفة من قبل أربعين زعيما من زعماء قريش.

و عمد أبو طالب إلى الشعب مع ابن أخيه و بني هاشم و بني المطلب حيث كان أمرهم واحدا. و قال: نموت من عند آخرنا قبل أن يوصل إلى رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله)، و خرج أبو لهب إلى قريش فظاهرهم على بني المطلب، و دخل الشعب من كان من هؤلاء مؤمنا كان أو كافرا[[219]](#footnote-219).

و كان لا يصل إلى المسلمين خلالها شي‏ء إلّا سرّا، يحمله إليهم مستخفيا من أراد مساعدتهم من قريش بدافع من عصبية أو نخوة أو عطف.

و بعد أن مضت على المقاطعة ثلاث سنين و قاسى خلالها المسلمون و النبي الأكرم (صلّى اللّه عليه و اله) آلاما قاسية من الجوع و العزلة و الحرب النفسية، أرسل اللّه دودة الأرضة على صحيفتهم المعلقة في جوف الكعبة فأكلتها جميعا غير كلمة «باسمك اللهم».

و أنبأ اللّه رسوله (صلّى اللّه عليه و اله) فأخبر عمه أبا طالب بالأمر فخرج مع النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) إلى المسجد الحرام فاستقبله و جهاء قريش ظنا منهم بأن الاستسلام يقودهم الى التخلّي عن موقفهم من الرسالة فقال لهم أبو طالب: إن ابن أخي أخبرني بأن اللّه قد سلّط على صحيفتكم الأرضة فأكلتها غير اسم اللّه، فإن كان صادقا نزعتم عن سوء

ص:103=PAGEص:

رأيكم و إن كان كاذبا دفعته إليكم ... قالوا: قد أنصفتنا، ففتحوها، فوجدوا الأمر كما قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) فنكسوا رؤوسهم حياءا و خجلا لما حلّ بهم‏[[220]](#footnote-220).

و روي أيضا أن بعض رجال قريش و شبابها ساءهم أمر القطيعة و معاناة بني هاشم من المتاعب و الشدائد في الشعب فتعاقدوا فيما بينهم لتمزيق الصحيفة و إنهاء المقاطعة و واجهوا المتعنتين منهم، ففتحوا الصحيفة فوجدوا حشرة الأرضة قد أكلتها[[221]](#footnote-221).

و مهما كان فإن قريشا قد أخزاها اللّه مرة اخرى و لكنها لم ترتدع عن عداوتها للرسول و الرسالة.

عام الحزن:

و في السنة العاشرة من البعثة خرج المسلمون من الحصار و هم أصلب عودا و أغنى تجربة و أكثر قدرة على التحرك صوب الهدف الذي آلوا على أنفسهم أن لا يتخلوا عنه رغم كل الصعاب. و كان من أثر الحصار أن اشتهر ذكر الإسلام و المسلمين و انتشر في كل أرجاء الجزيرة العربية و كانت أمام رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) مهام صعبة، منها: الانفتاح بصورة أوسع خارج نطاق مكة، و محاولة إيجاد أكثر من مكان آمن تتحرك من خلاله الرسالة الإسلامية.

و لكن الرسالة الإسلامية تعرضت لأخطر محنة في مسيرتها في مكة عند ما توفّي أبو طالب، سندها الاجتماعي الأول و المدافع القوي عن الرسول و الرسالة، و بعده بأيام توفيت امّ المؤمنين خديجة ثاني سندي الرسول (صلّى اللّه عليه و اله). و لشدة تأثير

ص:104=PAGEص:

الحادثتين في مسيرة الرسالة الإسلامية سمّى رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) ذلك العام ب «عام الحزن»، و صرّح قائلا: «ما زالت قريش كاعّة عنّي حتى مات أبو طالب»[[222]](#footnote-222).

و من جرأة قريش على النبي (صلّى اللّه عليه و اله) عند ذاك أن قام أحدهم و نثر التراب على رأسه الشريف و هو مارّ إلى بيته. فقامت إليه ابنته فاطمة (عليها السّلام) لتنفض التراب عنه و هي تبكي فقال لها (صلّى اللّه عليه و اله): «يا بنية لا تبكي فإن اللّه مانع أباك»[[223]](#footnote-223).

الاسراء و المعراج:

و في هذه الفترة كانت حادثة الإسراء و المعراج تثبيتا للرسول (صلّى اللّه عليه و اله) على طريق المقاومة الطويل، و تكريما له في أعقاب سنين طويلة من العمل و الصمود، و تتويجا لهذه المصاعب و الآلام المريرة مع قوى الشرك و الضلالة، رفعه اللّه الى قلب السموات، ليريه جوانب من عظمة ملكه الباهرة في الكون الشاسع و ليطلعه على أسرار الخليقة و مصير الإنسان الصالح و الطالح.

و في الوقت نفسه كانت بمثابة امتحان لقدرات اصحابه على تصور المدى الذي يكافحون فيه مع رسولهم و قائدهم من أجل إبلاغ الرسالة و بناء الإنسان الصالح، و إبتلاءا صعبا لأصحاب النفوس الضعيفة.

و لم تستطع قريش المشركة أن تدرك المعاني السامية في أمر الإسراء فما حدّثهم رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) عن ذلك حتى راحوا يسألون عن الصورة المادية من أمر الإسراء و إمكانية تحققها و الأدلة على ذلك- فقال بعضهم: و اللّه إن العير لتطّرد شهرا من مكة الى الشام مدبرة و شهرا مقبلة، أيذهب محمد ذلك في ليلة واحدة

ص:105=PAGEص:

و يرجع؟! و وصف لهم رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) المسجد الأقصى وصفا دقيقا، و ذكر لهم أنّه مرّ بقافلة و هم يطلبون بعيرا قد ضلّ لهم، و في رحلهم قعب ماء كان مكشوفا و قد غطّاه كما كان.

و سألوه عن قافلة اخرى فقال: مررت بها بالتنعيم، و بيّن لهم أحمالها و هيئاتها و قال: يقدمها بعير بصفة كذا و سيطلع عليكم عند طلوع الشمس. فجاء كل ما قاله صحيحا كما أخبر به‏[[224]](#footnote-224).

ص:107=PAGEص:

الفصل الرّابع سنوات الانفراج حتى الهجرة

الطائف ترفض الرسالة الإسلامية[[225]](#footnote-225):

أدرك رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) أن أذى قريش سيزداد، و أن خطط المشركين و مساعيهم للقضاء على الرسالة لن تتوقف، فقد زال غطاؤها الأمني بوفاة أبي طالب و لا بد للرسالة الإسلامية أن تنفتح على جبهة أوسع. و في الوقت الذي استطاع فيه رسول اللّه أن يبني الإنسان الرسالي سعى لتهيئة قاعدة تتضح فيها معالم الاستقرار و النظام في محيط يمارس فيه الفرد حياته و علاقاته مع ربه و الناس و لينطلق بعد ذلك إلى بناء الحضارة الإسلامية الإنسانية وفق تعاليم السماء، فوقع اختياره على الطائف حيث تقطن ثقيف كبرى القبائل العربية بعد قريش. و لما انتهى إليها وحده أو بمرافقة زيد بن حارثة أو بمرافقة زيد و علي‏[[226]](#footnote-226)، عمد إلى نفر من ثقيف و هم يومئذ سادتها و أشرافها، فجلس إليهم و دعاهم إلى اللّه، و عرض عليهم المهمة التي جاء من أجلها و هي أن ينصروه في دعوته و يمنعوه من قومه فلم يعبأوا لدعوته وردوا عليه ساخرين فقال أحدهم: إنني أمزق ثياب الكعبة إن كان اللّه أرسلك، و قال آخر: و اللّه لا أكلمك أبدا و لئن كنت رسولا من اللّه كما تقول‏

ص:108=PAGEص:

لأنت أعظم خطرا من أن أردّ عليك الكلام و لئن كنت تكذب على اللّه ما ينبغي لي أن أكلمك. و ردّ الآخر قائلا: أعجز على اللّه أن يرسل غيرك؟![[227]](#footnote-227).

بعد هذا الرد الجاف و العنيف قام (صلّى اللّه عليه و اله) من عندهم بعد أن طلب منهم أن يكتموا ما جرى بينه و بينهم؛ إذ كره أن يبلغ قريش ذلك فيجرّئهم عليه، لكن زعماء ثقيف لم يستجيبوا لطلبه و أغروا به سفهاءهم و عبيدهم فأخذوا يسبّونه و يصيحون به، و يرمونه بالحجارة، فلم يكن يرفع قدما و يضع اخرى إلّا على الحجارة حتى اجتمع عليه الناس و ألجأوه إلى بستان لعتبة و شيبة ابني ربيعة، و كانا هناك فتفرق عنه سفهاء الطائف، و قدماه تنزفان دما، فعمد إلى ظل كرمة و نادى ربّه: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، و قلة حيلتي، و هواني على الناس يا أرحم الراحمين، أنت ربّ المستضعفين و أنت ربّي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك غضب عليّ فلا ابالي و لكن عافيتك هي أوسع لي».

و لم يلق رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) إلّا التفاتة عطف من رجل نصراني ضعيف وجد في رسول اللّه ملامح النبوة[[228]](#footnote-228).

و حين انصرف رسول اللّه من الطائف راجعا الى مكة بعد أن يئس من خير ثقيف كان محزونا حيث لم يستجب له أحد فنزل نخلة (بين مكة و الطائف). و في جوف الليل و حين كان يصلّي مرّ به نفر من الجن و استمعوا للقرآن فلمّا فرغ من صلاته ولّوا الى قومهم منذرين بعد أن آمنوا به و أجابوا الى ما سمعوا، و قصّ اللّه خبرهم عليه قائلا: وَ إِذْ صَرَفْنا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ‏ الى قوله تعالى:

وَ يُجِرْكُمْ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ‏[[229]](#footnote-229).

ص:109=PAGEص:

الانفتاح على الرسالة و معوّقاتها في مكة:

لقد كانت حركة الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) جهادا رساليا متكاملا، و كان منطقه و سلوكه و خلقه يحاكي الفطرة السليمة و الأخلاق السامية، يناشد الحق في النفوس ليحييها و يدعو إلى الفضيلة لتنعم البشرية بها و لهذا لم ييأس الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) رغم اضطهاد قريش و قسوتها معه و صد الطائف و جفوتها، إذ كان يتحرك بين الناس و يدعو الجميع إلى دين اللّه و لا سيّما في مواسم العمرة و الحج حيث تتوفّر فيها فرص تبليغية عظيمة فكان (صلّى اللّه عليه و اله) يقف على منازل القبائل من العرب و يقول: «يا بني فلان إني رسول اللّه إليكم يأمركم أن تتعبدوا إليه و لا تشركوا به شيئا و أن تؤمنوا بي و تصدقوني و تمنعوني حتى ابيّن عن اللّه ما بعثني به»[[230]](#footnote-230).

و كرّر رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) مساعيه بالتحرّك على عدة قبائل غير آبه بما يلاقي من ردّ قاس أو اعتذار جميل. على أن بعضهم وجد في الانتماء إلى الإسلام مشروعا سياسيا لبلوغ السلطان فحاول أن يساوم و لكن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) ردّهم بلسان لا يعرف المساومة و التخاذل و لم يرد انتهاز الفرص على حساب المبادئ فقال (صلّى اللّه عليه و اله): «الأمر إلى اللّه يضعه حيث يشاء»[[231]](#footnote-231).

و في أثناء ذلك ربما مشى «أبو لهب» خلف النبي (صلّى اللّه عليه و اله) يثبّط الناس عن متابعته فيقول: يا بني فلان إن هذا إنما يدعوكم أن تسلخوا اللات و العزى من أعناقكم إلى ما جاء به من البدعة و الضلالة فلا تطيعوه و لا تسمعوا منه‏[[232]](#footnote-232).

ص:110=PAGEص:

و في جانب آخر تقوم أم جميل في وسط النساء فتسخر من النبي (صلّى اللّه عليه و اله) و دعوته المباركة لتمنع النساء من متابعته.

و لم يتيسر للنبي (صلّى اللّه عليه و اله) أن يقنع القبائل بالرسالة الإسلامية إذ أن قريشا كانت تتمتع بالمكانة الدينية من بين القبائل الاخرى لما كانت تقوم به من سدانة البيت الحرام كما أنّها كانت تدير مركزا تجاريا و اقتصاديا مهما في الجزيرة العربية و كانت لقريش أيضا شبكات من العلاقات و الأحلاف مع ما كان يحيط بها من القبائل الأخرى التي كان النبي (صلّى اللّه عليه و اله) قد عرض عليهم دعوته، فكان من الصعب كسر كل تلك القيود و إلغاء هيمنة قريش فكان تردد الناس في قبول الرسالة الاسلامية واضحا، و خشيت قريش رغم ذلك من تحرّك النبي (صلّى اللّه عليه و اله) و قوة دعوته فالتجأت إلى اسلوب مبرمج يمكن أن تقبله العقول الوثنية فاتفقوا على دعاية ينشرونها بين الناس فقالوا: إنه ساحر في بيانه يفرّق بين المرء و زوجه و بين الإنسان و أخيه. و لم تفلح قريش في مسعاها حين كانت تنكشف عظمة الرسول و الرسالة لكل من يلتقي بالنبي (صلّى اللّه عليه و اله)[[233]](#footnote-233).

بيعة العقبة الاولى:

كان النبي (صلّى اللّه عليه و اله) لا يدّخر وسعا و لا يتوانى في السعي لنشر الرسالة الإسلامية و دعوة أي عنصر يرى فيه الأمل و الخير أو يجد فيه التأثير و النفوذ ممن كان يقدم الى مكة لحاجة ما. و قد كانت مدينة يثرب تعيش صراعا سياسيا و عسكريا بين أقوى قطبين فيها و هما الأوس و الخزرج، و كان يؤجج هذا الصراع عناصر من اليهود- بخبثهم و دسائسهم- في جو من ضياع القانون الإلهي.

و التقى النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) مع بعض شخصيات يثرب ممن جاء يبحث عن‏

ص:111=PAGEص:

تحالف يزيد قوته، فما برحوا حتى تغلغل أثر الرسالة و صدق النبوة في نفوسهم، ففي إحدى اللقاءات تحدث النبي (صلّى اللّه عليه و اله) الى جماعة من بني عفراء- و هم ينتسبون إلى الخزرج- فعرض عليهم الإسلام و تلا عليهم شيئا من القرآن، فوجد في عيونهم التجاوب و في قلوبهم اللهفة لسماع المزيد من الآيات ... و تأكدوا من حديث النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) أنه هو النبي الذي يقصده اليهود حينما كانوا يتوعدون به المشركين في يثرب كلما وقع شر بينهم فيقولون لهم: إن نبيا قد بعث الآن و قد أطلّ زمانه و سنتبعه و نقتلكم قتل عاد و إرم‏[[234]](#footnote-234).

فأعلنوا في الحال إسلامهم و كانوا ستة أشخاص و قالوا للنبيّ (صلّى اللّه عليه و اله): إنا قد تركنا قومنا و لا قوم بينهم من العداوة و الشر مثل ما بينهم و عسى اللّه أن يجمعهم بك و سنقدم عليهم و ندعوهم إلى أمرك و إلى الدين الذي أجبناك عليه.

ثم انصرفوا راجعين إلى يثرب و شرعوا يتحدثون عن النبي (صلّى اللّه عليه و اله) و الرسالة و الأمل القادم لبناء حياة يسودها الأمن و السعادة، حتى فشا أمر الرسالة الإسلامية بينهم و لم يبق دار من دور يثرب إلّا و فيها ذكر لرسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله)[[235]](#footnote-235).

و ما أسرع ما انقضت الأيام فلما كان موسم الحج للعام الحادي عشر من البعثة النبوية قدم وفد من أوس يثرب و خزرجها- و هم اثنا عشر رجلا- من بينهم الستة الذين أسلموا من قبل و التقوا برسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) سرا في العقبة- و هي المنفذ الذي يجتازه القادمون من يثرب صوب مكة- و أعلنوا هذه المرة بيعتهم للنبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) على أن لا يشركوا باللّه شيئا، و لا يسرقوا، و لا يزنوا، و لا يقتلوا أولادهم و لا يأتوا ببهتان يفترونه بين أيديهم و أرجلهم و لا يعصوه في‏

ص:112=PAGEص:

معروف‏[[236]](#footnote-236).

و لم يشأ النبي (صلّى اللّه عليه و اله) أن يحملهم أكثر من ذلك، و أرسل معهم الشاب المسلم مصعب بن عمير إلى يثرب لكي يتولى شؤون التبليغ و التثقيف العقائدي بينهم، و بذا تمّت بيعة العقبة الاولى.

بيعة العقبة الثانية:

تحرك مصعب بين أزقة يثرب و في مجتمعاتها يتلو آيات اللّه و يحرك الأفئدة و العقول بالقرآن حتى آمن بالرسالة الإسلامية عدد كبير من الناس.

و قد أحدث الإسلام في النفوس شوقا كبيرا للقاء النبي (صلّى اللّه عليه و اله) و التزود من معينه و الطلب الجادّ بالهجرة إليهم.

و عند ما اقترب موسم الحج من السنة الثانية عشرة من البعثة خرجت وفود الحجيج من يثرب و معها وفد المسلمين البالغ ثلاثا و سبعين رجلا و امرأتين فواعدهم رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) أن يلتقي بهم عند العقبة- جوف الليل فى أواسط أيام التشريق- و كتم مسلمو يثرب أمرهم.

و ما إن مضى من الليل ثلثه و في غفلة عن العيون حتى تسلل المسلمون من أخبيتهم و اجتمعوا في انتظار رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) فجاء و معه بعض أهل بيته فبدأ الاجتماع و تكلم القوم، ثم تحدث رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) فتلا شيئا من القرآن و دعا إلى اللّه و رغّب في الإسلام.

و تمّت البيعة هذه المرّة صريحة واضحة مكتملة على كلّ جوانب الاسلام و أحكامه و في السلم و الحرب معا. فقال (صلّى اللّه عليه و اله): ابايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم و أبناءكم. فقاموا و بايعوا رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله).

ص:113=PAGEص:

و ظهر شعور بالقلق من جانب مسلمي يثرب فقال أبو الهيثم ابن التيهان: يا رسول اللّه إنّ بيننا و بين الرجال- يعني اليهود- حبالا و إنا قاطعوها فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك، ثم أظهرك اللّه أن ترجع إلى قومك و تدعنا؟ فتبسّم الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) و قال: بل الدم الدم و الهدم الهدم احارب من حاربتم و اسالم من سالمتم‏[[237]](#footnote-237).

ثم ان رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) قال: أخرجوا إليّ منكم اثني عشر نقيبا ليكونوا على قومهم بما فيهم فأخرجوا منهم تسعة من الخزرج و ثلاثة من الأوس، فقال لهم رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله): أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم و أنا كفيل على قومي‏[[238]](#footnote-238).

و بالإرشاد الحكيم و الاستخدام الحصيف لكل الإمكانات و بالوعي السياسي العميق خطا الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) بالرسالة نحو الأمام يسدده الوحي الإلهي في كل ذلك، و أذن (صلّى اللّه عليه و اله) للمبايعين أن يعودوا إلى رحالهم من دون أن يواجهوا المشركين بالقوة فلم يأذن اللّه بالقتال.

و أدركت قريش بوادر الخطر المحدق بها من نصرة مسلمي يثرب للنبي (صلّى اللّه عليه و اله) فأقبلوا و الشر و الغضب يتملّكانهم كي يحولوا بين النبي (صلّى اللّه عليه و اله) و المسلمين لكن حمزة و عليا (عليهما السّلام) كانا بوّابة الأمان لاجتماع العقبة فرجعت قريش خائبة منكسرة[[239]](#footnote-239).

ص:114=PAGEص:

الاستعداد للهجرة الى يثرب:

انتبهت قريش و خرجت من غفلتها فقد انفتح باب الرجاء في الغلبة، في وجه المسلمين فراحت تزيد من استخدام القسوة و التنكيل و الاضطهاد للمسلمين في محاولة منها للقضاء عليهم قبل استفحال الأمر، فشكا المسلمون ذلك لرسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) و استأذنوه للخروج من مكة فاستمهلهم أياما ثم قال: «لقد أخبرت بدار هجرتكم و هي يثرب فمن أراد الخروج فليخرج إليها[[240]](#footnote-240). و في رواية اخرى: «إن اللّه قد جعل لكم دارا تأمنون بها و إخوانا»[[241]](#footnote-241).

و شرع بعض المسلمين يخرجون من مكة إلى يثرب سرّا كي لا يثيروا هواجس قريش، و بدأت طرقات مكة و بيوتها و نواديها تشهد يوما بعد يوما غيابا مستمرا لأصحاب رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله). أمّا هو فكان ينتظر الأمر الإلهي بالهجرة و ليضمن سلامة و دقة هجرة المسلمين. و أدركت قريش هدف النبي (صلّى اللّه عليه و اله) و خطته فسعت إلى منع المسلمين من الخروج من مكة و لحقت بالمهاجرين مستخدمة أساليب الإغراء و التعذيب لإعادتهم إلى مكة.

و كانت قريش حريصة في أن يبقى الأمن سائدا في مكة مما جعلها تخشى عواقب قتل المهاجرين خشية وقوع الحرب بينها و بينهم فاكتفت بالتعذيب و الحبس للمسلمين.

نعم كانت قريش تحسب ألف حساب لخروج رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) إلى يثرب فقد أصبح للمسلمين اليد العليا هناك فإذا لحق بهم النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) و هو المعروف بالثبات و حسن الرأي و التدبير و القوة و الشجاعة حينئذ سوف تحل الكارثة

ص:115=PAGEص:

بالمشركين عامة و بقريش بشكل خاص.

و سارع رؤساء قريش لعقد اجتماع لهم في دار الندوة للبحث عن حلّ يواجهون به الخطر المحدق بهم فتعددت الأراء و تضاربت و كان من بين الحلول المقترحة حبسه و تكبيله بالأغلال أو نفيه بعيدا عن مكة في منقطع الصحراء، و لكن رأيا بقتله و تفريق دمه بين القبائل- لتعجز بنو هاشم عن المطالبة بدمه- هو الذي حاز الموافقة و الإعجاب‏[[242]](#footnote-242)، فإنهم إن قتلوا الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) فقد قضوا على الرسالة الإسلامية و هي في مهدها.

و جاء الأمر الإلهي يأمر رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) بالتحرك و الهجرة الى يثرب و كانت تلك الإشارة التي ينتظرها الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) بشوق بالغ ليحطّ قدمه على أرض يتمكن فيها من بناء دولة على أعمدة التقوى و تعاليم السماء و إنشاء المجتمع الإنساني الصالح.

و بعد أن دبّر المشركون خطّتهم و أحكموها نزل أمين الوحي «جبرئيل» على رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) و أخبره بما حاك المشركون ضدّه من مؤامرة إذ قرأ عليه قوله تعالى: وَ إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَ يَمْكُرُونَ وَ يَمْكُرُ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ‏[[243]](#footnote-243).

و رغم يقينه الكامل بأن الإمداد الغيبي يرعاه و يسدد خطاه لم يتعجل الحركة، و لم يرتجل الخطوات بل خطط و دبّر ببصيرة و حنكة و سرية تامة.

ص:116=PAGEص:

المؤاخاة قبل الهجرة:

لقد آخى رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) بين المهاجرين كنقطة انطلاق نحو المجتمع الإسلامي المتماسك يتعاونون كجسد واحد لمصلحة الإسلام و إعلاء كلمة اللّه حيث سيواجه المسلمون مصاعب جمّة يستلزم تجاوزها التعاون و التعاضد بأعلى مراتبه.

و كخطوة أولى في طريق الهجرة المباركة آخى رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) بين المهاجرين بعلاقة إيمانية إلهية على الحق و المؤاساة مؤاخاة ينعكس أثرها على التعامل فيما بينهم بالانسجام و الصمود بعيدا عن النوازع النفسية، فلقد آخى (صلّى اللّه عليه و اله) بين أبي بكر و عمر، و بين حمزة و زيد بن حارثة و بين الزبير و ابن مسعود و بين عبيدة بن الحارث و بلال.

كما آخى بين علي (عليه السّلام) و نفسه الشريفة (صلّى اللّه عليه و اله) ... و قال لعلي (عليه السّلام): أما ترضى أن أكون أخاك؟ قال (عليه السّلام): بلى يا رسول اللّه رضيت. و هنا قال (صلّى اللّه عليه و اله): فأنت أخي في الدنيا و الآخرة[[244]](#footnote-244).

ص:117=PAGEص:

الباب الرّابع فيه فصول:

الفصل الأول:

تأسيس الدولة الإسلامية الاولى الفصل الثاني:

الدفاع عن كيان الدولة الفتيّة الفصل الثالث:

تظاهر قوى الشرك و الرد الإلهي الحاسم‏

ص:119=PAGEص:

الفصل الأوّل تأسيس الدولة الإسلامية الاولى‏

1- الهجرة الى يثرب:

لكي تتكامل حركة الرسالة و تتحقق النبوّة أهدافها الربّانية المنشودة لا بد أن تسدد و تؤيد بقوى الخير و عناصر تملك اليقين المطلق بالعقيدة و تنذر نفسها لتلك العقيدة و تستعد للتضحية على الدوام مع مؤهلات تصونها من الانحراف.

لقد كان علي بن أبي طالب (عليه السّلام) ذلك العنصر الفذّ الذي قال له رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله): «يا علي إنّ قريشا اجتمعت على المكر بي و قتلي و إنه أوحي إليّ عن ربي أن أهجر دار قومي، فنم على فراشي و التحف ببردي الحضرمي لتخفي بمبيتك عليهم أثري فما أنت قائل و صانع؟»

فقال علي (عليه السّلام): أو تسلمنّ بمبيتي هناك يا نبي اللّه؟

قال: نعم، فتبسم علي (عليه السّلام) ضاحكا مسرورا و أهوى إلى الأرض ساجدا شاكرا للّه تعالى لما أنبأه رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) من سلامته و قال (عليه السّلام): إمض لما امرت فداك سمعي و بصري و سويداء قلبي‏[[245]](#footnote-245).

ص:120=PAGEص:

و خرج رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) بعد منتصف الليل من داره تحيط به العناية الإلهية مخترقا طوق قوات الشرك المحيطة بداره تاركا عليا في فراشه.

و كم كانت خيبة أعداء اللّه حين اقتحموا دار النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) صباحا شاهرين سيوفهم تفوح منها رائحة الموت، و يفيض الحقد من وجوههم يتقدمهم خالد بن الوليد، فوثب علي (عليه السّلام) من مضجعه في شجاعة فائقة فارتد القوم على أدبارهم و تملّكتهم دهشة و ذهول و هم يرون كيف خيّب اللّه سعيهم و أنقذ نبيّه (صلّى اللّه عليه و اله).

و توسّلت قريش بطغيانها بكل حيلة لتردّ هيبتها الضائعة لعلّها تدرك محمدا (صلّى اللّه عليه و اله) فأرسلت العيون، و ركبت في طلبه الصعب و الذلول حتّى وضعت مئة ناقة جائزة لمن يأتي بمحمد حيا أو ميتا. و قادهم الدليل الحاذق مقتفيا أثر قدم الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) إلى باب غار ثور- حيث كان قد اختبأ فيه النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) و معه أبو بكر- فانقطع عنه الأثر فقال: ما جاوز محمد و من معه هذا المكان، إما أن يكونا صعدا إلى السماء أو دخلا في الأرض.

و في داخل الغار كان أبو بكر قد غلبه خوف كبير و هو يسمع صوت قريش تنادي: اخرج يا محمد، و يرى أقدامهم تقترب من باب الغار و رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) يقول: «لا تحزن إن اللّه معنا».

و عادت قريش بخفيّ حنين فهي لم تدرك أن النبي (صلّى اللّه عليه و اله) في الغار إذ رأت العنكبوت قد نسج بيته على باب الغار و عندها بنت الحمامة عشها و باضت فيه.

و في المساء التقى علي و هند بن أبي هالة بالنبي (صلّى اللّه عليه و اله) بعد أن علما بمكانه و قد أدلى النبي (صلّى اللّه عليه و اله) بوصاياه لعلي (عليه السّلام) بحفظ ذمته و أداء أمانته- إذ كان محمد (صلّى اللّه عليه و اله) مستودع أمانات العرب- و أمره أن يبتاع رواحل له و للفواطم و يلحق به (صلّى اللّه عليه و اله) فقال له مطمئنا: «إنهم لن يصلوا من الآن إليك يا علي بأمر تكرهه حتى تقدم عليّ، فأدّ أمانتي على أعين الناس ظاهرا ثم إني مستخلفك على فاطمة ابنتي و مستخلف ربي‏

ص:121=PAGEص:

عليكما و مستحفظه فيكما»[[246]](#footnote-246).

و بعد ثلاثة أيام حين عرف النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) أنّه قد سكن الناس عن طلبه، تحرّك نحو يثرب مسرعا، لا يعبأ بمشقة مستعينا باللّه واثقا من نصره.

و حينما وصل منطقة (قباء) تريّث فيها أياما ينتظر قدوم ابن عمّه علي ابن أبي طالب و الفواطم عليه ليدخلوا جميعا يثرب التي كانت تموج بالفرح و البهجة لقدوم النبي (صلّى اللّه عليه و اله) في حين دخل صاحب النبي و رفيق سفره إلى يثرب تاركا الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) في قباء!

و ما إن وصل علي بن أبي طالب (عليه السّلام) منهكا من تعب الطريق و مخاطره- حيث كانت قريش قد تعقّبتهم حين علمت بخروجه بالفواطم- اعتنقه رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) و بكى رحمة لما به‏[[247]](#footnote-247).

و أقام رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) ب (قباء) عدة أيام و كان أوّل عمل قام به هو كسر الأصنام‏[[248]](#footnote-248) ثم أسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة فأدركته صلاة الظهر في بطن وادي (رانوناء) فكانت أول صلاة جمعة في الإسلام و خرج مسلمو يثرب بزينتهم و سلاحهم يستقبلون رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) و يحيطون بركبه و كل يريد أن يتطلع إليه و يملأ عينيه من هذا الرجل الذي آمن به و أحبه‏[[249]](#footnote-249).

و ما كان يمر رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) بمنزل أحد من المسلمين إلّا و يأخذ بزمام ناقته و يعرض عليه المقام عنده و هو يقابلهم بطلاقة الوجه و البشر و تجنبا من إحراج أحد منهم كان (صلّى اللّه عليه و اله) يقول: خلّوا الناقة إنّها مأمورة.

ص:122=PAGEص:

و أخيرا بركت الناقة عند مربد يعود لغلامين يتيمين من بني النجار أمام دار أبي أيوب الأنصاري فأسرعت زوجته فأدخلت رحل رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) في دارها فنزل عندهم رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) إلى أن تمّ بناء المسجد النبوي و بيته (صلّى اللّه عليه و اله)[[250]](#footnote-250).

و قد غيّر النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) اسم يثرب الى (طيبة)[[251]](#footnote-251) و اعتبر هجرته اليها مبدءا للتأريخ الاسلامي‏[[252]](#footnote-252).

2- بناء المسجد:

لقد اجتاز النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) بالمسلمين دائرة بناء الفرد، و بوصوله الى يثرب شرع في التخطيط لتكوين الدولة التي تحكمها قوانين السماء و الشريعة الإسلامية السمحاء و من ثم بناء الحضارة الإسلامية لتشمل كل الإنسانية في مرحلة ما بعد الدولة.

و من اولى العقبات أمام تأسيس الدولة الإسلامية وجود النظام القبلي الذي كان يحكم العلاقات في مجتمع الجزيرة، كما أن ضعف المسلمين كان لا بد له من معالجة واقعية، فكان المنطلق بناء المسجد ليكون مكانا لمهام متعددة، و مركزا للسلطة المركزية التي تدير شؤون الدولة. و تمّ تعيين الأرض و شرع المسلمون بهمّة و شوق في العمل الجادّ لبناء المسجد و ما يتطلبه من مستلزمات، و كان الرسول هو القدوة و الأسوة و منبع الطاقة التي تحرّك المسلمين في العمل فشارك بنفسه في حمل الحجارة و اللبن، و بينما هو (صلّى اللّه عليه و اله) ذات مرة ينقل حجرا على بطنه استقبله اسيد بن حضير فقال: يا رسول اللّه أعطني أحمل عنك قال (صلّى اللّه عليه و اله): لا، اذهب‏

ص:123=PAGEص:

فاحمل غيره.

و تمّ أيضا بناء دار للرسول (صلّى اللّه عليه و اله) و لأهل بيته و لم يكن البناء ذا كلفة كبيرة فقد كان بسيطا كحياتهم، و لم ينس النبي (صلّى اللّه عليه و اله) الفقراء الذين لم يجدوا لهم مسكنا يأوون إليه فألحق لهم مكانا بجانب المسجد[[253]](#footnote-253).

و أصبح المسجد مرتكزا في حياة المسلمين العبادية و الحياتية فعّالا في بناء الفرد و المجتمع.

3- المؤاخاة بين المهاجرين و الأنصار:

ثم خطا النبي (صلّى اللّه عليه و اله) خطوة اخرى لإقامة الدولة الجديدة و القضاء على بعض قيم النظام القبلي من دون أن يمس القبيلة بشي‏ء، مستثمرا حالة التعاطف و حرارة الإيمان التي بدت من المسلمين فجعل أساس العلاقة بين الأفراد رابطة العقيدة و الدين متجاوزا علقة الدم و العصبية، فقال (صلّى اللّه عليه و اله): تآخوا في اللّه أخوين أخوين، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فقال: هذا أخي‏[[254]](#footnote-254)، و أخذ كل رجل من الأنصار أخا له من المهاجرين يشاركه الحياة. و بذا طوت المدينة صفحة دامية من تأريخها إذ كانت لا تخلو أيامها من صراع مرير بين الأوس و الخزرج يؤججه اليهود بخبثهم و دسائسهم و انفتح على العالم عهد جديد من الحياة الإنسانية الراقية حيث زرع رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) بذلك عنصر بقاء الامة، و فاعليتها الإيمانية.

ص:124=PAGEص:

ابعاد و نتائج التآخي بين المسلمين البعد الاقتصادي:

1- إعالة المهاجرين و إعادة تأهيلهم اقتصاديا للعودة لممارسة حياتهم الطبيعية.

2- إزالة الفوارق الطبقية في محاولة للقضاء على الفقر.

3- السعي للاستقلال الاقتصادي بعيدا عن مركز الثروة غير المشروعة و قطع أيادي اليهود المرابية.

4- إنجاز مشاريع اقتصادية: زراعية مع تنشيط حركة التجارة- من خلال تلاقح فاعلية المهاجرين و الأنصار و أفكارهم و ترابط جهودهم و استثمار كل الموارد المتاحة في المدينة.

البعد الاجتماعي:

1- القضاء على الأمراض الاجتماعية المتأصلة في المجتمع و مخلفات التناحر القبلي و اشاعة روح الحب و الود و التآلف لسد الثغرات لئلّا يستغلّها المتآمرون على الاسلام، و توفير الجهود و الطاقات البشرية لخدمة الاسلام في مراحله اللاحقة.

2- إلغاء النظام القبلي و إحلال النظام و القيم الإسلامية محله في التعامل اليومي.

3- تهيئة المسلمين نفسيا و تربيتهم على التضحية و الإيثار للانفتاح على العالم لنشر الرسالة الاسلامية الذي يتطلب مرونة عالية و قيم رفيعة تتوفر في الداعية المسلم.

ص:125=PAGEص:

البعد السياسي:

1- تكوين نسيج مترابط من المسلمين يتحرك مستجيبا لأوامر الرسول و الرسالة كفرد واحد في ظرف تعددت فيه الجهات المعادية و لم تتوقف عن دسائسها.

2- تناقل الخبرات التنظيمية و وسائل المقاومة و الصمود و التجربة الإيمانية و طرق التحرك وسط المهاجرين و الأنصار إذ لم يعش الأنصار تجربة المهاجرين و محنتهم.

3- بناء الفرد كخطوة من خطوات بناء الدولة و هيكلها الإداري.

4- إشعار المسلمين بالقوّة في الدفاع عن أنفسهم وفق قيم الإسلام بعيدا عن الروح القبلية و العنصرية.

4- معاهدة المدينة:

و لكي ينتقل النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) بالمسلمين من حالة الصراع و المقاومة إلى مرحلة البناء و تطبيق الشريعة الإسلامية كان لا بد من توفير أجواء الأمن و الاستقرار- و لو نسبيا- فالصراع قد يعيق انتشارها في الوسط الجماهيري.

و في يثرب كانت قوى تنافس المسلمين في الوجود، فاليهود كانوا يشكلون عبئا كبيرا بقوتهم الاقتصادية و خبثهم السياسي المعروف إضافة إلى عدّتهم و عددهم الذي لا يستهان به. و المشركون أيضا قوة أخرى و إن ضعف دورهم بقدوم النبي (صلّى اللّه عليه و اله) و المهاجرين و لكنه لم ينته تماما- فجاملهم النبي (صلّى اللّه عليه و اله) و قابلهم بالحسنى.

ص:126=PAGEص:

و كان لا بد للنبي (صلّى اللّه عليه و اله) أيضا أن يحتوي وجود المنافقين.

و في خارج المدينة كانت قريش و سائر القبائل المشركة تمثل تهديدا حقيقيا للكيان الإسلامي الفتيّ و كان على الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) أن يستعد لمواجهتهم و دفع خطرهم.[[255]](#footnote-255)

و هنا تجلت عظمة الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) و مقدرته السياسية في التعامل مع القوى المتعددة مظهرا النوايا الحسنة و الطيبة تجاه الآخرين، داعيا جميعهم الى السلام و الأمان.

و كتبت معاهدة صلح و تعاون بين المسلمين و اليهود لبناء دولة تعود بمركزيتها إلى النبي (صلّى اللّه عليه و اله) يتمتع الجميع فيها بالحقوق الانسانية على السواء.

و يمكن القول بأن الصحيفة كانت بمثابة أوّل مشروع دستوري لبناء دولة اسلامية متحضرة في مجتمع المدينة الذي سوف ينطلق نحو المجتمع العربي ثم المجتمع الإنساني العالمي لتقبل النظام الاسلامي الجديد.

و أهم ما تضمنته الصحيفة هو ما يلي:

1- إبراز وجود المجتمع المسلم و إشعار الفرد المسلم بقوة انتمائه إليه.

2- الإبقاء على الوجود القبلي- مع تحجيم دوره و صلاحياته- لتخفيف العب عن كاهل الدولة، باشراكه في بعض النشاطات الاجتماعية و الاستعانة به لحل جملة من المشكلات.

3- التأكيد على حرية العقيدة بالسماح لليهود بالبقاء على ديانتهم و ممارسة طقوسهم و اعتبارهم مواطنين في الدولة الاسلامية الجديدة.

4- ترسيخ دعائم الأمن في المدينة بجعلها حرما آمنا لا يجوز القتال فيه.

5- إقرار سيادة الدولة و النظام الإسلامي و إرجاع قرار الفصل في الخصومات الى القيادة الإسلامية المتمثلة في شخص الرسول (صلّى اللّه عليه و اله).

ص:127=PAGEص:

6- توسيع دائرة المجتمع السياسي باعتبار أنّ المسلمين و اليهود يتعايشون في نظام سياسي واحد و يدافعون عنه.

7- الحث على إشاعة روح التعاون بين أفراد المجتمع المسلم كي يتجاوز الأزمات التي تعترضه.

5- النفاق و بدايات الاستقرار في المدينة:

اهتم النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) ببناء المجتمع المسلم و من هنا فرض الهجرة على كل مسلم إلّا بعذر و ذلك لاستقطاب كل الطاقات و الكفاءات و سحبها إلى المدينة.

و قد تمتعت المدينة في هذا العهد الجديد بحياة الأمن و الاستقرار فأصبح الأمر مزعجا لسائر القوى التي رفضت دعوة النبي (صلّى اللّه عليه و اله) أولا و رأت فيه طرفا يهدد معتقدها و اليوم أصبح كيانا يرتقي بالإنسان نحو الفضائل و قوة تنمو باطّراد لا يصدّه أحد عن نشر رسالته فأسلمت أعداد كبيرة منهم و مضى قسم آخر يخطط للابتعاد عنه أو التحالف معه.

و من جانب آخر كان النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) يرصد حركة النفاق و مساعي اليهود الحاقدة لتقويض الكيان الاسلامي الفتيّ بتمزيق صفوفه بالتفرقة في ما بين المسلمين.

و لم تمض فترة طويلة حتى دخل الإسلام في كل بيت من بيوت المدينة[[256]](#footnote-256)، و اتسق النظام الاجتماعي العام تحت حكم الإسلام و قيادة الرسول (صلّى اللّه عليه و اله).

و في هذه الفترة شرّعت أحكام الزكاة و الصيام و أحكام اقامة الحدود، كما شرع الأذان لإقامة الصلاة و قبل ذلك كان النبي (صلّى اللّه عليه و اله) قد أعدّ مناديا ينادي للصلاة

ص:128=PAGEص:

إذا جاء وقتها، و نزل الوحي الإلهي يعلّم رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) صيغة الأذان‏[[257]](#footnote-257) فدعا رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) بنفسه بلالا و علّمه كيفية الأذان.

6- تحويل القبلة:

و كان النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) طوال فترة تواجده في مكة يتجه في صلاته نحو بيت المقدس و لم يغيّر من اتجاه صلاته بعد هجرته المباركة إلى سبعة عشر شهرا ثم أمره اللّه أن يتجه في صلاته نحو الكعبة.

و قد أمعن اليهود في عدائهم للدين الإسلامي و استهزائهم بالرسول و الرسالة حتّى أنهم كانوا يفخرون على المسلمين بتبعيّتهم لقبلة اليهود فكان هذا يحزن النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) و أصبح ينتظر نزول الوحي الإلهي بتغيير القبلة، و خرج النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) في جوف الليل يطيل النظر إلى آفاق السماء فلمّا أصبح و حضر وقت صلاة الظهر كان في مسجد بني سالم قد صلّى من الظهر ركعتين فنزل جبرئيل (عليه السّلام) فأخذ بعضديه و حوّله الى الكعبة و أنزل عليه قوله تعالى: قَدْ نَرى‏ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ‏[[258]](#footnote-258).

و قد كانت حادثة تحويل القبلة بمثابة اختبار للمسلمين في مدى طاعتهم و انقيادهم لأوامر الرسول (صلّى اللّه عليه و اله)، و تحدّيا لعناد اليهود و استهزائهم و ردّا لكيدهم كما كانت منطلقا جديدا من منطلقات بناء الشخصية المسلمة[[259]](#footnote-259).

7- بدايات الصراع العسكري:

لقد كانت القوّة هي التي تحكم الناس و تسودهم، و في هذا الظرف تحرّك‏

ص:129=PAGEص:

النبي (صلّى اللّه عليه و اله) و المسلمون- بعد الاستقرار النسبي في المدينة- ليؤكّد لكل القوى المؤثرة في الجزيرة بل و خارجها- كالروم و فارس- إصراره على نشر الرسالة الإسلامية و بناء الحضارة وفق تعاليم السماء، و كان للمسلمين من أدوات البناء ما لم يملكه غيرهم، فهم أصحاب عقيدة و فكر و طلّاب حقّ و عدل، و مشرّعي سلام و أمان، و أهل سيف و قتال.

و قد توقع رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) أنّ قريشا و من نصب له العداء سيلجأون لمحاولة استئصال المسلمين و لو بعد حين فكان طلبه من الأنصار في بيعة العقبة الثانية النصرة و القتال كما أن قريشا هي التي تمادت في التعدي و الظلم بل و خرجت تتتبّع النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) و المسلمين للقضاء عليهم، و في مكة قد صادرت الأملاك و نهبت البيوت. و كانت الرغبة لدى النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) و المسلمين- المهاجرين خصوصا- أن تدخل قريش في الإسلام طواعية أو أن لا تمضي في غيّها على أقل تقدير.

من هنا بدأ النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) يبعث (السرايا) و هي عبارة عن مجاميع صغيرة تتحرك لتعلن عن وجودها و عدم استسلامها. و إذا نظرنا إلى عدّتها البسيطة و عددها القليل الذي لا يتجاوز الستين فردا و كلهم من المهاجرين و ليس فيهم من الانصار الذين بايعوا على القتال و النصرة، ندرك أنها لم تكن مرشّحة للقتال و إنّما كانت هذه السرايا وسيلة للضغط على قريش اقتصاديا[[260]](#footnote-260) أيضا لعلّها تسمع نداء الحق باذن صاغية و بقلب مفتوح أو تهادن المسلمين فلا تتعرض لهم لينتشر الإسلام في أطراف اخرى، و في الوقت نفسه كان ينبغي إشعار اليهود و المنافقين بقوة الإسلام و هيبة المسلمين.

و هكذا بعد مضيّ سبعة أشهر على الهجرة المباركة انطلقت أول سريّة و كان‏

ص:130=PAGEص:

عدد افرادها ثلاثين رجلا بقيادة حمزة عم النبي (صلّى اللّه عليه و اله). ثم تلتها سرية اخرى بقيادة عبيدة بن الحارث. و سرية ثالثة بقيادة سعد بن أبي وقاص.

و خرج النبي (صلّى اللّه عليه و اله) في صفر من العام الثاني للهجرة على رأس مجموعة من أتباعه لاعتراض قوافل قريش و لكن لم يحصل الصدام بين الطرفين في حركته نحو الأبواء و بواط. و في خروجه الى ذي العشيرة وادع بني مدلج و حلفاءهم من بني ضمرة.

و تحرك النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) لردّ الاعتبار و معاقبة المعتدي حين أغار كرز بن جابر الفهري على أطراف المدينة لسلب الإبل و المواشي فخرج النبي (صلّى اللّه عليه و اله) لملاحقته و خلّف زيد بن حارثة على المدينة[[261]](#footnote-261).

و انطلق النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) في حركته العسكرية من مفهوم الجهاد و التضحية من أجل الدين بدلا عن مفهوم العصبية و الثأر، محترما أعراف و تقاليد الصلح و المواعدة و حرمة الأشهر الحرم.

ص:131=PAGEص:

الفصل الثّاني الدفاع عن كيان الدولة الفتية

1- غزوة بدر الكبرى:

بنزول الأمر الإلهي بالقتال انتقلت الرسالة الإسلامية إلى مرحلة جديدة من الصراع مع قوى الشرك و الضلالة، و تحركت في نفوس المهاجرين الرغبة الجادة لاسترداد حقوقهم المسلوبة من قبل و التي استلبتها قريش منهم لا لشي‏ء إلّا لأنهم آمنوا باللّه وحده.

و رصد النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) قافلة قريش التي فاتته في طريق ذهابها إلى الشام في غزوة ذات العشيرة و خرج في عدّة خفيفة و عدد قليل يرتجي ملاقاة قافلة ضمّت أسهما تجارية ضخمة لأغلب المكيين. و لم تكن حركة النبي (صلّى اللّه عليه و اله) سرّية فقد بلغ خبرها إلى مكة و إلى أبي سفيان قائد القافلة فتحوّل في مسيره إلى اتجاه آخر حيث لا يدركه المسلمون ... و خرجت قريش فزعة تطلب مالها تلهبها مشاعر الحقد و الحسد للمسلمين، على أن عددا من كبارها نظر إلى الأمر بتدبّر و رويّة و آثر عدم الخروج لملاقاة المسلمين و خصوصا بعد أن ورد خبر نجاة أبي سفيان بالقافلة التجاريّة.

خرجت قريش بعدد يناهز الألف في عدّة ثقيلة يدفعها تجبّرها، و الاغترار بمنزلتها بين العرب و مع جموع اخرى هبّت لنصرتها مصرّة على لقاء المسلمين‏

ص:132=PAGEص:

أو لتثبت أنها لا تخذل كي لا يتعرض لها المسلمون ثانية، فقريش ما ذلّت مذ عزّت، كما أعرب عن ذلك بعض أصحاب الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) حين أراد مواجهة قريش لأوّل مرة[[262]](#footnote-262).

نزلت قريش و صفّت صفوفها للقتال على مقربة من (ماء بدر) حيث سبقهم المسلمون في ثلاثمائة و ثلاثة عشر رجلا و هيّأ اللّه لرسوله (صلّى اللّه عليه و اله) و للمسلمين مقدمات النصر و أسبابه فسهّل لهم الوصول إلى موقع القتال و ألقى عليهم الأمن و الاطمئنان و وعدهم بالنصر على أعدائهم و إظهار دين الحق‏[[263]](#footnote-263).

و بالرغم من أن المسلمين لم يتوقعوا خروج قريش لملاقاتهم و لكن بعد أن فاتتهم القافلة و تحول الهدف إلى القتال أراد النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) أن يختبر نوايا المهاجرين و الأنصار فوقف و قال: «أشيروا عليّ أيها الناس».

فقام بعض المهاجرين و تكلّم بكلام يدل على الخوف و الجبن عن مواجهة العدو ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول اللّه إمض لأمر اللّه فنحن معك، و اللّه لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لنبيها: «فاذهب أنت و ربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون»، و لكن اذهب أنت و ربّك فقاتلا إنا معكما مقاتلون و الذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد[[264]](#footnote-264) لسرنا معك.

فقال له رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) خيرا. ثم كرر رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) قوله: أشيروا عليّ أيها الناس، يريد بذلك أن يسمع رأي الأنصار إذ كانوا قد بايعوه على الدفاع و الذبّ عنه بالنفس و النفيس في العقبة قبل الهجرة.

فقام سعد بن معاذ فقال: أنا أجيب عن الأنصار، كأنك يا رسول اللّه تريدنا؟

ص:133=PAGEص:

قال (صلّى اللّه عليه و اله): أجل. قال: إنّا قد آمنا بك و صدقّناك و شهدنا أن كل ما جئت به حق.

و أعطيناك مواثيقنا و عهودنا على السمع و الطاعة، فامض يا نبي اللّه، فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت هذا البحر فخضته لخضناه معك ما بقي منا رجل، و ما نكره أن يلقانا عدونا غدا؛ إنا لصبّر عند الحرب، صدق عند اللقاء، لعلّ اللّه يريك منّا ما تقرّ به عينك.

عندها قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله): «سيروا على بركة اللّه فإن اللّه قد وعدني إحدى الطائفتين و اللّه لكأني أنظر إلى مصارع القوم»[[265]](#footnote-265).

و في كل موقف كان رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) يدعو و يسأل اللّه النصر بعد أن تهيّأ المسلمون للحرب و قاموا بالإعدادات اللازمة بدءا باختيار الموقع المناسب و إعداد الماء و اتّخاذ التحوّطات لملاقاة العدو، و النبي القائد (صلّى اللّه عليه و اله) كان دائما هو الطاقة المتدفقة التي تبعث فى نفوسهم الصبر و الجلد، و الاطمئنان كما كان يثير الحماس فيهم و يخبرهم بالمدد الإلهي‏[[266]](#footnote-266).

و احتفّ المسلمون حول النبي و هم يظهرون أروع صور الاستعداد للتضحية من أجل العقيدة و يفكّرون في خطة بديلة لودارت الحرب على غير ما يحبون فأعدّوا عريشا كمقرّ لقيادة النبي (صلّى اللّه عليه و اله) ليشرف من خلاله على المعركة.

و خرجت سرية الاستطلاع لمعرفة أحوال قريش و عادوا بالأخبار الّلازمة للنبي (صلّى اللّه عليه و اله) فقدّر عددهم ما بين (950- 1000) مقاتل‏[[267]](#footnote-267).

وقف رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) يصفّ المسلمين صفوفا و أعطى رايته الكبرى لعلي ابن أبي طالب (عليه السّلام) و أرسل إلى قريش طالبا منها أن ترجع، فهو يكره قتالها،

ص:134=PAGEص:

فدبّ الخلاف بين صفوف المشركين بين راغب في السلم و مصرّ على العدوان‏[[268]](#footnote-268).

و أمر الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) أن لا يبدأ المسلمون القتال، و وقف يدعو اللّه قائلا:

«اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد بعد اليوم».

و كما هو المعتاد في كل الحروب القديمة برز من المشركين عتبة بن ربيعة و أخوه شيبة و ابنه الوليد يطلبون نظراء لهم من قريش ليبارزوهم. فقال النبي (صلّى اللّه عليه و اله) لعبيدة بن الحارث و حمزة بن عبد المطلب و علي بن أبي طالب: «يا بني هاشم قوموا فقاتلوا بحقكم الذي بعث به نبيكم إذ جاؤوا بباطلهم ليطفئوا نور اللّه»[[269]](#footnote-269).

فقتل من برز من قريش و التحم الجيشان و رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) يبعث الحماس في نفوس المسلمين. ثم أخذ النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) كفا من الحصى و رمى بها على قريش و قال: شاهت الوجوه، فلم يبق منهم أحد إلّا اشتغل بفرك عينيه‏[[270]](#footnote-270) فكانت هزيمة قريش و وقف رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) على قليب بدر بعد طرح جثث المشركين فيه، و ناداهم بأسمائهم و قال: هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقا. فقال المسلمون: يا رسول اللّه أتنادي قوما قد ماتوا؟ فقال (صلّى اللّه عليه و اله): إنهم ليسمعون كما تسمعون و لكن منعوا من الجواب‏[[271]](#footnote-271).

نتائج المعركة:

خلّفت معركة بدر نتائج عظيمة فقد فرّ المشركون نحو مكة و الخيبة و الذل يحيطان بهم من كل جانب تاركين خلفهم سبعين قتيلا و سبعين أسيرا و غنائم كثيرة ... و بدت بين صفوف المسلمين المنتصرين بوادر اختلاف حول كيفية

ص:135=PAGEص:

تقسيم الغنائم فأمر النبي (صلّى اللّه عليه و اله) بجمعها حتى يرى فيها رأيه، و نزل الأمر الإلهي في سورة الأنفال بتقسيم الغنائم و تشريع أحكام الخمس، فأعطى رسول اللّه لكل فرد مقاتل حصته على قدم المساواة مع غيره‏[[272]](#footnote-272).

و بشأن الأسرى أعلن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) أنّ من علّم من الأسرى عشرة من صبيان المسلمين القراءة و الكتابة فذلك فداؤه مظهرا بذلك سماحة العقيدة الإسلامية و حثّها على التعلم و بناء الإنسان المتحضّر. و أما الباقي من الأسرى فجعل فداء كل واحد منهم أربعة آلاف درهم، و شمل هذا القرار أبا العاص زوج زينب بنت رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) من دون تمييز له عن غيره من المشركين.

و حين أرسلت زينب قلادتها لفداء زوجها بكى رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) لرؤية القلادة متذكرا زوجته خديجة فالتفت (صلّى اللّه عليه و اله) الى المسلمين قائلا: إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها و تردّوا عليها مالها فافعلوا[[273]](#footnote-273). و ما أيسر هذا الطلب لنبي الرحمة من المسلمين. و أسرع ابو العاص الى مكة ليرسل زينب الى المدينة كما وعد رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) و سرت بشائر النصر و الفتح المبين نحو المدينة فأوجفت قلوب اليهود و المنافقين خيفة و رعبا و سعوا لتكذيب الخبر في حين انتشى المسلمون فرحا و سرورا و خرجوا لاستقبال النبي القائد المنتصر.

و حلّت الكارثة بأهل مكة و خيّم الحزن على أجوائها و صعق المشركون من هول الصدمة و عمّت الأحزان بيوتات مكة و أطرافها.

و تضمّنت آيات الذكر الحكيم نصوصا صريحة عن هذه المعركة المصيرية و هي تذكر تفاصيل الأحداث و تظهر الإمداد الإلهي للامة المسلمة المخلصة لربها

ص:136=PAGEص:

في سبيل نشر رسالته‏[[274]](#footnote-274).

و قد استبسل علي بن أبي طالب (عليه السّلام) للدفاع في هذه الغزوة الكبرى حين قتل الوليد بن عتبة و أعان عمّه حمزة و عبيدة بن الحارث على قتل شيبة و عتبة منازلا لهما. و قد عدّ الشيخ المفيد ستة و ثلاثين نفرا ممن قتلهم علي (عليه السّلام) يوم بدر سوى من اشترك في قتله‏[[275]](#footnote-275)، و قال ابن اسحاق: اكثر قتلى المشركين يوم بدر كان لعليّ‏[[276]](#footnote-276).

و ألجأت هذه الهزيمة قريشا الى تحويل مسير تجارتها من الشام الى العراق بعد أن أصبح للمسلمين كيان قوي، له آثاره على تركيبة مجتمع الجزيرة حيث بدت تظهر بالتدريج و بدأت قريش تفقد هيبتها بين القبائل في الوقت الذي أخذت تشتد أواصر المسلمين فيما بينهم و بين الرسول القائد (صلّى اللّه عليه و اله).

2- اهتمام النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) بزواج الزهراء (عليها السّلام):

حلّت الزهراء من قلب النبي المصطفى (صلّى اللّه عليه و اله) المنزلة الرفيعة إذ كان يجد فيها السلوة و العزاء، و الصورة الطيبة التي تركتها خديجة (عليها السّلام)، و الذرية الطاهرة.

و شاركت الزهراء (عليها السّلام) النبي (صلّى اللّه عليه و اله) هموم الرسالة و عملت كثيرا للتخفيف عنه حتى قال عنها: «إنها أم أبيها».

و حين بلغت الزهراء (عليها السّلام) في بيت النبوة مبلغ النساء و قد نهلت من معين النبوة و سلسبيل الرسالة خطبها أكابر قريش من أهل الفضل و السابقة في الإسلام و الشرف و المال إلى النبي (صلّى اللّه عليه و اله) و هو يردّهم بحكمة ردّا جميلا بقوله: إني انتظر

ص:137=PAGEص:

فيها القضاء أو يقول: أنتظر أمر السماء[[277]](#footnote-277).

و فرح النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) بتقدم عليّ بن أبي طالب (عليه السّلام) لخطبة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) و قال له: ابشرك يا عليّ فإن اللّه عزّ و جلّ قد زوجكها في السماء من قبل أن أزوجكها في الأرض، و قد هبط عليّ من قبل أن تأتيني ملك من السماء فقال: يا محمد إن اللّه- عزّ و جلّ- اطّلع إلى الأرض إطلاعة فاختارك من خلقه فبعثك برسالته، ثم اطّلع الى الأرض ثانية فاختار لك منها أخا و وزيرا و صاحبا و ختنا فزوّجه ابنتك فاطمة (عليها السّلام)، و قد احتفلت بذلك ملائكة السماء. يا محمد إن اللّه- عزّ و جلّ- أمرني أن آمرك أن تزوّج عليا في الأرض فاطمة، و تبشرهما بغلامين زكيين نجيبين طاهرين خيّرين فاضلين في الدنيا و الآخرة[[278]](#footnote-278).

و أمام جمع من المهاجرين و الأنصار أجرى رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) عقد الزواج لقاء مهر يسير ليجعله سنّة تقتدي به الامة. و حين وضع أثاث بيت الزهراء (عليها السّلام) بين يدي الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) و كان أكثر أوعيته من الخزف دمعت عيناه و هو يقول:

اللهم بارك لأهل بيت جلّ آنيتهم من الخزف‏[[279]](#footnote-279) و أبدى النبي (صلّى اللّه عليه و اله) اهتماما بالغا في زواج ابنته الزهراء (عليها السّلام) في كل تفاصيله، و قد تجلت ناحية من نواحي اهتمامه (صلّى اللّه عليه و اله) بذلك في دعائه للزوجين يوم الزفاف إذ قال: «اللهم اجمع شملهما و ألّف بين قلبيهما و اجعلهما و ذريتهما من ورثة جنّة النعيم و ارزقهما ذرية طاهرة طيّبة مباركة و اجعل في ذريتهما البركة و اجعلهم أئمة يهدون بأمرك الى طاعتك و يأمرون بما رضيت».

و قال (صلّى اللّه عليه و اله) أيضا: «يا ربّ إنك لم تبعث نبيا إلّا و قد جعلت له عترة اللهم فاجعل عترتي الهادية من علي و فاطمة» ثم قال: «طهّركما اللّه و طهّر نسلكما، أنا سلم لمن سالمكما

ص:138=PAGEص:

و حرب لمن حاربكما»[[280]](#footnote-280).

3- الصدام المباشر مع اليهود و اجلاء بني قينقاع:

لمس اليهود خطر تنامي قوة الإسلام و المسلمين في المدينة. فالكيان الطري أصبح أشد عودا و أقوى شكيمة و تحولت الرسالة الإسلامية الى قوة تحكم.

و قبل بدر كانت معاهدة الصلح صمّام الأمان الذي يقبض على طرفي الصراع و يحول دون الانفجار، لكن النصر المؤزر للمسلمين فجّر روح العداء و ألهب نزعة الشرّ اليهودية تعينها أطراف النفاق الاخرى، و جعلوا يتغامزون و يتآمرون، و يرسلون الأشعار و يجهدون في التحريض على المسلمين الذين أصبح لهم سلطان جديد مضافا إلى دينهم الجديد.

و لم تكن أخبارهم لتخفى على الرسول (صلّى اللّه عليه و اله). و تحركت في نفوس المسلمين الجرأة في الدفاع و الحرص على الإسلام و النبي (صلّى اللّه عليه و اله)، فلم يتمالك الفدائي المسلم- هو سالم بن عمير- نفسه حين سمع رجلا مشركا- هو أبو عفك من بني عوف- يسي‏ء للنبي فقتله‏[[281]](#footnote-281) و تكرّرت المحاولة مع مشركة حاقدة- هي عصماء بنت مروان-[[282]](#footnote-282) و تمكن المسلمون أيضا من اغتيال كعب بن الأشرف إذ تمادى في التعريض و الاستهزاء و النيل من أعراض المسلمين‏[[283]](#footnote-283).

و لم تتوقف مساعي اليهود التحريضية و نشر الأباطيل و الدعايات الكاذبة و التشهير بالمسلمين ناقضين بذلك عهد الموادعة و التعايش السلمي و أراد نبي الرحمة (صلّى اللّه عليه و اله) أن يخلص و إياهم الى الاستقرار فخرج رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) الى يهود

ص:139=PAGEص:

بني قينقاع يدعوهم بالحكمة و الموعظة الحسنة و ينذرهم من مغبّة سياساتهم و تصرّفاتهم اللامحمودة فقال لهم بعد أن جمعهم في سوقهم: «يا معشر اليهود احذروا من اللّه مثل ما نزل بقريش من النقمة، و أسلموا فإنكم قد عرفتم أني رسول اللّه تجدون ذلك في كتابكم و عهد اللّه إليكم».

و لم يزدهم ذلك إلّا علوّا و استكبارا فقالوا: يا محمد لا يغرّنك من لقيت، انّك قهرت اقواما أغمارا و إنّا و اللّه اصحاب الحرب و لئن قاتلتنا لتعلمنّ انّك لم تقاتل مثلنا[[284]](#footnote-284).

و تجلّت خسّة اليهود حين أساؤوا إلى امرأة من المسلمين و نالوا من كرامتها و انتهى الأمر الى قتل يهودي و مسلم فعندها سار النبي (صلّى اللّه عليه و اله) بالمسلمين فحاصر يهود بني قينقاع في دورهم خمسة عشر يوما متتابعة لا يخرج منهم أحد و لا يدخل عليهم أحد، فلم يبق لهم إلّا الاستسلام و النزول على حكم النبي (صلّى اللّه عليه و اله) بجلائهم عن المدينة تاركين عدّتهم و أدواتهم، فخلت المدينة من أهم عناصر الشر و ساد الهدوء السياسي فيها إذ تضاءل تواجد و دور غير المسلمين في المدينة، بعد أن لمسوا قوة المسلمين و تطوّر التنظيم الإداري و ازدياد قوّة القيادة و الدولة الإسلامية التي كانت تعمل وفق مخطط حكيم.

4- ردود فعل قريش بعد انتصارات المسلمين:

جمع أبو سفيان عددا من فرسان قريش و قادهم نحو المدينة تدفعهم نواياهم الغادرة إلى الفتك بالمسلمين و ردّ اعتبار قريش المفقود في بدر. و على مقربة من المدينة عاثوا في الأرض فسادا و كرّوا فارّين خوفا من أن تنالهم سيوف المسلمين.

و خفّ النبي (صلّى اللّه عليه و اله) و المسلمون في أثر المشركين يدفعهم و لاؤهم لدينهم‏

ص:140=PAGEص:

تأكيدا منهم على الدفاع عن سيادة الدولة الفتية و حفظها من أيادي السوء ...

و قد اتخذ المشركون كل ما يعينهم على الهرب فألقوا ما معهم من (سويق) و هو مؤونتهم، و التقطه المسلمون من خلفهم و سميت الغزوة بذلك غزوة السويق و كان هذا خزيا آخر لحق قريشا. و تأكيدا للقبائل التي تطاير الخبر إليها أنّ وجود الإسلام كقوة منظمة قد أصبح واقعا مفروضا.

و كان همّ النبي (صلّى اللّه عليه و اله) في هذه المرحلة توفير الأمان في أوساط المجتمع المسلم في المدينة و صدّ أيّ عدوان محتمل. على أن بعض القبائل التي كانت تأبى الدخول في الاسلام و تبطن العداء له لم تكن لتهتدي الى تصرف مناسب مع الرسول و المسلمين، فكانوا يعدون العدّة للهجوم على المدينة و يفرّون حين يسمعون بخروج النبي (صلّى اللّه عليه و اله) لهم.

و خرجت سرية اخرى بقيادة زيد بن حارثة بعد أن وجهها النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) لقطع الطريق الجديد لتجارة قريش عن طريق العراق. و قد نجحت السرية في مهمتها.

5- غزوة احد[[285]](#footnote-285):

مرّت الأيام التي تلت معركة بدر ثقيلة على قريش و المشركين. و في المدينة لم يزل النبي (صلّى اللّه عليه و اله) يواصل عمليّة بناء الانسان و الدولة حيث كانت الآيات الإلهية تترى و هي تشرّع للإنسان سلوكه و حياته و النبي (صلّى اللّه عليه و اله) يفصّل التعاليم و يطبق الأحكام و يهدي الى طاعة اللّه.

و تظافرت الأسباب و الدواعي عند مشركي مكة و من والاهم لخوض حرب جديدة ضد الإسلام تزيح عن كاهلهم كابوس الهزيمة في بدر و تطفى‏ء غليل الحقد

ص:141=PAGEص:

الذي ما زال يؤجّجه أبو سفيان زعيم البيت الاموي و الخاسر الأكبر في بدر، كما كان عويل النساء و مطامع التجار الذين فقدوا كل الطرق الآمنة للتجارة عاملين آخرين لذلك.

فكانت الحرب محاولة لإضعاف المسلمين و تأمين طرق التجارة الى الشام، و الحدّ من تنامي قوة المسلمين العسكرية لتجنيب مكة من خطر الاحتلال و القضاء على الشرك فيها. و مما أسهم في إعداد الحرب أيضا تحريض يهود و منافقي المدينة لقريش و غيرها لغزو المدينة و القضاء على الإسلام.

و سارع العباس بن عبد المطلب إلى الكتابة للنبي (صلّى اللّه عليه و اله) يخبره عن اجتماع كلمة قريش على الحرب و تهيئتهم للعدّة و العدد حيث استنفروا معهم القبائل و اتخذوا عدة أساليب لإثارة الحرب و العزيمة على القتال إذ خرجت النسوة معهم.

و وصل الكتاب سرّا الى النبي (صلّى اللّه عليه و اله) فكتم الخبر عن المسلمين حتى يستوضح الأمر و يعدّ له العدّة اللازمة.

و اقتربت جحافل الشرك من المدينة فبعث النبي (صلّى اللّه عليه و اله) الحباب بن المنذر سرا ليستطلع العدو- بعد أن بعث أنسا و مؤنسا ابني فضالة- فجاء الخبر و الوصف متوافقين مع كتاب العباس و خبر ابني فضالة، و بات عدد من المسلمين من الذين أخبرهم رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) بالخبر في حيطة و حذر خشية مداهمة العدو.

ثم استشار رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) أصحابه بعد أن أعلن قدوم قريش للحرب فاختلفت آراؤهم بين التحصّن في المدينة أو الخروج لملاقاة العدو خارجها. و لم يكن عسيرا على النبي (صلّى اللّه عليه و اله) أن يحدد الخطة مسبقا لكنه أراد أن يشعر المسلمين بمسؤوليتهم. ثم كان الاتفاق على خروج المسلمين للقاء العدو و قتاله خارج المدينة. ثم صلّى النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) صلاة الجمعة و صعد المنبر و خطب و أخذ يعظ الناس و يذكّرهم بطاعة اللّه و أمرهم بالجد و الجهاد و الصبر. ثم نزل و دخل داره و لبس‏

ص:142=PAGEص:

لامته مما أثار المسلمين و هزهم بشدة و ظنوا أنهم أكرهوا الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) على الخروج من المدينة فقالوا: يا رسول اللّه ما كان لنا أن نخالفك، فاصنع ما بدا لك.

فقال (صلّى اللّه عليه و اله): ما ينبغي لنبي إذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل‏[[286]](#footnote-286).

و خرج النبي (صلّى اللّه عليه و اله) في ألف مقاتل من المسلمين و رفض أن يستعين باليهود ضد المشركين قائلا: لا تستنصروا بأهل الشرك على أهل الشرك‏[[287]](#footnote-287). و لم يستطع المنافقون إخفاء حقدهم فانخذل عبد اللّه بن ابي عن رسول اللّه بثلاثمئة و بقي رسول اللّه بسبعمئة و كان المشركون أكثر من ثلاثة الآف‏[[288]](#footnote-288).

و عند جبل أحد وضع النبي (صلّى اللّه عليه و اله) خطة محكمة ليضمن النصر المؤزر ثم قام (صلّى اللّه عليه و اله) فخطب الناس قائلا: «أيها الناس أوصيكم بما أوصاني اللّه في كتابه من العمل بطاعته و التناهي عن محارمه، ثمّ إنكم اليوم بمنزل أجر و ذخر لمن ذكر الذي عليه، ثم وطّن نفسه له على الصبر و اليقين و الجد و النشاط فإنّ جهاد العدو شديد كريه، قليل من يصبر عليه، إلّا من عزم اللّه رشده، فإن اللّه مع من أطاعه و إن الشيطان مع من عصاه، فافتحوا أعمالكم بالصبر على الجهاد و التمسوا بذلك ما وعدكم اللّه، و عليكم بالذي أمركم به، فإنّي حريص على رشدكم فإن الاختلاف و التنازع و التثبيط من أمر العجز و الضعف مما لا يحب اللّه، و لا يعطي عليه النصر و لا الظفر»[[289]](#footnote-289).

و اصطف المشركون للقتال الذي سرعان ما نشب و لم يمض زمن طويل حتى ولّت قوى الشرك الأدبار، و كادت نساؤهم أن تقع بأيدى المسلمين سبايا، و بدا انتصار المسلمين واضحا في ساحة المعركة حتى وسوس الشيطان في نفوس‏

ص:143=PAGEص:

بعض الرماة الذين وضعهم رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) فوق الجبل و أمرهم بعدم ترك مكانهم مهما كانت نتيجة المعركة حتّى يتلقّوا أمرا جديدا منه فعصوا أمر رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) و تركوا مواقعهم سعيا وراء الغنائم فكرّت قوى الشرك ثانية بقيادة خالد بن الوليد من موقع الثغرة التي نهى رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) عن تركها.

فذهل المسلمون لذلك و تفرّقت جموعهم و عادت فلول قريش المنهزمة الى الحرب و قتل عدد كبير من المسلمين و أشاع المشركون نبأ مقتل رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) و كادت كتائب الشرك أن تصل الى النبي (صلّى اللّه عليه و اله) لو لا استبسال علي بن أبي طالب و حمزة بن عبد المطلب و سهل بن حنيف و قلة قليلة ثبتت في ساحة المعركة إذ فرّت البقية الباقية من المسلمين بما فيهم كبار الصحابة[[290]](#footnote-290)، حتى أن بعضهم بدرت منه فكرة التبرّي من الإسلام فقال: ليت لنا رسولا إلى عبد اللّه بن ابي فيأخذ لنا أمانا من أبي سفيان‏[[291]](#footnote-291).

و استشهد حمزة بن عبد المطلب عمّ النبي (صلّى اللّه عليه و اله) و تعرض رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) للإصابة فكسرت رباعيته السفلى و شقت شفته و سال الدم على وجهه فجعل يمسحه و هو يقول: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم و هو يدعوهم الى اللّه‏[[292]](#footnote-292) و قاتل (صلّى اللّه عليه و اله) حتى صارت قوسه شظايا. و طعن ابي بن خلف حين هجم عليه يريد قتله (صلّى اللّه عليه و اله) و مات ابي على أثرها و استبسل علي ابن أبي طالب بصورة لا نظير لها و هو يفرق كل من يتقدم نحو رسول اللّه و يهده بسيفه فنزل جبرئيل على رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) فقال: يا رسول اللّه هذه المواساة، فقال (صلّى اللّه عليه و اله): «إنه مني و أنا منه».

ص:144=PAGEص:

فقال جبرئيل: و أنا منكما، فسمعوا صوتا يقول: «لا سيف إلّا ذو الفقار و لا فتى إلّا علي»[[293]](#footnote-293).

و انسحب الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) و البقية الباقية معه من المسلمين الى الجبل و هدأت المعركة و جاء أبو سفيان يستهزئ و يسخر بالمسلمين قائلا: اعل هبل.

و أمر رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) أن يرد على الكفر مظهرا بذلك عدم انكسار العقيدة رغم الانكسار في ساحة المعركة فقال قولوا: «اللّه أعلى و أجل».

و أمر النبي (صلّى اللّه عليه و اله) بالردّ ثانية على شعار أبي سفيان الكافر حين قال: نحن لنا العزّى و لا عزّى لكم فقال (صلّى اللّه عليه و اله): قولوا «اللّه مولانا و لا مولى لكم»[[294]](#footnote-294).

و رجع المشركون إلى مكّة و قام النبي (صلّى اللّه عليه و اله) و المسلمون بدفن الشهداء فهالهم المنظر الفظيع الذي تركته قريش فقد مثّلت بجثث الشهداء. و لما أبصر النبي (صلّى اللّه عليه و اله) حمزة بن عبد المطلب ببطن الوادي و قد اخرج كبده و مثّل به بوحشية و حقد؛ حزن حزنا شديدا و قال: ما وقفت موقفا قط أغيظ إليّ من هذا.

و لم تكن التضحيات الجسام و الخسارة الكبيرة في ساحة المعركة لتثني أهل العقيدة و الرسول القائد (صلّى اللّه عليه و اله) عن الاستمرار في الدفاع عن حياض الإسلام و كيان الدولة الفتية، ففي اليوم التالي من رجوعهم إلى المدينة أمر النبي (صلّى اللّه عليه و اله) باستنفار المسلمين لطلب العدو و مطاردته على أن لا يخرج إلّا من حضر الغزوة فخرج المسلمون على ما بهم من جراح إلى منطقة حمراء الأسد و بهذا اتّبع الرسول القائد (صلّى اللّه عليه و اله) اسلوبا جديدا لإرعاب العدو، ممّا جعل الخوف يسيطر عليهم فأسرعوا في مسيرهم نحو مكّة[[295]](#footnote-295) و رجع النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) و المسلمون إلى المدينة و قد استردوا

ص:145=PAGEص:

كثيرا من معنوياتهم.

6- محاولات الغدر بالمسلمين:

كان من الطبيعي في مجتمع تحكمه القوة و الغلبة بالسيف أن يطمع المشركون في المسلمين بعد النكسة في احد، لكن النبي القائد (صلّى اللّه عليه و اله) كان يقظا و مدركا لكل المتغيرات حريصا على سلامة الرسالة و قوّتها مجتهدا في بناء الدولة و المحافظة عليها، فكان يتحسّس الأخبار و يستطلع النوايا و يسرع في الرّد قبل أن يدرك المشركون أهدافهم فخرجت سرية أبي سلمة ترد غدر بني أسد بالمدينة و نجحت السرية في مهمتها[[296]](#footnote-296) و تمكن المسلمون أيضا من رد كيد مشرك كان يعدّ لغزو المدينة.

و قد تمكنت جماعة من المشركين من الغدر بالمسلمين حين قدم جمع من قبيلتي «عضل» و «القارة» إلى رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) تطلب من يفقّهها الدين و استجاب نبي الرحمة (صلّى اللّه عليه و اله) سعيا منه لنشر الرسالة الاسلامية و لكن يد الغدر فتكت بالمسلمين الدعاة عند منطقة «ماء الرجيع». و قبل أن يبلغ خبر مصرعهم إلى النبي (صلّى اللّه عليه و اله) اقترح أبو براء العامري على النبي (صلّى اللّه عليه و اله) أن يرسل مبلغين إلى أهل «نجد» يدعون إلى الإسلام بعد أن رفض هو الدخول في الإسلام، فقال النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله): إني أخشى عليهم أهل نجد .. قال أبو براء: «لا تخف، أنا لهم جار». و قد كان للجوار اعتبار و اهمية تعدل النسب في عرف الجزيرة العربية لذا اطمأنّ النبي (صلّى اللّه عليه و اله) و أرسل و فدا من الدعاة للتبليغ و لكن الغدر طالهم فعدا عليهم عامر بن الطفيل و قبائل بني سليم في منطقة «بئر معونة» و فتكوا بهم و لم يسلم منهم إلا عمرو بن امية الذي أطلقوه فعاد إلى النبي (صلّى اللّه عليه و اله) بالخبر و لكنه في طريقه قتل‏

ص:146=PAGEص:

رجلين ظنّا منه أنهما من العامريين، و لكن النبي (صلّى اللّه عليه و اله) حزن لذلك و قال له: بئس ما صنعت قتلت رجلين كان لهما مني أمان و جوار، لأدفعنّ ديتهما»[[297]](#footnote-297).

7- غزوة بني النضير[[298]](#footnote-298):

تتابعت النكبات على المسلمين حتى بدى للمنافقين و ليهود المدينة أن هيبة المسلمين قد ضاعت، و أراد النبي (صلّى اللّه عليه و اله) بحكمته السياسية أن يحدّد ملامح التصرف الصحيح مع يهود (بني النضير) مبرزا نواياهم، فاستعان بهم على دفع دية القتيلين. فتلقوه قرب مساكنهم مرحّبين به و بجماعة من المسلمين و هم يضمرون السوء، فطلبوا منه الجلوس ريثما يحققون له طلبه. فجلس مستندا إلى جدار بيت من بيوتهم فأسرعوا- مستغلّين الفرصة- لإلقاء حجر عليه و قتله، فهبط الوحي عليه يخبره، فانسلّ من بينهم تاركا الصحابة معهم، فاضطرب بنو النضير و أمسوا في حيرة من أمرهم و باتوا قلقين بشدة من سوء فعلتهم، و أسرع الصحابة الى النبي (صلّى اللّه عليه و اله) في المسجد يستطلعون سرّ عودته فقال (صلّى اللّه عليه و اله): «همّت اليهود بالغدر بي فأخبرني اللّه بذلك فقمت»[[299]](#footnote-299).

و بذلك استحلّ اللّه دماءهم إذ نقضوا عهد الموادعة مع النبي (صلّى اللّه عليه و اله) و همّوا بالغدر به فلم يكن لهم إلّا الجلاء عن المدينة. و تدخّل زعيم النفاق عبد اللّه بن ابي و غيره يمنّون بني النضير بعدم الامتثال لأمر النبي (صلّى اللّه عليه و اله) و الثبات له و وعدهم بأنّه و جماعته سيمدونهم مقابل النبي (صلّى اللّه عليه و اله) و لن يخذلوهم، و تحصن بنو النضير في‏

ص:147=PAGEص:

حصونهم متمرّدين على أمر النبي (صلّى اللّه عليه و اله).

و استخلف النبي (صلّى اللّه عليه و اله) ابن ام مكتوم على المدينة حين علم بمساعي المنافقين و خرج لمحاصرة بني النضير و اتّبع معهم اسلوبا اضطرّهم إلى التسليم و الخروج بما تحمله إبلهم فقط أذلّة خاسئين‏[[300]](#footnote-300).

و غنم المسلمون أموالا و سلاحا كثيرا و لكن الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) جمع المسلمين و عرض عليهم رأيه في أن تكون الغنائم للمهاجرين خاصة كي يتحقّق لهم الاستقلال الاقتصادي إلّا سهل بن حنيف و أبا دجانة- و هما من فقراء الأنصار- فأعطاهما النبي (صلّى اللّه عليه و اله) من هذه الغنائم‏[[301]](#footnote-301).

8- مناوشات عسكرية بعد احد:

ساد الهدوء و الاستقرار أجواء المدينة و اضطرب المنافقون قلقا من انكشاف أساليبهم و أيقنوا أن الدور القادم هو دور تحطيمهم. و في هذا الظرف وردت أخبار للنبي (صلّى اللّه عليه و اله) بأنّ غطفان تعدّ العدّة لغزو المدينة فأسرع النبي (صلّى اللّه عليه و اله) و المسلمون في الخروج إليهم و لكنهم فوجئوا بالعدو قد أعدّ و استعدّ لملاقاتهم فتهيّب كل من الفريقين الآخر و لم يقع أي قتال. و في هذه الغزوة صلى النبي (صلّى اللّه عليه و اله) صلاة الخوف بالمسلمين إذ لم يتسنّ لهم الغفلة عن العدو برهة من الزمن، و عاد المسلمون إلى المدينة دون قتال‏[[302]](#footnote-302)، و سميت هذه الغزوة ب (ذات الرقاع).

بدر الموعد (بدر الصفراء)

مرّت الأيام الحرجة على المسلمين بسرعة و قد ازدادوا خبرة قتالية

ص:148=PAGEص:

و تنزّلت عليهم أحكام الشريعة فتهذّبت العلاقات و انتظمت شؤون حياتهم في عامة جوانبها و ازداد الإيمان رسوخا و ثباتا و برزت نماذج رائعة من الصمود و التضحية و الفداء و الإخلاص للدين الإسلامي و للامة المسلمة و أوشكت أن تنمحي آثار الانكسار في احد. و حلّ موعد التهديد الذي أطلقه زعيم الكفر أبو سفيان في احد حين قال: موعدنا و موعدكم بدر، قاصدا الانتقام لقتلى المشركين يوم بدر. فخرج النبي (صلّى اللّه عليه و اله) في ألف و خمسمائة مقاتل من أصحابه و عسكر هناك ثمانية أيام و لم تفلح مساعي المشركين لتخويف المسلمين و ثنيهم عن الخروج بل تملّكهم الخوف حين علموا بما عزم عليه النبي (صلّى اللّه عليه و اله) و المسلمون فاضطر أبو سفيان إلى أن يخرج إلى الموعد المحدد و لكنه كرّ راجعا بحجّة الجفاف و الجدب المؤثر على الاستعداد العسكري. و بذلك و صمت قريش بعار الهزيمة و الجبن و ارتفعت معنويات المسلمين و استردّوا عافيتهم و نشاطهم.

و بعد فترة قليلة أفادت الأخبار بأنّ سكان دومة الجندل يقطعون الطريق و يتجهزون لغزو المدينة، فخرج اليهم النبي (صلّى اللّه عليه و اله) بألف من المسلمين للقائهم، و ما أن سمعوا بخروجه إليهم حتّى لاذوا بالفرار مخلّفين وراءهم ما كان معهم من غنائم فاستولى عليها المسلمون دون قتال‏[[303]](#footnote-303).

9- غزوة بني المصطلق و دور النفاق:

و وردت أخبار جديدة تفيد بأن الحارث بن أبي ضرار- زعيم بني المصطلق- يعدّ لغزو المدينة فاستوثق النبي (صلّى اللّه عليه و اله)- كعادته قبل كل تحرك- من صدق الخبر و ندب المسلمين فخرجوا إليهم و التقوا عند ماء يدعى «المريسيع» و نشبت الحرب ففر المشركون بعد قتل عشرة اشخاص منهم، و غنم المسلمون‏

ص:149=PAGEص:

غنائم كثيرة و سبيت أعداد كبيرة من عوائل بني المصطلق، كانت من بينهم جويرية بنت الحارث فأعتقها النبي (صلّى اللّه عليه و اله) ثم تزوجها، و أطلق المسلمون ما في أيديهم من الأسرى إكراما لرسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) و لها[[304]](#footnote-304).

و في هذه الغزوة كادت أن تقع فتنة بين المهاجرين و الأنصار بسبب بعض النعرات القبليّة و لما علم النبي (صلّى اللّه عليه و اله) بذلك قال «دعوها فإنها فتنة»[[305]](#footnote-305). و أسرع عبد اللّه بن ابي رأس النفاق يبتغي الفتنة و يؤجج الخلاف فوجّه اللّوم لمن حوله من أهل المدينة إذ آووا و نصروا المهاجرين ثم قال: أما و اللّه لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعز منها الأذل، و كادت أن تفلح مساعى ابن ابي لو لا أنّ النبي (صلّى اللّه عليه و اله)- بعد أن توثق من تحريض ابن أبيّ و نفاقه- أمر بالعودة إلى المدينة على وجه السرعة رافضا رأي عمر بن الخطاب بقتل ابن ابي فقال (صلّى اللّه عليه و اله): «فكيف يا عمر إذا تحدّث الناس أن محمدا يقتل أصحابه؟! لا»[[306]](#footnote-306). و لم يأذن النبي (صلّى اللّه عليه و اله) بالاستراحة في الطريق فسار بالمسلمين يوما و ليلة ثم أذن لهم بالاستراحة فأخلد الجميع للنوم من شدة التعب و لم تتح فرصة للتحدث و تعميق الخلاف. و على أبواب المدينة طلب عبد اللّه بن عبد اللّه بن ابي الإذن من النبي (صلّى اللّه عليه و اله) في قتل أبيه بيده دون أحد من المسلمين خشية أن تثيره العاطفة فيثأر لأبيه فقال نبي الرحمة (صلّى اللّه عليه و اله): «بل نترفق به و نحسن صحبته ما بقي معنا». ثم وقف عبد اللّه (الأبن) ليمنع أباه من دخول المدينة إلّا بإذن من الرسول الأكرم (صلّى اللّه عليه و اله)[[307]](#footnote-307)، و في هذا الظرف نزلت سورة المنافقين لتفضح سلوكهم و نواياهم.

ص:150=PAGEص:

10- إبطال أعراف جاهلية:

برحمته الفياضة و بطيب قلبه المفعم حبا للإنسانية وقف النبي (صلّى اللّه عليه و اله) ذات يوم و قال لقريش: «يا من حضر إشهدوا أن زيدا هذا ابني»[[308]](#footnote-308). و انتقل زيد من رقّ العبودية إلى بنوة أكرم خلق اللّه و آمن زيد بالنبي المرسل (صلّى اللّه عليه و اله) من أول أيام البعثة المباركة ايمانا صادقا. و مضت الأيام حتى بلغ زيد مرحلة الرجولة في ظل رعاية النبي الأكرم (صلّى اللّه عليه و اله) و بجرأة الثائر العظيم و المصلح الكبير اختار النبي (صلّى اللّه عليه و اله) زينب بنت جحش (ابنة عمته) زوجا لزيد، فامتنعت أن تتنازل عن مكانتها الاجتماعية و نسبها الرفيع لتتزوج رجلا سبق له أن كان رقّا. و لكن إيمانها الصادق دفعها لتستجيب لأمر اللّه تعالى حيث يقول: وَ ما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لا مُؤْمِنَةٍ إِذا قَضَى اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ‏[[309]](#footnote-309).

و بذلك ضرب الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) مثالا رائعا للقضاء على الأعراف الجاهلية البالية تطبيقا لقيم الرسالة الخالدة. و لكن تفاوت الثقافة و تنافر الطباع حالا دون نجاح تجربة رائدة في مجتمع كان لا يزال يعاني من ترسّبات الجاهلية و تدخل النبي (صلّى اللّه عليه و اله) ليصلح ما فسد محاولا أن لا يصل إلى طريق مسدود فقال لزيد:

أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَ اتَّقِ اللَّهَ‏ و تكررت شكوى زيد من زينب فكان آخرها الطلاق.

ثم نزل الأمر الإلهي ليبطل ما تعارف عليه العرب من اعتبار الأدعياء (من ادعي بنوّتهم) أبناء فقال تعالى: وَ ما جَعَلَ أَدْعِياءَكُمْ أَبْناءَكُمْ ذلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْواهِكُمْ‏

ص:151=PAGEص:

وَ اللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ‏[[310]](#footnote-310)، و أبقى لهم حقّ الموالاة و الاخوة في الدين.

و أراد اللّه سبحانه أن ينسف هذا العرف الباطل فأمر نبيه (صلّى اللّه عليه و اله) أن يتزوج زينب بعد طلاقها من زيد، و إكمال عدّتها بعد أن نزلت الآيات الكريمة تحثّ النبي (صلّى اللّه عليه و اله) على إبطال هذا العرف الجاهلي و أن لا يخشى الناس بل يمضي في تطبيق أحكام اللّه تعالى بكل شجاعة[[311]](#footnote-311).

ص:153=PAGEص:

الفصل الثّالث تظاهر قوى الشرك و الرد الإلهي الحاسم‏

تحالف قوى الشرك و غزوة الخندق:

أشرفت السنة الخامسة على الانقضاء و كانت كل الأحداث و التحركات العسكرية التي خاضها المسلمون تهدف الى الدفاع عن كيان الدولة الفتيّة، و توفير الأمن في محيط المدينة و أفرزت الأحداث تنوعا و تعددا في الجهات و الأطراف المعادية للدين و للدولة الإسلامية. فسعى اليهود لاستثمار هذا التنوع بتجميعه و تمويله و إثارة النزعة العدائية فيه لاستئصال الوجود الإسلامي من الجزيرة، و من ذلك أنهم أوهموا المشركين الذين تساءلوا عن مدى أفضلية الدين الإسلامي على الشرك، بأن الوثنية خير من دين الاسلام‏[[312]](#footnote-312) و تمكنوا من جمع قبائل المشركين و تعبئتهم و سوقهم صوب المدينة عاصمة الدولة الاسلامية. و سرعان ما وصل الخبر الى مسامع النبي (صلّى اللّه عليه و اله) و هو القائد المتحفز اليقظ و المدرك لكل التحركات السياسية، من خلال العيون الثقات.

و استشار النبي (صلّى اللّه عليه و اله) أصحابه في معالجة الأمر و توصلوا الى فكرة حفر خندق يحصّن الجانب المكشوف من المدينة. و خرج النبي (صلّى اللّه عليه و اله) مع المسلمين ليشاركهم في حفر ذلك الخندق بعد تقسيم العمل بينهم و كان يحضّهم بقوله:

ص:154=PAGEص:

«لا عيش إلّا عيش الآخرة اللهم إغفر للأنصار و المهاجرة»[[313]](#footnote-313).

و لم يخل الأمر عن دور للمنافقين و المتقاعسين عن العمل رغم الهمة و الحماس الذي أظهره المخلصون من المسلمين‏[[314]](#footnote-314).

و أحاطت قوى الأحزاب المشركة البالغة نحو عشرة الاف مقاتل بالمدينة يمنعها الخندق و تسيطر عليها الدهشة لهذا الاسلوب الدفاعي الذي لم تكن تألفه من قبل. و خرج النبي (صلّى اللّه عليه و اله) في ثلاثة آلاف مقاتل و نزل في سفح جبل سلع و وزّع المهام و الأدوار لمواجهة الطوارئ.

و بقيت الأحزاب تحاصر المدينة ما يقرب من شهر عاجزين عن اقتحامها، و كانت هناك مواقف رائعة للمسلمين و كان بطلها الأوحد علي بن أبي طالب (عليه السّلام)، و قد توّج النبي (صلّى اللّه عليه و اله) موقف علي بن أبي طالب البطولي عند ما خرج لمبارزة صنديد من صناديد العرب- هو عمرو بن عبدود- بعد أن أحجم المسلمون عن الخروج إليه بقوله (صلّى اللّه عليه و اله): «برز الإيمان كله الى الشرك كله»[[315]](#footnote-315).

و حاول المشركون الاستعانة بيهود بني قريظة بالرغم من انهم كانوا قد تعاهدوا مع رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) ان لا يدخلوا في حرب ضد المسلمين، و تيقّن الرسول القائد (صلّى اللّه عليه و اله) من عزيمة اليهود على المشاركة في القتال و فتح جبهة داخليّة ضدّ المسلمين فأرسل اليهم سعد بن معاذ و سعد بن عبادة فرجعوا مؤكدين الخبر فكبّر الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) قائلا: «الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين بالفتح»[[316]](#footnote-316).

ص:155=PAGEص:

الضغط على المسلمين:

لقد تعرض المسلمون لضغوط عديدة أثناء الحصار منها:

1- تناقص الأقوات (المواد الغذائية) حتى بدى شبح المجاعة يدنو من المسلمين‏[[317]](#footnote-317).

2- صعوبة الظروف الجوّية حيث البرد القارس في ليالي الشتاء الطويلة.

3- الحرب النفسيّة المريرة التي شنّتها جيوب المنافقين في صفوف المسلمين و تخذيلهم عن القتال و تخويفهم من مغبّة الاستمرار في الصمود.

4- السهر المستمر طوال مدة الحصار حذرا من الهجوم المباغت، فقد أتعب ذلك المسلمين بالنظر إلى عددهم القليل اذا ما قيس الى كثرة قوّات الأحزاب.

5- غدر بني قريظة حيث أصبح خطرا حقيقيا يهدد قوات المسلمين داخليا و يزيدهم قلقا على سلامة أهاليهم داخل المدينة.

هزيمة العدو:

لقد كانت قوى الأحزاب ذات نوايا و أهداف متخالفة، فاليهود كانوا يحاولون استعادة نفوذهم على المدينة بينما كانت قريش مندفعة بعدائها للرسول و الرسالة و كانت غطفان و فزارة و غيرها طامعة في محاصيل خيبر التي وعدها اليهود. هذا من جانب. و من جانب آخر أحدثت قسوة ظروف الحصار كللا و مللا في نفوس الأحزاب الى جانب ما واجههوه من التحصين و قوة المسلمين التي أبدوها و ما قام به «نعيم بن مسعود» من إحداث شرخ في تحالف الأحزاب‏

ص:156=PAGEص:

و اليهود إذ أقدم- بعد اسلامه- الى الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) قائلا: مرني ما شئت فقال له (صلّى اللّه عليه و اله): «أنت فينا رجل واحد، فخذّل عنا ما استطعت فإنّ الحرب خدعة».

و أرسل اللّه سبحانه و تعالى على الأحزاب ريحا عاتية باردة أحدثت فيهم رعبا و قلقا فاقتلعت خيامهم و كفأت قدورهم، فنادى أبو سفيان بقريش للرحيل فأخذوا معهم من المتاع ما استطاعوا حمله و فرّوا هاربين و تبعتهم سائر القبائل حتى إذا أصبح الصباح لم يبق أحد منهم‏ وَ كَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتالَ‏[[318]](#footnote-318).

غزو بني قريظة و تصفية يهود المدينة:

لقد كشف يهود قريظة عن الحقد و العداء الذي انطوت عليه نفوسهم يوم الخندق و لو لا أن اللّه أخزى الأحزاب لتمكن يهود بني قريظة من الفتك بالمسلمين من خلف ظهورهم فكان لا بد للرسول (صلّى اللّه عليه و اله) من معالجة موقفهم الخياني، و لهذا أمر النبي (صلّى اللّه عليه و اله) أن يتحرك المسلمون لمحاصرة اليهود في حصونهم من دون أن يعطي فرصة للاستراحة مظهرا بذلك أهمية الحركة العسكرية الجديدة فأذّن المؤذن في الناس: من كان سامعا مطيعا فلا يصلينّ العصر الّا في بني قريظة[[319]](#footnote-319).

و أعطى النبي (صلّى اللّه عليه و اله) رايته لعلي (عليه السّلام) و تبعه المسلمون مع ما بهم من ألم الجوع و السهر و الجهد من أثر محاصرة الأحزاب ... و استولى الهلع و الخوف على اليهود حين رأوا الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) و المسلمين يحيطون بهم و أيقنوا أن النبي غير منصرف عنهم حتى يناجزهم.

و طلب اليهود أبا لبابة بن عبد المنذر- و كان من حلفائهم الأوس-

ص:157=PAGEص:

يستشيرونه في أمرهم و لكنه كشف لهم عمّا كان يعلمه من مصيرهم حين قاموا إليه صغارا و كبارا يبكون‏[[320]](#footnote-320). و لم يقبل النبي (صلّى اللّه عليه و اله) عرض بني قريظة و هو الارتحال عن المدينة من دون عقوبة بسبب موقفهم الخياني السابق و أبى إلّا النزول على حكم اللّه و رسوله، و حاول الأوس التوسط- بطلب من اليهود- لدى النبي (صلّى اللّه عليه و اله) فقال (صلّى اللّه عليه و اله): الا ترضون أن أجعل بيني و بين حلفائكم رجلا منكم؟ قالوا:

بلى يا رسول اللّه، قال (صلّى اللّه عليه و اله): فقولوا لهم أن يختاروا من الأوس من شاؤوا. فاختار اليهود سعد بن معاذ[[321]](#footnote-321) حكما و كان هذا من سوء حظ اليهود؛ لأن سعدا جاءهم يوم تجمعت الأحزاب طالبا منهم الحياد في الموقف فأبوا ذلك. و كان سعد جريحا فحملوه إلى رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) فاستقبله و قال (صلّى اللّه عليه و اله) لمن حوله: قوموا إلى سيدكم، فقاموا إليه. ثم حكم سعد بقتل الرجال و سبي النساء و الذراري و تقسيم الأموال على المسلمين، فقال له النبي (صلّى اللّه عليه و اله): لقد حكمت فيهم بحكم اللّه فوق سبع أرقعة[[322]](#footnote-322).

ثم إن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) قسّم أموال بني قريظة و نساءهم و أبناءهم على المسلمين بعد ما أخرج الخمس، للفارس ثلاثة أسهم و للراجل سهم، ثم أعطى الخمس الى زيد بن حارثة و أمره أن يشتري بها خيلا و سلاحا و غيرها من عدّة الحرب استعدادا للمهام اللاحقة[[323]](#footnote-323).

ص:159=PAGEص:

الباب الخامس فيه فصول:

الفصل الأول:

مرحلة الفتح الفصل الثاني:

الاسلام خارج الجزيرة الفصل الثالث:

تصفية الوجود الوثني داخل الجزيرة الفصل الرابع:

أيّام الرسول الأخيرة الفصل الخامس:

من معالم الرسالة الاسلامية الخاتمة الفصل السادس:

تراث خاتم المرسلين (صلّى اللّه عليه و اله)

ص:161=PAGEص:

الفصل الأوّل مرحلة الفتح‏

1- صلح الحديبية:

كادت تنقضي السنة السادسة للهجرة و كانت تلك السّنة سنة جهاد مستمر و دفاع مستميت بالنسبة للمسلمين. و اهتم المسلمون بنشر الرسالة الإسلامية و بناء الانسان و المجتمع الإسلامي و تكوين الحضارة الاسلامية. و قد ادرك كل من كان في الجزيرة العربية عظمة هذا الدين و عرف أن من المستحيل استئصاله و القضاء عليه، فالصراع مع قريش- و هي أكبر قوة سياسية و عسكرية آنذاك- و مع اليهود و باقي القوى المشركة لم يمنع من انتشار الإسلام و سطوع معانيه و بلوغ أهدافه.

و لم يكن البيت الحرام ملكا لأحد أو حكرا لمذهب أو أصحاب معتقد معيّن، فقد كانت هنالك أصنام و أوثان متعددة يحج اليها من يعتقد بها، إلّا أن طغيان قريش و عتوّها صدّ النبي (صلّى اللّه عليه و اله) و المسلمين عن زيارة البيت الحرام.

و في هذه الفترة أدرك النبي (صلّى اللّه عليه و اله) حرج قريش في موقفها تجاه الإسلام فقرر أن ينطلق بالمسلمين في رحلة عبادية مؤديا العمرة، ليعلن من خلالها مواصلته للدعوة الإسلامية و يوضح ما يمكنه من مفاهيم العقيدة الاسلامية و معالمها و احترامها و تقديسها للبيت الحرام، و تكون حركته هذه مرحلة انفتاح رسالي جديد و عهد انتقال من مرحلة الدفاع الى مرحلة الانتشار و الهجوم.

ص:162=PAGEص:

سلك الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) و أصحابه طريقا و عرا ثم هبطوا إلى منطقة سهلة تدعى ب «الحديبية» فبركت ناقة رسول اللّه فقال (صلّى اللّه عليه و اله): «ما هذا لها عادة و لكن حبسها حابس الفيل بمكة»[[324]](#footnote-324)، فأمر (صلّى اللّه عليه و اله) المسلمين بالنزول فيها- و قال (صلّى اللّه عليه و اله): «لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألونني فيها صلة الرحم إلّا أعطيتهم إياها»[[325]](#footnote-325)، و لكنّ قريشا بقيت تترصد المسلمين و وقف فرسانها في طريقهم، ثم بعثت إلى النبي (صلّى اللّه عليه و اله) بديل بن ورقاء في وفد من خزاعة لتستعلم هدف النبي (صلّى اللّه عليه و اله) و تصده عن دخول مكة، و عاد الوفد ليقنع قريشا أن السلم و العمرة هدف النبي (صلّى اللّه عليه و اله). و استكبرت قريش و بعثت بوفد آخر يرأسه الحليس- سيد الأحابيش- فلما رآه النبي (صلّى اللّه عليه و اله) مقبلا قال: «إن هذا من قوم يتألهون» (أي يعظمون اللّه). فلما رأى الحليس الهدي رجع الى قريش من دون أن يلتقي بالنبي (صلّى اللّه عليه و اله) ليقنع قريشا ان النبي (صلّى اللّه عليه و اله) و المسلمين جاءوا معتمرين. و لكن لم تقتنع قريش فأرسلت مسعود بن عروة الثقفي الذي انبهر من مشهد المسلمين و هم يتسابقون لالتقاط القطرات المتناثرة من وضوئه (صلّى اللّه عليه و اله) فعاد الى قريش قائلا: يا معشر قريش إني قد جئت كسرى في ملكه و قيصر في ملكه و النجاشي في ملكه، و إني و اللّه ما رأيت ملكا في قوم قط مثل «محمد» في أصحابه، و لقد رأيت قوما لا يسلمونه لشي‏ء قط فروا رأيكم‏[[326]](#footnote-326).

و قد أعرب النبي (صلّى اللّه عليه و اله) عن احترامه للأشهر الحرم من خلال رحلة المسلمين العباديّة حيث لم يحملوا معهم سوى سلاح المسافر، كما دعا القبائل المجاورة أن يكونوا الى جانب المسلمين في هذه الرحلة رغم أنهم لم يكونوا مسلمين مؤكدا أن العلاقة بين الاسلام و باقي القوى غير قائمة على أساس الحرب.

ص:163=PAGEص:

و استنفر النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) ألفا و أربعمائة مسلم- على أقل التقادير- و ساق الهدي أمامه (سبعين بعيرا). و بلغ قريشا نبأ خروج النبي (صلّى اللّه عليه و اله) و المسلمين لأداء العمرة فأصبحت قريش في ضيق من أمرها و كان أمامها طريقان: إما أن تسمح للمسلمين بأداء العمرة و بذلك يتحقق للمسلمين أملهم في زيارة البيت الحرام و يحظى المهاجرون بالاتصال بأهلهم و ذويهم و ربما دعوتهم الى الاسلام، أو أن تمنع قريش المسلمين عن دخول مكة و بذلك ستتعرض مكانة قريش للاهتزاز و تكون محطّا للوم القبائل الاخرى بسبب سوء معاملتها لقوم مسالمين يبتغون أداء مناسك العمرة و تعظيم الكعبة المشرفة لا غير.

لقد أبت قريش إلّا العتو و المعاندة فأخرجت مجموعة من فرسانها تقدّر بمئتي فارس بقيادة خالد بن الوليد لمواجهة النبي (صلّى اللّه عليه و اله) و المسلمين. و لما كان النبي (صلّى اللّه عليه و اله) قد خرج محرما لا غازيا قال (صلّى اللّه عليه و اله): يا ويح قريش لقد أكلتهم الحرب ما ذا عليهم لو خلوا بيني و بين سائر العرب فإن هم أصابوني كان الذي أرادوا، و إن أظهرني اللّه عليهم دخلوا في الإسلام وافرين، و إن لم يفعلوا قاتلوا و بهم قوة، فما تظن قريش؟ فو اللّه لا أزال أجاهد على الذي بعثني اللّه به حتى يظهره اللّه أو تنفرد هذه السالفة.

ثمّ أمر بالعدول عن طريق فرسان قريش تجنبا لوقوع قتال تتخذه قريش ذريعة لصحة موقفها و فخرا لها. و أرسل النبي (صلّى اللّه عليه و اله) خراش بن امية الخزاعي ليفاوض قريشا في الأمر، فعقروا ناقته و كادوا أن يقتلوه. و لم ترع قريش حرمة و لاذمة للأعراف و التقاليد. و لم تلبث قريش أن كلفت خمسين رجلا للتحرش بالمسلمين عسى أن يبدر منهم ما ينفي صفة السلم عنهم. و فشلت خطتهم و تمكن المسلمون من أسرهم فعفا رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) عنهم مؤكدا بذلك هدفه السلمي‏[[327]](#footnote-327).

ص:164=PAGEص:

و أراد النبي (صلّى اللّه عليه و اله) أن يبعث الى قريش رسولا آخر- و لم يتمكن من إرسال علي بن أبي طالب ممثلا عنه؛ لأنّ عليا كان قد وتر قريش بقتل صناديدها في معارك الدفاع عن الإسلام، فانتدب عمر بن الخطاب و لكن عمر خاف من قريش على نفسه رغم أنه لم يقتل فردا من أفرادها و اقترح على النبي (صلّى اللّه عليه و اله) أن يرسل عثمان بن عفان‏[[328]](#footnote-328)؛ لكونه أمويا و ذا قرابة مع أبي سفيان. و تأخر عثمان في العودة من قريش و اشيع خبر مقتله، فكان هذا إنذارا بفشل كل المساعي السلمية لدخول مكة. و لم يجد الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) بدّا من التهيّؤ للقتال، و هنا كانت بيعة الرضوان إذ جلس النبي (صلّى اللّه عليه و اله) تحت شجرة و أخذ أصحابه يبايعونه على الاستقامة و الثبات مهما كلف الأمر، و هدأ استنفار المسلمين بعودة عثمان. و ارسلت قريش سهيل بن عمرو لمفاوضة النبي (صلّى اللّه عليه و اله).

شروط الصلح:

و بسبب تشدد «سهيل» في شروط الصلح كادت المفاوضات أن تفشل، و أخيرا تمّ الاتفاق على عدّة شروط للصلح، هي:

1- تعهّد الطرفين بترك الحرب عشر سنين، يأمن فيها الناس و يكفّ بعضهم عن بعض.

2- من أتى محمّدا من قريش بغير إذن وليّه ردّه عليهم، و من جاء قريشا ممّن مع «محمّد» لم يردّوه عليه.

3- من أحب أن يدخل في عقد «محمّد» و عهده دخل فيه و من أحبّ أن يدخل في عقد قريش و عهدهم دخل فيه.

4- يرجع «محمّد» بأصحابه إلى المدينة عامه هذا فلا يدخل مكة، و إنما

ص:165=PAGEص:

يدخل مكة في العام القادم فيقيم فيها ثلاثة أيام ليس معه سوى سلاح الراكب، و السيوف في القرب‏[[329]](#footnote-329).

5- لا يستكره أحد على ترك دينه و يعبد المسلمون اللّه بمكة علانية و بحرية و أن يكون الاسلام ظاهرا بمكة و أن لا يؤذى أحد و لا يعيّر[[330]](#footnote-330).

6- لا إسلال (سرقة) و لا إغلال (خيانة) بل يحترم الطرفان أموال الطرف الآخر[[331]](#footnote-331).

7- لا تعين قريش على «محمّد» و أصحابه أحدا بنفس و لا سلاح‏[[332]](#footnote-332).

و لم يرض نفر من المسلمين ببنود الصلح، فاعترضوا على النبي (صلّى اللّه عليه و اله) متصوّرين أنّ النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) قد تراجع أمام قريش و لم يدركوا أن النبي (صلّى اللّه عليه و اله) مسدد من اللّه و أنه ينظر بعين متطلّعة الى مستقبل الرسالة الإسلامية و مصالحها العليا. و ردّ النبي (صلّى اللّه عليه و اله) على المعترضين بقوله: «أنا عبد اللّه و رسوله لن أخالف أمره و لن يضيّعني».

و أقرّ النبي ما كرهه بعض المسلمين، و جاءت قضية تسليم أبي جندل لقريش‏[[333]](#footnote-333) إثارة جديدة في ظرف توتّر فيه الوضع النفسي عند بعضهم.

و لكن هذا الصلح كان في الواقع فتحا مبينا و كبيرا للمسلمين على خلاف ما كان يبدو للبعض من ظاهر بنود الصلح؛ إذ انقلبت شروط المعاهدة لصالح المسلمين بعد قليل.

و في طريق الرجوع الى المدينة نزلت آيات القرآن الكريم‏[[334]](#footnote-334) لتؤكد البعد

ص:166=PAGEص:

الحقيقي للصلح مع زعيمة الوثنية، و تبشّر المسلمين بدخول مكة قريبا.

نتائج صلح الحديبية:

1- اعترفت قريش بكيان المسلمين كقوة عسكرية و سياسية منظمة، و كدولة حقيقية جديدة.

2- دخلت المهابة في قلوب المشركين و المنافقين و تصاغر دورهم، و ظهر ضعفهم عند المواجهة.

3- أعطت الهدنة فرصة لنشر الاسلام و دخلت قبائل كثيرة في الاسلام. و قد كان رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) يتوقّع منذ بدء حركته الرسالية الإسلامية أن تترك قريش له فرصة يعبّر فيها بحرّية عن موقفه، و يشرح الإسلام للناس بأمان.

4- أمن المسلمون جانب قريش فحوّلوا ثقلهم و جهودهم لمواجهة اليهود و سائر المناوئين.

5- جعلت مفاوضات الصلح حلفاء قريش يفقهون موقف المسلمين و يميلون إليهم.

6- مكّن الصلح النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) من أن يراسل الملوك و رؤساء الدول خارج الجزيرة لدعوتهم إلى الاسلام، و أن يستعدّ لغزوة مؤتة، كخطوة لنقل الإسلام خارج منطقة الجزيرة العربية.

7- مهّد الصلح لفتح مكة- الّتي كانت أهم قلاع الوثنية حين ذاك- في مراحل لاحقة.

2- انطلاقة الرسالة الاسلامية الى خارج المدينة:

لقد كانت محاولات قريش للقضاء على الاسلام فيما مضى عاملا لانشغال النبي (صلّى اللّه عليه و اله) و المسلمين في معارك الدفاع و التحصين و تثبيت أركان الدولة

ص:167=PAGEص:

و المجتمع الإسلامي عدة سنين فلم يستطع خلالها أن يبلّغ بحريّة تامّة رسالته السماوية العالمية و الخاتمة لكل الأديان. و لكن بتوقيع معاهدة صلح الحديبية أمن الرسول جانب قريش و أتاحت هذه العملية فرصة مناسبة لأن يبعث الرسول الأعظم (صلّى اللّه عليه و اله) سفراءه الى زعماء القوى الكبرى المحيطة بالجزيرة العربية و الى كل رؤساء المجاميع في الجزيرة و خارجها يدعوهم الى الاسلام بعد بيان التعاليم الإلهية لهم.

فقد روي أنه (صلّى اللّه عليه و اله) قال في أصحابه: «أيها الناس إن اللّه قد بعثني رحمة و كافّة فلا تختلفوا عليّ كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم».

فقال أصحابه: و كيف اختلف الحواريون يا رسول اللّه؟ قال (صلّى اللّه عليه و اله): «دعاهم الى الذي دعوتكم إليه فأما من بعثه مبعثا قريبا فرضي و سلّم و أما من بعثه مبعثا بعيدا فكره وجهه و تثاقل»[[335]](#footnote-335).

و انطلقت رسل الدعوة و الهداية تنقل أمر رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) الى نقاط العالم المختلفة[[336]](#footnote-336).

3- غزوة خيبر[[337]](#footnote-337):

بجهود صادقة و بحنكة كبرى و شجاعة فائقة و تسديد إلهي ارتقى النبي (صلّى اللّه عليه و اله) بالمسلمين سلّم الوعي الرسالي و الثبات و الخير و زرع فيهم روح الصبر و التواصل .. و انطلق (صلّى اللّه عليه و اله) برسالته السماوية إلى العالم الإنساني خارج الجزيرة العربية من خلال كتبه و رسله الى زعماء القوى المجاورة.

ص:168=PAGEص:

و توقع النبي (صلّى اللّه عليه و اله) أن تكون ردود الفعل مختلفة فقد يكون بعضها هجوما عسكريا يقصد المدينة مستعينا بما فيها من بقية جيوب المنافقين و اليهود و هم الذين حفل تأريخهم بالغدر و الخيانة.

و كانت خيبر تمثّل حصنا قويا و مركزا كبيرا لليهود و لهذا قرر النبي (صلّى اللّه عليه و اله) أن يقضي على هذه القوة المتبقّية، فلم يلبث بعد عودته من الحديبية إلّا أياما قلائل حتى جهّز جيشا بلغ تعداده ألفا و ستمائة من المسلمين مؤكدا لهم أن لا يخرجوا في ابتغاء الغنيمة و قال (صلّى اللّه عليه و اله): «لا يخرجنّ معنا إلّا راغب في الجهاد»[[338]](#footnote-338).

و اتّبع النبي (صلّى اللّه عليه و اله) اسلوبا يوهم حلفاء اليهود و يمنعهم عن المبادرة لنصرتهم؛ تجنبا لمزيد من القتال.

فباغتت قوات المسلمين حصون اليهود يتقدمها علي بن أبي طالب (عليه السّلام) حاملا راية رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله).

و امتنعت اليهود في حصونهم المنيعة بخطة محكمة كانوا قد اتّبعوها، ثم دارت مناوشات متعددة تمكّن المسلمون خلالها من احتلال عدة مواقع مهمة.

على أن القتال اشتدّ و طالت مدّة الحصار و عانى المسلمون من قسوة الجوع حتى أنهم أكلوا طعاما غير مستساغ.

و أعطى رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) رايته الى عدد من الصحابة ليتم الفتح على أيديهم فلم يأتوا إلّا بالفرار و الفشل. و لمّا بلغ الجهد بالمسلمين قال النبي (صلّى اللّه عليه و اله): «لأعطين الراية غدا رجلا يحب اللّه و رسوله و يحبه اللّه و رسوله كرّار غير فرّار لا يرجع حتى يفتح اللّه على يديه»[[339]](#footnote-339).

ص:169=PAGEص:

و دعا في اليوم التالي عليا و أعطاه الراية فتمّ الفتح على يديه و سرّ المسلمون و النبي (صلّى اللّه عليه و اله) جميعا، و صالح رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) البقية الباقية من اليهود بعد استسلامهم على نصف ثمار مزارعهم التي أصبحت ملكا للمسلمين، و لم يعاملهم كما عامل بني النضير و بني القينقاع و بني قريظة؛ إذ لم تعد قوة اليهود الباقية ذات أثر مهم في المدينة.

4- محاولة اغتيال النبي (صلّى اللّه عليه و اله):

لقد قررت جماعة في الخفاء قتل النبي (صلّى اللّه عليه و اله) غيلة شفاءا لحقدهم الدفين و إرضاءا لنزعاتهم العدوانية و لهذا أهدت زينب بنت الحارث- زوجة سلام بن مشكم اليهودي- الى النبي (صلّى اللّه عليه و اله) شاة مشوية و دسّت السمّ فيها و أكثرت منه في ذراعها إذ كانت تعلم أن النبي (صلّى اللّه عليه و اله) يحب الذراع من الشاة.

فلمّا وضعتها بين يديه أخذ (صلّى اللّه عليه و اله) الذراع فلاك منها مضغة فلم يسغها و لفظها، بينما مات بشر بن البراء بن معرور بعد أن ابتلع مضغة اخرى منها.

و عفا النبي (صلّى اللّه عليه و اله) عنها بعدما اعترفت له بذلك زاعمة أنها كانت تريد اختبار نبوّته، و لم يلاحق النبي (صلّى اللّه عليه و اله) الذين تواطأوا معها[[340]](#footnote-340).

5- استسلام أهالي فدك:

و تهاوت أوكار الخيانة أمام صولات الحق و العدل، فما أن تم نصر اللّه في خيبر حتى قذف اللّه الرعب في قلوب أهل فدك فبعثوا إلى رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) يصالحونه على نصف محاصيل فدك و أن يعيشوا تحت راية الحكم الإسلامي، مطيعين مسالمين فوافق رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) على ذلك.

ص:170=PAGEص:

و بهذا أصبحت فدك ملكا لرسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) خاصة بحكم القرآن لأنها مما لم يوجف عليه بخيل و لا سلاح إذ أعلنت استسلامها للنبي (صلّى اللّه عليه و اله) من دون تهديد أو قتال. و قد وهب رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) فدكا لابنته فاطمة الزهراء (عليها السّلام)[[341]](#footnote-341).

و بهذا تمّ تطهير أرض الجزيرة العربية من جيوب الخيانة و تخلّصت من فتن اليهود الذين جرّدوا من أسلحتهم و وضعوا تحت حماية القانون و الدولة الاسلامية.

و في يوم فتح خيبر أقبل جعفر بن أبي طالب من الحبشة، فاستقبله رسول اللّه و قبّل ما بين عينيه و قال: بأيهما اسرّ بفتح خيبر أم بقدوم جعفر[[342]](#footnote-342).

6- عمرة القضاء:

انقضت أيام الهدنة و النبي (صلّى اللّه عليه و اله) و المسلمون في عمل دؤوب متواصل لتركيز دعائم الحكم الإسلامي، و لم تحدث تحركات عسكرية مهمة بعد فتح خيبر سوى خروج سرايا تبليغية أو تأديبية لبعض العناصر التي كانت تظهر الشغب.

و مضى عام على صلح الحديبية إلتزم خلاله الطرفان ببنود الاتفاق و حلّ الوقت الذي أصبح النبي و المسلمون في حلّ من عهدهم لزيارة بيت اللّه الحرام، فنادى منادي الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) أن يتجهز المسلمون لأداء عمرة القضاء. و خرج مع النبي (صلّى اللّه عليه و اله) ألفان من المسلمين لا يحملون سلاحا إلّا السيوف في القرب، و كان من حيطة النبي و حذره من احتمال الغدر أن جهّز مجموعة مسلحة عند (مرّ الظهران) ليكونوا القوّة المستعدة للدفاع عند الطوارئ.

و لما وصل النبي (صلّى اللّه عليه و اله) ذا الحليفة أحرم هو و أصحابه و ساق معه ستين بدنة،

ص:171=PAGEص:

[[343]](#footnote-343)

و قدّم الخيل أمامه، و كانت نحوا من مائة بقيادة محمد بن مسلمة. و خرج زعماء مكة و من تبعهم الى رؤوس الجبال و التلال المجاورة المطلة على مكة زاعمين أنهم لا يريدون النظر الى وجه النبي (صلّى اللّه عليه و اله) و لا إلى اصحابه، و لكن جلالة الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) و هيبة منظر المسلمين الذين كانوا قد احتفّوا بالرسول و هم يردّدون التلبية بهرت عيونهم و تركتهم مذهولين ينظرون إلى النبي (صلّى اللّه عليه و اله) و المسلمين و هم يؤدون مناسكهم.

و طاف النبي (صلّى اللّه عليه و اله) حول البيت على راحلته التي كان يقودها عبد اللّه بن رواحة و أمر أن ينادي المسلمون بصوت عال: «لا إله إلّا اللّه وحده، صدق وعده، و نصر عبده، و أعزّ جنده و هزم الأحزاب وحده».

فدوّى النداء في مكة و شعابها فانصدعت قلوب المشركين رعبا و تملّكهم الغيظ و الحقد من مظاهر النصر الإلهي للنبي (صلّى اللّه عليه و اله) الذي خرج منهم طريدا قبل سبع سنين.

و أتم النبي (صلّى اللّه عليه و اله) و المسلمون مناسك العمرة، و أيقنت قريش بقوة الإسلام و المسلمين و أيقنت بكذب من أخبرها أن النبي (صلّى اللّه عليه و اله) و من معه في جهد و تعب و ضيق و حرج بسبب الهجرة إلى المدينة.

و صعد بلال على ظهر الكعبة و أعلن نداء التوحيد مؤذّنا لصلاة الظهر بمظهر روحاني بهيج أغاظ رؤوس الكفر من قريش ... و قد كانت مكة كلّها تحت تصرف المسلمين.

و تفرق المهاجرون فيها و هم يصحبون إخوتهم الأنصار يزورون دورهم التي غادروها في سبيل اللّه و يلتقون بأهليهم و ذويهم بعد فراق طويل.

و أمضى المسلمون ثلاثة أيام في مكة ثم غادروها بموجب الاتفاق الذي كان بينهم و بين قريش بعد أن رفضت طلب النبي (صلّى اللّه عليه و اله) بأن يتم مراسم زواجه من‏

ص:172=PAGEص:

«ميمونة» خائفين من ازدياد قوة النبي (صلّى اللّه عليه و اله) و اختراق الإسلام لمجتمع مكة من خلال طول مكث النبي (صلّى اللّه عليه و اله) فيها.

و خلّف النبي (صلّى اللّه عليه و اله) أبا رافع ليحمل إليه زوجته «ميمونة» حين يمسي، إذ خرج المسلمون قبل صلاة الظهر من مكّة[[344]](#footnote-344).

ص:173=PAGEص:

الفصل الثّاني الاسلام خارج الجزيرة

1- معركة مؤتة[[345]](#footnote-345):

عزم النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) على بسط الأمن في شمال الجزيرة العربية، و دعوة أهلها إلى الإسلام و الانطلاق نحو الشام. من هنا بعث الحارث بن عمير الأزدي إلى الحارث ابن أبي شمر الغساني فاعترضه شرحبيل بن عمرو الغسّاني فقتله.

و في الفترة نفسها بعث الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) مجموعة من المسلمين يدعون الى الإسلام فعدا عليهم أهل منطقة «ذات أطلاح» من الشام و قتلوهم و بلغ خبر مقتلهم الرسول فتألم لذلك كثيرا و انتدب (صلّى اللّه عليه و اله) المسلمين للخروج، فأعد جيشا من ثلاثة ألاف مقاتل و أمّر عليه زيد بن حارثة ثمّ جعفر بن أبي طالب، ثمّ عبد اللّه بن رواحة. و خطب فيهم قائلا: «اغزوا بسم اللّه ... أدعوهم إلى الدخول في الإسلام ... فإن فعلوا فاقبل منهم و اكفف عنهم ... و إلّا فقاتلوا عدوّ اللّه و عدوّكم بالشام و ستجدون فيها رجالا في الصوامع معتزلين الناس، فلا تعرضوا لهم، و ستجدون آخرين للشيطان في رؤوسهم مفاحص فاقلعوها بالسيوف، و لا تقتلن امرأة و لا صغيرا مرضعا و لا كبيرا فانيا، لا تغرقنّ نخلا و لا تقطعنّ شجرا و لا تهدموا بيتا»[[346]](#footnote-346).

ص:174=PAGEص:

و خرج رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) معهم مودّعا حتى بلغ ثنية الوداع.

و لما بلغ جيش المسلمين منطقة «مشارق» فوجئ بالعدة و العدد الضخم لجيش الروم إذ بلغ عددهم مائتي ألف مقاتل فانحاز المسلمون الى مؤتة و عزموا على مقاومة العدو. و لأسباب عديدة بان الانكسار في جيش المسلمين فقتل القادة الثلاثة جميعا. و كان من عوامل الانكسار أنهم كانوا يقاتلون في منطقة غريبة عليهم و بعيدة عن مركز الإمدادات كما أنهم كانوا يقاتلون مهاجمين و الروم بالعدد الضخم يقاتلون مدافعين، هذا مضافا إلى التفاوت في الخبرة القتالية فجيش الروم قوة منظمة مارست حروبا سجالا أما جيش المسلمين فكان قليل العدد و الخبرة، فتيّا في تكوينه‏[[347]](#footnote-347).

و لقد تألّم رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) لمقتل جعفر بن أبي طالب و بكاه بشدة، و ذهب (صلّى اللّه عليه و اله) الى بيت جعفر يعزّي أهله و يواسي أبناءه، كما حزن كثيرا على زيد ابن حارثة[[348]](#footnote-348).

2- فتح مكة[[349]](#footnote-349):

لقد اختلفت ردود فعل القوى في المنطقة بعد معركة مؤتة، فالروم فرحوا من انسحاب المسلمين و عدم تمكّنهم من دخول الشام.

أما قريش فقد سادهم الفرح و انبعثت فيهم الجرأة على المسلمين و أخذوا يسعون لنقض صلح الحديبية عبر الإخلال بالأمن فحرّضوا قبيلة بني بكر على بني‏

ص:175=PAGEص:

خزاعة (بعد أن دخلت قبيلة بني بكر في حلف قريش و خزاعة في حلف النبي (صلّى اللّه عليه و اله) اثر صلح الحديبية) و أمدّوها بالسلاح فعدت بكر على خزاعة غيلة و قتلوا عددا من أفرادها و هم في ديارهم آمنين، و كان بعضهم في حال العبادة ففزعوا إلى رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) طالبين النصرة، و وقف عمرو بن سالم بين يدي رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله)- و هو جالس في المسجد- ينشد أبياتا يعرض فيها نقض العهد.

فتأثر الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) و قال: نصرت يا عمرو بن سالم.

أما قريش فقد انتبهت و أدركت سوء فعلتها و قد تملّكها الخوف و الهلع من المسلمين فاجتمع رأيهم على إيفاد أبي سفيان الى المدينة ليجدد الصلح و يطلب تمديد المدة من النبي (صلّى اللّه عليه و اله).

و لكن النبي (صلّى اللّه عليه و اله) لم يصغ لطلب أبي سفيان و سأله قائلا: هل كان من حدث؟ قال أبو سفيان: معاذ اللّه، فأجابه النبي (صلّى اللّه عليه و اله): نحن على مدّتنا و صلحنا.

لكن أبا سفيان لم يهدأ له بال و لم يقنع بل أراد أن يستوثق و يأخذ عهدا و أمانا من رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) فسعى لتوسيط من يؤثّر على النبي (صلّى اللّه عليه و اله) فقابله الجميع بالرفض و اللامبالاة.

فلم يجد إلّا أن يقفل راجعا بالخيبة الى مكة و قد ضاقت الأمور على قوى الشرك حيث تبدلت الظروف، فالنبي (صلّى اللّه عليه و اله) يطلب مكة فاتحا، بعدّة تتزايد و إيمان يترسخ، و قريش تطلب الأمان و السلامة في دمائها و أموالها، و قد سنحت الفرصة بنقض الصلح. و تكاد تكون مكة آخر خطوة لتتم سيطرة الاسلام على الجزيرة العربية برمّتها.

و أعلن النبي (صلّى اللّه عليه و اله) النفير العام، و توافدت عليه جموع المسلمين ملبية نداءه، فجهّز جيشا قارب عدده عشرة آلاف رجل. و اجتهد النبي (صلّى اللّه عليه و اله) أن يكتم قصده و هدفه إلّا على الخاصة و كان (صلّى اللّه عليه و اله) يدعو اللّه قائلا: «اللهم خذ العيون و الأخبار

ص:176=PAGEص:

من قريش حتى نباغتها في بلادها»[[350]](#footnote-350).

و يبدو أن النبي (صلّى اللّه عليه و اله) كان يود أن يتحقق النصر المؤزّر سريعا دون إراقة قطرة دم، متخذا اسلوب المباغته. و لكن الخبر تسرب الى رجل كان قد ضعف أمام عواطفه فكتب الى قريش كتابا بذلك و بعثه مع امرأة توصله. و نزل الوحي يخبر النبي (صلّى اللّه عليه و اله) بذلك فأمر عليا و الزبير بأن يلحقا المرأة و يسترجعا الكتاب، و انتزع علي بن أبي طالب بقوة إيمانه برسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) الكتاب من المرأة[[351]](#footnote-351).

و لمّا استلم الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) الكتاب جمع المسلمين في المسجد ليثير هممهم و يحذر من مسألة الخيانة من جانب و يبيّن من جانب آخر أهمية كتب؟؟؟ العواطف مرضاة للّه. و قام المسلمون يدفعون حاطب بن أبي بلتعة صاحب الكتاب الذي حلف باللّه أنه لم يقصد الخيانة و انفعل عمر بن الخطاب و طلب من النبيّ أن يقتله فقال له: «و ما يدريك يا عمر لعلّ اللّه اطلع على أهل بدر و قال لهم إعملوا ما شئتم فلقد غفرت لكم»[[352]](#footnote-352).

تحرك الجيش الإسلامي نحو مكة:

و تحرك جيش المسلمين في العاشر من شهر رمضان باتجاه مكة المكرمة، و لما بلغ مكانا يدعى «الكديد» طلب النبي (صلّى اللّه عليه و اله) ماءا فأفطر به أمام المسلمين و أمرهم أن يفطروا لكن بعضا منهم عصوا الرسول القائد و لم يفطروا فغضب من عصيانهم و قال: «أولئك العصاة» و أمرهم أن يفطروا[[353]](#footnote-353).

ص:177=PAGEص:

و لما وصل النبي (صلّى اللّه عليه و اله) إلى مرّ الظهران أمر المسلمين أن ينتشروا في الصحراء و يوقد كل منهم نارا. و هكذا أضاء الليل البهيم و ظهر المسلمون كجيش عظيم تضيع أمامه كل قوى قريش مما أقلق العباس بن عبد المطلب- و هو آخر المهاجرين إذ التحق بركب رسول اللّه في منطقة الجحفة- فتحرك يبحث عن وسيلة يبلغ بها قريشا أن تأتي مسلمة قبل دخول الجيش عليها.

و فجأة سمع صوت أبي سفيان يحادث بديل بن ورقاء مستغربا وجود هذه القوة الكبيرة على مشارف مكة. و ارتعد أبو سفيان خوفا حين أخبره العباس بزحف النبي (صلّى اللّه عليه و اله) بجيشه لفتح مكة، و لم يجد أبو سفيان بدّا من اصطحاب العباس لأخذ الأمان من رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله).

و لم يكن بوسع ينبوع العفو و الاخلاق السامية أن يبخل بإجازة جوار عمّه لأبي سفيان فقال (صلّى اللّه عليه و اله): «إذهب فقد أمناه حتى تغدو به عليّ».

استسلام أبي سفيان:

و لما مثل أبو سفيان بين يدي النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) قال له: «ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلّا اللّه؟» فقال أبو سفيان: بأبي أنت و أمي ما أحلمك، و أكرمك و أوصلك! و اللّه لقد ظننت أن لو كان مع اللّه إله غيره لقد أغنى عني شيئا بعد.

فقال (صلّى اللّه عليه و اله): ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول اللّه؟» قال: بأبي أنت و أمي ما أحلمك و أكرمك و أوصلك أما و اللّه فإنّ في النفس منها حتى الآن شيئا[[354]](#footnote-354).

و تدارك العباس الموقف ليضغط على أبي سفيان ليسلم و قال له: ويحك أسلم و اشهد أن لا إله إلّا اللّه و أن محمدا رسول اللّه قبل أن تقتل. فشهد أبو سفيان الشهادتين خوفا من القتل، و دخل في عداد المسلمين.

ص:178=PAGEص:

و استسلم من بقي من زعماء المشركين بعد استسلام أبي سفيان، و لكن النبي (صلّى اللّه عليه و اله) استتماما للضغط النفسي على قريش كي تستسلم دون إراقة دماء قال للعباس: «يا عباس احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل حتى تمرّ به جنود اللّه فيراها».

و لإشاعة الاطمئنان و الثقة برحمة الإسلام و رحمة الرسول القائد و إرضاء لغرور أبي سفيان كي لا يكابر قال (صلّى اللّه عليه و اله): «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، و من أغلق بابه فهو آمن، و من دخل المسجد فهو آمن، و من طرح السلاح فهو آمن».

و مرّت جنود اللّه تعبر المضيق و العباس يعرّف الكتائب التي تمر و أبو سفيان قد أخذته الدهشة حتى قال: و اللّه يا أبا الفضل، لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما فأجابه العباس: يا أبا سفيان إنها النبوة. و تردد أبو سفيان في الجواب فقال:

فنعم إذن. ثم انطلق أبو سفيان إلى مكة ليحذّر أهلها و يعلن أمان رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله)[[355]](#footnote-355).

دخول مكة:

أصدر رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) أوامره الحكيمة بتوزيع مداخل القوات إلى مكة مؤكدا عدم اللجوء إلى القتال إلّا ردا عليه. و أهدر (صلّى اللّه عليه و اله) دماء عدد من المشركين- في كلّ الحالات- حتّى لو وجدوهم متعلقين بأستار الكعبة، لعظيم جنايتهم و معاداتهم للإسلام و للنبي (صلّى اللّه عليه و اله).

و ما إن لاحت بيوت مكة حتّى إغرورقت عينا النبي (صلّى اللّه عليه و اله) بالدموع، و دخلت قوّات الإسلام الظافرة مكة من جهاتها الأربع و مظاهر العز و النصر تجلّلها و دخل الرسول الأكرم (صلّى اللّه عليه و اله) مكة مطأطئا رأسه تعظيما للّه و شكرا له على ما منحه من الفضل و النعمة حيث دانت لرسالته و دولته أم القرى، بعد طول جهد و عناء

ص:179=PAGEص:

تحمله (صلّى اللّه عليه و اله) في سبيل إعلاء كلمة اللّه.

و رفض النبي (صلّى اللّه عليه و اله) أن يدخل دار أحد من أهالي مكة رغم كثرة عروضهم له، و اغتسل بعد استراحة قصيرة و ركب راحلته و كبّر فكبّر المسلمون فدوّى الصوت في الجبال و الوهاد- التي فرّ إليها بعض رؤوس الشرك خوفا من الإسلام و نصره- و جعل يشير و هو يطوف في البيت إلى كل صنم موجود حوله و يقول:

قل جاء الحق و زهق الباطل إن الباطل كان زهوقا، فيسقط الصنم لوجهه.

ثم أمر النبي (صلّى اللّه عليه و اله) عليّا أن يجلس ليصعد (صلّى اللّه عليه و اله) على كتفه و لكن لم يستطع علي (صلّى اللّه عليه و اله) أن يحمل النبي (صلّى اللّه عليه و اله) على كتفه لكسر الاصنام فوق الكعبة، من هنا صعد عليّ على كتف ابن عمّه (صلّى اللّه عليه و اله) و كسر الأصنام. ثم طلب النبيّ مفاتيح الكعبة و فتح بابها و دخلها و مسح ما فيها من صور. ثم وقف على بابها يخطب الجموع المتكاثرة خطبة الفتح العظيم فقال (صلّى اللّه عليه و اله): «لا إله إلّا اللّه وحده لا شريك له، صدق وعده، و نصر عبده، و هزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدّعى فهو تحت قدميّ هاتين، إلّا سدانة البيت و سقاية الحاج ... ثم قال (صلّى اللّه عليه و اله): «يا معشر قريش إن اللّه قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية و تعظّمها بالآباء، الناس من آدم و آدم من تراب ...»[[356]](#footnote-356) ثم تلا قوله تعالى: يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثى‏ وَ جَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَ قَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ[[357]](#footnote-357) يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم»؟.

قالوا: أخ كريم و ابن أخ كريم فقال (صلّى اللّه عليه و اله): «إذهبوا فأنتم الطلقاء»[[358]](#footnote-358).

ثم ارتقى بلال سطح الكعبة ليؤذّن لصلاة الظهر فصلى المسلمون بإمامة النبي (صلّى اللّه عليه و اله) في المسجد الحرام أوّل صلاة بعد هذا الفتح.

ص:180=PAGEص:

و وقف المشركون و الحيرة تملكهم و تعلوهم الدهشة مشوبة بالخوف و الحذر. و خشيت الأنصار أن لا يرجع معها الرسول الكريم حين رأوا تفاعل النبي (صلّى اللّه عليه و اله) مع أهل مكة و وقفوا و الأسئلة تدور فى مخيّلتهم و النبي (صلّى اللّه عليه و اله) واقف يدعو الله و قد علم ما يدور بينهم فالتفت إليهم قائلا: معاذ الله المحيا محياكم و الممات مماتكم، معلنا بذلك أن المدينة ستبقى عاصمة الاسلام.

ثم أقبل الناس يبايعونه فبايعه الرجال- و تشفع عدد من المسلمين لدى النبي (صلّى اللّه عليه و اله) ليعفو عمن أهدر دمه فعفا و صفح.

و جاءت النساء لتبايع- فكانت المرأة تدخل يدها في قدح فيه ماء قد وضع الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) يده فيه- عَلى‏ أَنْ لا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَ لا يَسْرِقْنَ وَ لا يَزْنِينَ وَ لا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَ لا يَأْتِينَ بِبُهْتانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَ أَرْجُلِهِنَّ وَ لا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ‏[[359]](#footnote-359).

و غضب النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) حين عدت خزاعة- حليفة الرسول (صلّى اللّه عليه و اله)- على رجل من المشركين فقتلته و قام (صلّى اللّه عليه و اله) خطيبا فقال: «يا أيها الناس إن الله حرّم مكة يوم خلق السماوات و الأرض فهي حرام الى يوم القيامة، لا يحل لامرئ يؤمن بالله و اليوم الآخر أن يسفك دما أو يعضد فيها شجرا ..»[[360]](#footnote-360).

ثم قال (صلّى اللّه عليه و اله): «فمن قال لكم إن رسول اللّه قد قاتل فيها فقولوا إن الله قد أحلّها لرسوله و لم يحللها لكم يا معشر خزاعة». و أكبرت قريش جميع مواقف النبي (صلّى اللّه عليه و اله) من مكة و أهلها من عطف و رحمة و سماحة و عفو و احترام و تقديس فمالت قلوبهم إليه و أقبلوا على الإسلام آمنين مطمئنين.

و أرسل رسول الله (صلّى اللّه عليه و اله) سراياه الى اطراف مكة و ما حولها لهدم ما تبقّى من الأصنام و أماكن عبادة المشركين فأخطأ خالد بن الوليد إذ قتل عددا من قبيلة

ص:181=PAGEص:

بني جذيمة بعد استسلامهم ثأرا لعمّه‏[[361]](#footnote-361) و غضب النبي (صلّى اللّه عليه و اله) حين علم بذلك و أمر عليا أن يأخذ أموالا و يدفع دية المقتولين ثم قام (صلّى اللّه عليه و اله) و استقبل القبلة رافعا يديه و هو يقول: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد»، و بذلك هدأت نفوس بني جذيمة»[[362]](#footnote-362).

3- غزوة حنين و حصار الطائف‏[[363]](#footnote-363):

أمضى النبي (صلّى اللّه عليه و اله) خمسة عشر يوما في مكة فاتحا فيها عهدا جديدا من التوحيد بعد طول فترة من الشرك، و الغبطة و السرور يعمّان المسلمين، و الأمان يلفّ أم القرى، و ترامت إلى أسماع النبي (صلّى اللّه عليه و اله) أن قبيلتي هوازن و ثقيف قد أعدّتا العدّة لمحاربة الإسلام ظنّا منهما أنّهما يحققان ما عجزت عنه سائر قوى الشرك و النفاق من تدمير الإسلام، و عزم النبي (صلّى اللّه عليه و اله) على الخروج لملاقاتهم و لكنه وطّد دعائم الإدارة في مكة قبل خروجه كما هي سيرته عند كل فتح، فعيّن معاذ بن جبل ليعلّم الناس القرآن و أحكام الاسلام كما عيّن عتاب بن أسيد للصلاة بالناس و إدارة الأمور.

و خرج النبي (صلّى اللّه عليه و اله) باثني عشر ألفا من المقاتلين، و هي قوة لم يشهد المسلمون مثلها ممّا أدّى بهم الى الغرور و الغفلة حتى أن أبا بكر قال: لو لقينا بني شيبان لن نغلب اليوم من قلّة[[364]](#footnote-364).

أما (هوازن) و (ثقيف) فقد تحالفتا و خرجتا بكامل عدّتهم مع نسائهم و أطفالهم و كمنوا لإرباك جيش المسلمين، و حين وصلت طلائع جيش المسلمين‏

ص:182=PAGEص:

أطراف الكمين أرغموها على الفرار حتّى فرّت باقي قوّات المسلمين فزعا من أسلحة العدو، و لم يثبت مع رسول اللّه إلا تسعة أشخاص من بني هاشم عاشرهم أيمن (ابن أم أيمن). و فرح المنافقون و سرّوا سرورا عظيما فخرج أبو سفيان يقول شامتا: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر، و قال آخر: ألا بطل السحر اليوم.

و عزم آخر على قتل النبي (صلّى اللّه عليه و اله) في ذلك الوضع المضطرب‏[[365]](#footnote-365).

و أمر النبي (صلّى اللّه عليه و اله) عمه العباس أن يصعد على صخرة و ينادي فلول المهاجرين و الأنصار المدبرة قائلا: يا أصحاب سورة البقرة، يا أهل بيعة الشجرة، إليّ. أين تفرّون؟ هذا رسول اللّه!

و كأن وعيا قد عاد بعد غفلة و حماسا دبّ بعد فتور فعادوا يوفون بوعود النصرة و الدفاع عن الاسلام و النبي (صلّى اللّه عليه و اله) ... و لما رأى النبي (صلّى اللّه عليه و اله) حماسهم قال:

الآن حمي الوطيس، أنا النبيّ لا كذب أنا ابن عبد المطلب. فأنزل اللّه السكينة على المسلمين و أيدهم بالنصر فولّت جموع الكفر منهزمة تاركة وراءها ستة الآف أسير و غنائم كبيرة جدا[[366]](#footnote-366)، و أمر النبي (صلّى اللّه عليه و اله) أن تحفظ الغنائم و تراعى أحوال الأسرى حتى تتم ملاحقة العدو الغارّ الى منطقة أوطاس و نخلة و الطائف.

و كان من سمو أخلاق النبي (صلّى اللّه عليه و اله) و عظيم عفوه و سعة رحمته أن قال لأم سليم: «يا أم سليم قد كفى الله، عافية الله أوسع» حين طلبت منه قتل الذين فرّوا عنه و خذلوه.

و فى موقف آخر، غضب النبي (صلّى اللّه عليه و اله) حين علم أن بعض المسلمين يقتل ذرّية المشركين غيظا منهم فقال (صلّى اللّه عليه و اله): «ما بال أقوام ذهب بهم القتل حتى بلغ الذرية،

ص:183=PAGEص:

ألا لا نقتل الذرية»، فقال أسيد بن حضير: يا رسول اللّه أ ليس هم أولاد المشركين.

فقال (صلّى اللّه عليه و اله): أو ليس خياركم أولاد المشركين، كل نسمة تولد على الفطرة حتى يعرب عنها لسانها، و أبواها يهوّدانها أو ينصّرانها[[367]](#footnote-367).

و واصلت قوات المسلمين ملاحقتها للعدو حتى الطائف فحاصروهم بضعا و عشرين يوما يترامون بالنبل من خلف الجدران و البساتين، ثم عدل النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) عن الطائف لاعتبارات كثيرة.

و عند وصوله الى الجعرانة (محل تجميع الأسرى و الغنائم) قام إليه وفد هوازن يلتمسون العفو عنده فقالوا: يا رسول الله إنما في هذه الأسرى عمّاتك و خالاتك اللاتي كن يكفلنك- حيث كان النبي (صلّى اللّه عليه و اله) قد رضع في بني سعد و هم من هوازن- و لو أنا مالحنا الحارث بن أبي شمر أو النعمان بن المنذر ثم نزل منا بمثل الذي نزلت به رجونا عطفه و عائدته علينا و أنت خير المكفولين. فخيّرهم الرسول بين الأسرى و المال فاختاروا الأسرى، ثم قال (صلّى اللّه عليه و اله): «أمّا ما كان لي و لبني عبد المطلب فهو لكم». و أسرع المسلمون جميعا يقتدون بالرسول القائد (صلّى اللّه عليه و اله) و يهبون له ما لهم من نصيب‏[[368]](#footnote-368).

و بحكمة بالغة و دراية عميقة بنفوس الناس و سعيا لهداية الجميع و إطفاءا لنار الحرب منّ الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) بعفوه حتى على «مالك بن عوف» مثير هذه الحرب إن جاءه مسلما فقال (صلّى اللّه عليه و اله): «أخبروا مالكا إنّه إن أتاني مسلما رددت عليه أهله و ماله و أعطيته مائة من الابل». و سرعان ما أسلم مالك‏[[369]](#footnote-369).

ص:184=PAGEص:

توزيع الغنائم:

تدافع المسلمون على رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) يلحّون عليه أن يقسّم الغنائم حتى ألجأوه إلى شجرة و أخذوا رداءه؛ فقال: «ردّوا عليّ ردائي فو اللّه لو كان لكم بعدد شجر تهامة نعما لقسّمته عليكم، ثم ما ألفيتموني بخيلا و لا جبانا و لا كذّابا».

ثم قام و أخذ وبرة من سنام بعيره فجعلها بين أصبعيه ثم رفعها و قال: «ايها الناس و اللّه مالي في فيئكم و لا هذه الوبرة إلا الخمس، و الخمس مردود عليكم» ثم أمر أن يردّ كل ما غنم حتى تكون القسمة عدلا.

و بدأ الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) بإعطاء المؤلفة قلوبهم كأبي سفيان و ابنه معاوية و حكيم بن حزام. و الحارث بن الحارث، و سهيل بن عمرو، و حويطب بن عبد العزى، و صفوان بن امية و غيرهم ممّن كان يعاديه و يحاربه بالأمس القريب من رؤوس الكفر و الشرك ثم قسّم عليهم حقّه من الخمس. على أن هذا الموقف قد أثار الحفيظة في نفوس بعض المسلمين جهلا منهم بمصالح الإسلام و أهداف النبي (صلّى اللّه عليه و اله) حتى قال أحدهم للنبي (صلّى اللّه عليه و اله): لم أرك عدلت. فقال: ويحك إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون؟ فأراد عمر بن الخطاب أن يقتله، فلم يأذن له النبي (صلّى اللّه عليه و اله) و قال: «دعه فإنه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من رميته»[[370]](#footnote-370).

اعتراض الأنصار:

و رأى سعد بن عبادة أن يخبر النبي (صلّى اللّه عليه و اله) بما يدور بين الأنصار من قولهم:

لقي رسول اللّه قومه و نسي أصحابه. فجمع سعد الأنصار و أقبل الرسول‏

ص:185=PAGEص:

الكريم (صلّى اللّه عليه و اله) يحدّثهم فحمد الله و أثنى عليه ثم قال:

«يا معشر الانصار ما مقالة بلغتني عنكم وجدة وجدتموها في أنفسكم؟! ألم آتكم ضلّالا فهداكم الله و عالة فاغناكم الله و أعداء فألف الله بين قلوبكم؟ قالوا: بلى الله و رسوله آمن و أفضل، ثم قال: ألا تجيبوني يا معشر الأنصار؟ قالوا: و ما ذا نجيبك يا رسول الله؟ قال (صلّى اللّه عليه و اله): أما و الله لو شئتم قلتم فصدقتم: أتيتنا مكذّبا فصدّقناك و مخذولا فنصرناك و طريدا فآويناك و عائلا فآسيناك. وجدتم في أنفسكم يا معشر الأنصار في شي‏ء من الدنيا تألّفت به قوما ليسلموا و وكلتكم إلى إسلامكم، أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة و البعير و ترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟ و الذي نفس محمد بيده لو لا الهجرة لكنت امرءا من الأنصار، و لو سلك الناس شعبا و سلكت الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار».

فأثارت هذه الكلمات في قلوب الأنصار العاطفة و الشعور بالخطأ في تصورهم عن الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) فضجوا بالبكاء و قالوا: رضينا يا رسول اللّه حظّا و قسما.

و خرج النبي (صلّى اللّه عليه و اله) بمن معه من الجعرانة متّجها إلى مكة في شهر ذي القعدة فأتمّ عمرته و حلّ من إحرامه و استخلف على مكة عتّاب بن أسيد و معه معاذ بن جبل و خرج متّجها إلى المدينة بمن معه من المهاجرين و الأنصار[[371]](#footnote-371).

4- غزوة تبوك‏[[372]](#footnote-372):

أصبحت الدولة الإسلامية كيانا يهاب جانبه، و كان على المسلمين الحفاظ على حدوده و أراضيه حتى تبلغ الرسالة الإسلامية أرجاء الأرض.

ص:186=PAGEص:

و استنفر النبي (صلّى اللّه عليه و اله) المسلمين من جميع نقاط الدولة الاسلامية استعدادا لحرب الروم إذ وردت أخبار تؤكد استعدادهم لغزو الجزيرة و اسقاط الدولة و محق الدين الاسلامي و صادف أن كان ذلك العام عام جدب و قلّة ثمار و كان الوقت صيفا حارا مما زاد من صعوبة الخروج لملاقاة عدو قوي متمرّس كبير العدد و العدة. فتقاعس ذوو النفوس الضعيفة و المعنويات المتدنّية و برز النفاق ثانية علانية ليثبّط العزائم و يخذل الإسلام.

و تخلّف بعض عن الالتحاق بالجيش لشدّة تعلّقهم بالدنيا، و بعض آخر احتجّ بشدّة الحر و آخرون لم يستطيعوا لشدّة ضعفهم و قلة إمكانات النبي (صلّى اللّه عليه و اله) لحملهم معه رغم بذل المؤمنين الصادقين أموالهم للجهاد في سبيل اللّه.

و بلغ النبي (صلّى اللّه عليه و اله) أن المنافقين يجتمعون في بيت أحد اليهود يثبّطون الناس و يخوّفونهم من اللقاء، فتعامل معهم بحزم و شدة فأرسل إليهم من يحرق عليهم دارهم ليكونوا عبرة لغيرهم.

و قد أنزل الله آيات تفضح خطط المنافقين و تؤنّب المتقاعسين و تعذر الضعفاء؛ و بلغ عدد جيش المسلمين ثلاثين ألف مقاتل- على أقل تقدير- و استخلف النبي (صلّى اللّه عليه و اله) علي بن أبي طالب في المدينة لما يعلم منه من حنكة و حسن تدبير و قوة يقين؛ إذ خشي الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) من قيام المنافقين بعمل تخريبي في المدينة، فقال (صلّى اللّه عليه و اله): «يا علي إن المدينة لا تصلح إلّا بي أوبك»[[373]](#footnote-373).

الإعلان عن مكانة علي (عليه السّلام) لدى النبي (صلّى اللّه عليه و اله):

و أشاع المنافقون و الذين في قلوبهم مرض حول بقاء علي بن أبي طالب في المدينة امورا إذ قالوا: إنما تركه رسول اللّه استثقالا له و تخففا منه، سعيا منهم‏

ص:187=PAGEص:

للإثارة رجاء أن يخلو جو المدينة لهم فأسرع عليّ (عليه السّلام) للالتحاق برسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) فلحق به على مقربة من المدينة و قال: يا نبي اللّه زعم المنافقون أنك إنما خلّفتني أنك استثقلتني و تخفّفت مني.

فقال (صلّى اللّه عليه و اله): «كذبوا و لكنني خلّفتك لما تركت ورائي فاخلفني في أهلي و أهلك، أفلا ترضى يا علي أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبي بعدي»[[374]](#footnote-374).

جيش العسرة:

و انطلق جيش المسلمين في طريق و عر طويل و قد أوضح لهم الرسول هدف المسيرة خلافا لما كان في الغزوات الماضية. و كان يتخلف عنه في الطريق جماعة ممن خرجوا معه من المدينة فكان يقول (صلّى اللّه عليه و اله) لأصحابه: دعوه فإن يكن به خير فسيلحقه الله بكم و إن يكن غير ذلك فقد أراحكم اللّه منه.

و أسرع النبي (صلّى اللّه عليه و اله) السير حين مرّ على أطلال قوم صالح و قال لأصحابه و هو يعظهم: «لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلّا و أنتم باكون خوفا أن يصيبكم مثل ما أصابهم»، و نهاهم عن استعمال الماء من هذه المنطقة و حذّرهم من خطورة الظروف الجوية فيها[[375]](#footnote-375)، و للصعوبات التي أحاطت هذه الغزوة من حيث الماء و الغذاء و النفقة و الظهر (الخيل و الإبل) فقد سمّي هذا الجيش ب «جيش العسرة».

و لم يجد المسلمون جيش الروم؛ إذ قد تفرّق جمعهم، و هنا استشار الرسول القائد أصحابه في ملاحقة العدو أو العودة إلى المدينة فقالوا: إن كنت امرت بالسير فسر. فقال (صلّى اللّه عليه و اله): «لو امرت به ما استشرتكم فيه»[[376]](#footnote-376). و هنا قرّر النبي (صلّى اللّه عليه و اله)

ص:188=PAGEص:

العودة إلى المدينة.

و اتصل الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) بزعماء المنطقة الشمالية للجزيرة و عقد معهم معاهدة عدم تعرّض و اعتداء بين الجانبين و بعث رسول الله (صلّى اللّه عليه و اله) خالد بن الوليد إلى دومة الجندل خوفا من تعاون زعيمها مع الروم في هجوم آخر و تمكّن المسلمون من أسر زعيمهم و حمل الغنائم الكثيرة[[377]](#footnote-377).

محاولة اغتيال النبي (صلّى اللّه عليه و اله):

أقفل النبي (صلّى اللّه عليه و اله) و المسلمون راجعين إلى المدينة بعد أن أمضوا بضع عشرة يوما في تبوك، و تحرك الشيطان في نفوس جمع ممّن لم يؤمن باللّه و رسوله فعزموا على اغتيال الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) و ذلك بتنفير ناقته عند مرورها عليهم ليطرحوه في واد كان هناك.

و حين وصل الجيش الى العقبة (بين المدينة و الشام) قال (صلّى اللّه عليه و اله): «من شاء منكم أن يأخذ بطن الوادي فإنه أوسع لكم» فأخذ الناس بطن الوادي و سلك هو طريق العقبة و كان يقود ناقته عمار بن ياسر و يسوقها حذيفة بن اليمان، فرأى النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) في ضوء القمر فرسانا قد تلثّموا و لحقوا به من ورائه في حركة مريبة فغضب (صلّى اللّه عليه و اله) و صاح بهم و أمر حذيفة أن يضرب وجوه رواحلهم؛ فتمالكهم الرعب و عرفوا بأن النبي (صلّى اللّه عليه و اله) قد علم بما أضمرته نفوسهم و مؤامرتهم فاسرعوا تاركين العقبة ليخالطوا الناس و لا تنكشف هويّتهم.

و طلب حذيفة من الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) أن يبعث اليهم من يقتلهم بعد ما عرفهم من رواحلهم و لكن رسول الرحمة عفا عنهم و أوكل أمرهم إلى اللّه تعالى‏[[378]](#footnote-378).

ص:189=PAGEص:

من نتائج غزوة تبوك:

1- لقد برز المسلمون كقوة كبيرة منظمة، تملك العقيدة القوية فتهابهم الدول المجاورة و الديانات الأخرى و كان هذا إنذارا حقيقيا لكل القوى في خارج البلاد الاسلامية و داخلها بعدم التعرض للإسلام و المسلمين.

2- ضمن المسلمون عن طريق المعاهدات مع زعماء المناطق الحدودية (من جهة الشمال) أمن هذه المنطقة.

3- استفاد المسلمون من قدرتهم على تعبئة جيش كبير في العدة و العدد و ازدادت خبرتهم في التنظيم و الإعداد، و كانت الرحلة الى تبوك بمثابة استطلاع ميداني استفاد منه المسلمون في المراحل اللاحقة.

4- كانت غزوة تبوك اختبارا لمعنويات المسلمين و تمييزا للمنافقين و فرزهم عن سائر المسلمين.

5- مسجد ضرار:

لقد جاء النبي (صلّى اللّه عليه و اله) بالشريعة السمحاء و دين التوحيد و عمل جاهدا أن يبني الانسان الصالح و المجتمع السليم وفق التعاليم الربانية، و لقد خاض كل المحن و الابتلاءات و المعارك من أجل تطهير الانسان من دنس الشرك و وساوس الشيطان و الأمراض النفسية.

و تحركت نوازع الحسد و البغض لدى مجموعة من المنافقين فعمدوا الى بناء مسجد في مقابل مسجد (قباء) زاعمين أنّه لذوي العلة و الحاجة و الليلة المطيرة، و أسرعوا الى النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) يطلبون منه أن يصلّي فيه ليضفي الشرعية على عملهم فأخّر الاستجابة لأنه كان على استعداد للخروج الى تبوك، فلمّا رجع من‏

ص:190=PAGEص:

تبوك نزل الأمر الإلهي بالنهي عن الصلاة في هذا المسجد لأنّه كان عاملا لتفريق كلمة المسلمين و الإضرار بالامة، و شتان بين بنيان أسس على التقوى و آخر للإضرار بالمسلمين و من هنا أمر النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) بهدمه و إحراقه‏[[379]](#footnote-379).

6- عام الوفود:

بدت سيطرة الإسلام على الجزيرة واضحة. و لم يكن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) ليلجأ إلى القوة و القتال إلّا بعد إعذار و إنذار، بل و في أكثر الوقائع كان قتال المسلمين دفاعا، على أن بعض قوى الشرك لا تعي الحق و لا تهتدي سبيلا إلّا بعد عنف و قوة و تهديد و وعيد.

و حين عاد المسلمون إلى عاصمة دولتهم- المدينة المنورة- سيّر النبي (صلّى اللّه عليه و اله) عدة سرايا لتطهير البلاد من أماكن الوثنية و أصنام الشرك.

و لقوة المسلمين و الانتصارات المتلاحقة بدأت كل قبائل الجزيرة و زعمائها يسمعون بآذان صاغية نداء الإسلام و وضوح أهدافه و هدايته، فأخذت الوفود تقدم إلى المدينة لتعلن إسلامها بين يدي رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله)- لذلك سمي هذا العام بعام الوفود[[380]](#footnote-380)- و كان النبي يستقبلهم و يحسن إليهم و يرسل لهم من يعلمهم فرائض القرآن و شرائع الاسلام.

إسلام قبيلة ثقيف:

أملت ظروف النصر الإلهي على كل عاقل أن يتدبر أمره و يحكّم عقله تجاه الإسلام. و كانت حكمة الرسول بالغة إذ أجّل فتح الطائف يوم امتنعت ثقيف فيها و ها هي اليوم ترسل و فدها لتعلن إسلامها بعد أن عاندت و كابرت و قتلت سيدا من‏

ص:191=PAGEص:

سادتها (عروة بن مسعود الثقفي) يوم جاءها مسلما يدعوها إلى الدين الجديد.

و رحب النبي (صلّى اللّه عليه و اله) بمقدم الوفد الثقفي و ضربت لهم قبة في ناحية المسجد النبوي و كلّف (صلّى اللّه عليه و اله) خالد بن سعيد ليقوم بمهام التشريفات ثم بدأ الوفد يفاوض النبي (صلّى اللّه عليه و اله) على الاسلام بشروط هي: أنه يترك صنم القبيلة مدة من الزمن و أبى النبي (صلّى اللّه عليه و اله) إلا التوحيد الناصع الخالص للّه و تنازل القوم شيئا فشيئا حتى قبلوا الإسلام بشرط أن يعفيهم النبي (صلّى اللّه عليه و اله) عن كسر أصنامهم بأنفسهم كما شرطوا عليه أن يعفيهم من الصلاة فقال النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله): «لا خير في دين لا صلاة فيه»، فقبلوا الاسلام و بقي الوفد مع النبي (صلّى اللّه عليه و اله) مدة من الزمن يتعلمون أحكام الدين. ثم كلف رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) أبا سفيان بن حرب و المغيرة بن شعبة أن يذهبا إلى الطائف لهدم الأصنام فيها[[381]](#footnote-381).

7- وفاة ابراهيم ابن النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله):

في غمرة أفراح النبي (صلّى اللّه عليه و اله) بنجاح الإسلام و انتشار الرسالة حيث كان الناس يدخلون في دين اللّه أفواجا، وعك إبراهيم بعد أن دخل في عامه الثاني و جعلت أمّه (ماريا) تمرّضه و لم ينفع معه شي‏ء فأبلغ النبي (صلّى اللّه عليه و اله) باحتضار ولده فأقبل و إبراهيم يجود بنفسه في حضن امه فأخذه النبي (صلّى اللّه عليه و اله) و قال: «يا إبراهيم إنا لن نغني عنك من الله شيئا إنا بك لمحزونون تبكي العين و يحزن القلب و لا نقول ما يسخط الرّب و لو لا أنه وعد صادق و موعود جامع فإن الآخر منا يتبع الأول لوجدنا عليك يا ابراهيم وجدا شديدا ما وجدناه»[[382]](#footnote-382).

و بدت علامات الحزن واضحة على قسمات وجه النبي (صلّى اللّه عليه و اله) و قيل له: يا

ص:192=PAGEص:

رسول اللّه أو لست قد نهيتنا عن هذا؟ فقال (صلّى اللّه عليه و اله): «ما عن الحزن نهيت و لكني نهيت عن خمش الوجوه و شق الجيوب و رنّة الشيطان‏[[383]](#footnote-383).

و روي أنه قال: «إنما هذا رحمة و من لا يرحم لا يرحم»[[384]](#footnote-384).

و لعظيم منزلة النبي (صلّى اللّه عليه و اله) عند اللّه سبحانه و ما أظهر من معجزات للعالمين حتى آمنوا به ظن بعض المسلمين أنّ كسوف الشمس في يوم وفاة إبراهيم إنما كان من آيات اللّه لموته.

و سرعان ما ردّ النبي (صلّى اللّه عليه و اله) على هذا الزعم خشية أن تتحول الخرافة إلى سنّة و معتقد يتخذها الجاهلون. فقال (صلّى اللّه عليه و اله): «أيها الناس إن الشمس و القمر آيتان من آيات اللّه لا يكسفان لموت أحد و لا لحياته»[[385]](#footnote-385).

ص:193=PAGEص:

الفصل الثّالث تصفية الوجود الوثني داخل الجزيرة

1- إعلان البراءة من المشركين:

لم يبق في الجزيرة العربية من بقي على الشرك و الوثنية سوى أفراد قلائل بعد أن انتشرت العقيدة الإسلامية و الشريعة السمحاء في أرجائها و اعتنقها كثير من الناس. و هنا كان لا بد من إعلان صريح حازم يلغي كل مظاهر الشرك و الوثنية في مناسك أكبر تجمع عبادي سياسي.

و حان الوقت المناسب لتعلن الدولة الإسلامية شعاراتها في كل مكان و تنهي مرحلة المداراة و تأليف القلوب التي تطلبتها المرحلة السابقة.

و اختار النبي (صلّى اللّه عليه و اله) يوم النحر زمانا و منطقة منى‏[[386]](#footnote-386) مكانا لهذا الإعلان و اختار أبا بكر ليقرأ مطلع سورة التوبة[[387]](#footnote-387) التي نزلت لذلك و تضمّنت إعلان البراءة من المشركين جميعا بصراحة و تمثّلت بنود البراءة في ما يلي:

1- لا يدخل الجنة كافر.

2- لا يطوف في البيت الحرام عريان؛ إذ كانت تقاليد الجاهلية تسمح بذلك.

3- لا يحج بعد هذا العام مشرك.

4- من كان بينه و بين رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) عهد فأجله إلى مدته، و من لم يكن له‏

ص:194=PAGEص:

عهد فإلى أربعة أشهر ثم يقتل من وجد في دار الإسلام مشركا.

و نزل الوحي الإلهي ليبلّغ النبي (صلّى اللّه عليه و اله) مبدأ مهمّا نصّه: «أنّه لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك». فاستدعى النبي (صلّى اللّه عليه و اله) عليا و أمره أن يركب ناقته العضباء و يلحق بأبي بكر و يأخذ منه البلاغ و يؤديه للناس‏[[388]](#footnote-388).

و وقف علي بن أبي طالب بين جموع الحجيج و هو يتلو البيان الإلهي بقوة و جرأة تتوائم مع حزم القرار و وضوحه. و وقف الناس ينصتون إليه بحذر و دقة.

و كان أثر الإعلان على المشركين أن قدموا مسلمين على رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله).

2- مباهلة نصارى نجران:

اجتمع زعماء نصارى نجران و حكماؤهم يتدارسون أمر كتاب النبي (صلّى اللّه عليه و اله) الذي يدعوهم فيه إلى الاسلام. و لم يتوصلوا إلى رأي قاطع إذ كانت في أيديهم تعاليم تؤكد وجود نبي بعد عيسى (عليه السّلام)، و ما ظهر من محمد فهو يشير الى نبوّته.

من هنا قرّروا أن يرسلوا وفدا يقابل شخص النبي (صلّى اللّه عليه و اله) و يحاوره.

و استقبل النبي (صلّى اللّه عليه و اله) الوفد الكبير و قد بدى عليه عدم الرضا لمظهرهم الذي كان يحمل طابع الوثنية، فقد كانوا يرتدون الديباج و الحرير و يلبسون الذهب و يحملون الصلبان في أعناقهم. ثم غدوا عليه ثانية و قد بدّلوا مظهرهم فرحّب بهم و احترمهم و فسح لهم المجال ليمارسوا طقوسهم‏[[389]](#footnote-389).

ثم عرض عليهم الإسلام و تلا عليهم آيات من القرآن فامتنعوا و كثر الحجاج معهم، فخلصوا إلى أن يباهلهم النبي (صلّى اللّه عليه و اله) و كان ذلك بأمر من اللّه عزّ و جلّ و اتفقوا على اليوم اللاحق موعدا.

ص:195=PAGEص:

و خرج إليهم رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) و هو يحمل الحسين و بيده الحسن و خلفه ابنته فاطمة و ابن عمّه علي بن أبي طالب امتثالا لأمر اللّه تعالى الذي نصّ عليه الذكر الحكيم قائلا: فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَ أَبْناءَكُمْ وَ نِساءَنا وَ نِساءَكُمْ وَ أَنْفُسَنا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكاذِبِينَ‏[[390]](#footnote-390) و لم يصحب سواهم أحدا من المسلمين ليثبت للجميع صدق نبوته و رسالته و هنا قال أسقف نجران: يا معشر النصارى اني لأرى وجوها لو سألوا اللّه أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله فلا تباهلوا فتهلكوا و لا يبقى على وجه الأرض نصراني.

و حين أبوا أن يباهلوا النبي و أهل بيته صلوات اللّه عليهم أجمعين قال لهم الرسول: أمّا إذا أبيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين و عليكم ما على المسلمين، فأبوا، فقال: إني أناجزكم القتال. فقالوا: ما لنا بحرب العرب طاقة، و لكن نصالحك على أن لا تغزونا و لا تردّنا عن ديننا على أن نؤدي إليك في كل عام ألفي حلّة، ألفا في صفر، و ألفا في رجب، و ثلاثين درعا عادية من حديد، فصالحهم على ذلك، و قال: و الذي نفسي بيده إنّ الهلاك قد تدلّى على أهل نجران، و لو لا عنوا لمسخوا قردة و خنازير و لاضطرم عليهم الوادي نارا، و لا ستأصل نجران و أهله حتى الطّير على رؤوس الشّجر، و لما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا. فرجعوا إلى بلادهم دون أن يسلموا[[391]](#footnote-391).

و روي أن السيد و العاقب من زعمائهم لم يلبثا إلّا يسيرا حتى عادا إلى النبي (صلّى اللّه عليه و اله) ليعلنا إسلامهما[[392]](#footnote-392).

ص:196=PAGEص:

3- حجة الوداع:

كان الرسول الأكرم القدوة الحسنة للإنسانية جمعاء، يبلّغ آيات اللّه و يفسّرها و يفصّل أحكامها ببيان جلي، و جماهير المسلمين حريصة على الاقتداء به في القول و العمل. و بحلول شهر ذي القعدة من العام العاشر للهجرة عزم النبي (صلّى اللّه عليه و اله) على أداء فريضة الحج- و لم يكن قد حج من قبل و ذلك ليطلع الامة على أحكام اللّه في فريضة الحج فتقاطرت ألوف المسلمين على المدينة و تجهّزوا للخروج مع النبي (صلّى اللّه عليه و اله) حتى بلغ عددهم ما يقارب مائة ألف مسلم من مختلف الحواضر و البوادي و القبائل، تجمعهم المودة الصادقة و الاخوة الإسلامية و الاستجابة لنداء الرسول القائد (صلّى اللّه عليه و اله) بعد أن كانوا بالأمس القريب أعداءا متنافرين، جهّالا كافرين. و اصطحب النبي (صلّى اللّه عليه و اله) معه كل نسائه و ابنته الصديقة فاطمة الزهراء، و تخلّف زوجها علي بن أبي طالب في مهمة بعثه بها رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله)، و استعمل على المدينة أبا دجانة الأنصاري.

و في منطقة ذي الحليفة أحرم النبي (صلّى اللّه عليه و اله) فلبس قطعتين من قماش أبيض و لبّى عند الإحرام قائلا: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد و النعمة لك و الملك، لبيك لا شريك لك لبيك».

و في الرابع من شهر ذي الحجة الحرام شارف النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) مكة و قطع التلبية، ثم دخل المسجد الحرام و هو يكثر الثناء على اللّه و يحمده و يشكره فأستلم الحجر و طاف سبعا و صلّى ركعتين عند مقام إبراهيم ثم سعى بين الصفا و المروة و التفت الى الحجيج قائلا: «من لم يسق منكم هديا فليحلّ و ليجعلها عمرة، و من ساق منكم هديا فليقم على إحرامه».

و لم يستجب بعض المسلمين لأمر الرسول هذا ظنا منهم أنّ عليهم أن يفعلوا

ص:197=PAGEص:

كما يفعل الرسول القائد (صلّى اللّه عليه و اله) من عدم التحلّل من الإحرام، فغضب النبي (صلّى اللّه عليه و اله) لموقفهم و قال: «لو كنت استقبلت من أمري ما استدبرت لفعلت كما أمرتكم»[[393]](#footnote-393).

و أقفل علي بن أبي طالب (عليه السّلام) راجعا من اليمن الى مكة ليلتحق برسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) و قد ساق معه (34) هديا. و على مقربة من مكة تعجل لدخولها و استخلف أحد افراد سريته عليها. و سرّ النبي (صلّى اللّه عليه و اله) بلقاء عليّ و ما حقّقه من نجاح باهر في اليمن و قال له: انطلق فطف بالبيت و حلّ كما حلّ أصحابك. فقال (عليه السّلام): يا رسول اللّه اني أهللت كما أهللت، ثم قال (عليه السّلام): إني قلت حين أحرمت: اللهم إني أهلّ بما اهل به عبدك و نبيك و رسولك محمد (صلّى اللّه عليه و اله). ثمّ أمره (صلّى اللّه عليه و اله) أن يعود إلى سريته و يصحبها إلى مكة، و لما قدموا على النبي (صلّى اللّه عليه و اله) اشتكوا عليا (عليه السّلام) لأنه كان قد رفض تصرّفا خاطئا فعلوه في غيابه، فأجابهم النبي (صلّى اللّه عليه و اله) قائلا: «أيها الناس لا تشكوا عليا، فو اللّه إنه لأخشن في ذات اللّه من أن يشتكى»[[394]](#footnote-394).

و في اليوم التاسع من ذي الحجة توجه النبي (صلّى اللّه عليه و اله) مع جموع المسلمين نحو عرفات.

و مكث رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) في عرفات حتى غروب اليوم التاسع، و مع الظلام ركب ناقته و أفاض إلى المزدلفة و أمضى فيها شطرا من الليل و لم يزل واقفا من الفجر الى طلوع الشمس في المشعر الحرام. ثمّ توجّه في اليوم العاشر إلى «منى» و أدّى مناسكها من رمي الجمرات و النحر و الحلق ثمّ توجّه نحو مكة لأداء بقية مناسك الحج.

و قد سمّيت هذه الحجة ب «حجة الوداع» لأن الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) ودّع المسلمين في هذه الحجة التي اشار فيها الى دنوّ وفاته كما سمّيت ب «حجة البلاغ»

ص:198=PAGEص:

لأنه (صلّى اللّه عليه و اله) قد بلّغ فيها ما انزل إليه من ربّه في شأن الخلافة من بعده، و منهم من سمّاها ب «حجة الإسلام» لأنها الحجّة الاولى للنبي (صلّى اللّه عليه و اله) و التي بين فيها أحكام الإسلام الثابتة في مناسك الحج.

خطبة النبي (صلّى اللّه عليه و اله) في حجة الوداع:

و روي أن النبي (صلّى اللّه عليه و اله) خطب خطابا جامعا فقال بعد أن حمد اللّه و أثنى عليه:

«أيها الناس اسمعوا مني ابين لكم فإني لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا. أيها الناس إن دماءكم و أموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا. ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد. فمن كانت عنده أمانة فليؤدّها إلى الذي ائتمنه عليها و إنّ ربا الجاهلية موضوع، و إن أوّل ربا أبدأ به ربا عمي العباس بن عبد المطلب. و إنّ دماء الجاهلية موضوعة، و إنّ أول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب و إنّ مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة و السقاية، و العمد قود و شبه العمد ما قتل بالعصا و الحجر ففيه مائة بعير فمن زاد فهو من أهل الجاهلية.

أيها الناس إنّ الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه و لكنه رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحتقرون من أعمالكم.

أيها الناس إنما النسي‏ء زيادة في الكفر يضلّ به الذين كفروا يحلّونه عاما و يحرّمونه عاما ليواطئوا عدّة ما حرّم اللّه. و إن الزمان استدار كهيئته يوم خلق اللّه السموات و الأرض و إن عدّة الشهور عند اللّه اثنا عشر شهرا في كتاب اللّه يوم خلق السماوات و الأرض، منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات و واحد فرد: ذو القعدة و ذو الحجة و المحرم و رجب الذي بين جمادى و شعبان. ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد.

أيها الناس إن لنساءكم عليكم حقا و إن لكم عليهن حقا. لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم غيركم و لا يدخلن أحدا تكرهونه بيوتكم إلّا بإذنكم و لا يأتين بفاحشة، فإن فعلن فإن اللّه قد أذن لكم أن تعضلوهن و تهجروهن في المضاجع و تضربوهن ضربا غير مبرح،

ص:199=PAGEص:

فإن انتهين و أطعنكم فعليكم رزقهن و كسوتهنّ بالمعروف، و إنما النساء عندكم عوار لا يملكن لأنفسهن شيئا، أخذتموهن بأمانة اللّه و استحللتم فروجهن بكلمة اللّه فاتقوا اللّه في النساء و استوصوا بهنّ خيرا.

أيها الناس إنما المؤمنون إخوة فلا يحلّ لامرئ مال أخيه إلّا عن طيب نفس. ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد. فلا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض؛ فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب اللّه و عترتي أهل بيتي ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد.

أيها الناس إن ربكم واحد، و إنّ أباكم واحد، كلكم لآدم، و آدم من تراب، أكرمكم عند اللّه أتقاكم، ليس لعربي على عجميّ فضل إلّا بالتقوى، ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم.

قال (صلّى اللّه عليه و اله): فليبلّغ الشاهد منكم الغائب‏[[395]](#footnote-395).

أيها الناس إن اللّه قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث و لا يجوز لوارث وصية في أكثر من الثلث، و الولد للفراش و للعاهر الحجر، من ادّعي إلى غير أبيه أو تولّى غير مواليه فعليه لعنة اللّه و الملائكة و الناس أجمعين، لا يقبل اللّه منه صرفا و لا عدلا ... و السلام عليكم و رحمة اللّه»[[396]](#footnote-396).

4- تعيين الوصي‏[[397]](#footnote-397):

أتمّ المسلمون حجّهم الأكبر و هم يحتفّون بالنبي (صلّى اللّه عليه و اله) و قد أخذوا مناسكهم عنه، و قرّر الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) أن يعود إلى المدينة، و لما بلغ موكب الحجيج العظيم إلى منطقة «رابغ» قرب «غدير خم» و قبل أن يتفرّق الحجيج و يرجعوا الى بلدانهم من هذه المنطقة نزل الوحي الإلهي بآية التبليغ الآمرة و المحذّرة: يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَ اللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ‏

ص:200=PAGEص:

النَّاسِ‏[[398]](#footnote-398).

لقد حمل هذا الخطاب الإلهي أمرا مهما جدّا فأي تبليغ مهم هذا قد طلب من الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) انجازه و لم يكن قد أنجزه إلى ذلك الحين؟ و قد أمضى النبي (صلّى اللّه عليه و اله) ما يقارب ثلاثة و عشرين عاما يبلّغ آيات اللّه و أحكامه و يدعو الناس إلى دين اللّه! و قد نال ما نال من عظيم المحن و البلاء و الجهد، كي يقال له: «فما بلغت رسالته».

و هنا أصدر النبي (صلّى اللّه عليه و اله) أوامره بأن تقف القوافل حتى يلحق آخرها بأولها في يوم قائظ يضطر المرء فيه أن يلفّ رأسه و قدميه من شدة حرّ الرمضاء ليتلو عليهم أمر السماء و يتمم تبليغ الرسالة الخاتمة. إنها الحكمة الإلهية أن يتم التبليغ في هذا المكان و في هذا الظرف كي يبقى عالقا في وجدان الامة، حيّا في ذاكرتها على مرّ الزمن حفاظا على الرسالة و الامة الاسلامية.

و جمعت الرحال و صنع منها منبر صعد عليه النبي (صلّى اللّه عليه و اله) بعد أن صلّى في جموع المسلمين فحمد اللّه و اثنى عليه و قال بصوت رفيع يسمعه كل من حضر:

«أيها الناس يوشك أن ادعى فأجيب و إني مسؤول و أنتم مسؤولون فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك بلّغت و نصحت و جاهدت فجزاك اللّه خيرا. قال (صلّى اللّه عليه و اله): أ لستم تشهدون أن لا إله إلّا اللّه و أن محمدا عبده و رسوله و أن جنته حق و أن الساعة آتية لا ريب فيها و أن اللّه يبعث من في القبور؟ قالوا: بلى نشهد بذلك قال (صلّى اللّه عليه و اله): اللهم أشهد. ثم قال: (صلّى اللّه عليه و اله) فإني فرطكم على الحوض و أنتم واردون عليّ الحوض و إنّ عرضه ما بين صنعاء و بصرى فيه أقداح عدد النجوم من فضة فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين.

فنادى مناد و ما الثقلان يا رسول اللّه؟ قال (صلّى اللّه عليه و اله): الثقل الأكبر كتاب اللّه طرف بيد اللّه عز و جل و طرف بأيديكم فتمسّكوا به لا تضلوا. و الآخر الأصغر عترتي. و إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فسألت ذلك لهما ربّي فلا تقدّموهما فتهلكوا

ص:201=PAGEص:

و لا تقصّروا عنهما فتهلكوا.

ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب حتى رؤي بياض أبطيهما و عرفه الناس أجمعون. فقال (صلّى اللّه عليه و اله): «أيها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: اللّه و رسوله أعلم قال (صلّى اللّه عليه و اله): إن اللّه مولاي و أنا مولى المؤمنين و أنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فعليّ مولاه- يقولها ثلاث مرات-.

ثم قال (صلّى اللّه عليه و اله): اللهم وال من والاه و عاد من عاداه و أحب من أحبه و أبغض من أبغضه و انصر من نصره و اخذل من خذله و أدر الحقّ معه حيث دار، ألا فليبلّغ الشاهد الغائب».

ثم لم يتفرّقوا حتّى نزل أمين وحي اللّه بقوله تعالى: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً[[399]](#footnote-399) فقال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله):

«اللّه أكبر على إكمال الدين و إتمام النعمة و رضى الرب برسالتي و الولاية لعلي بعدي».

ثم أمر (صلّى اللّه عليه و اله) أن تنصب خيمة لعلي (عليه السّلام) و أن يدخل عليه المسلمون فوجا فوجا ليسلّموا عليه بإمرة المؤمنين ففعل الناس كلهم ذلك و أمر أزواجه و سائر نساء المؤمنين ممن معه أن يفعلن ذلك.

و كان في مقدمة المهنّئين أبو بكر و عمر بن الخطاب، كل يقول: بخ بخ لك يا ابن أبي طالب أصبحت و أمسيت مولاي و مولى كل مؤمن و مؤمنة[[400]](#footnote-400).

5- ظهور المتنبئين:

تفرّقت جموع الحجيج من منطقة غدير خم متّجهة نحو العراق و الشام و اليمن، و اتّجه النبي (صلّى اللّه عليه و اله) نحو المدينة. و حمل الجميع وصية الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) بالخلافة و القيادة من بعده لربيبه علي بن أبي طالب (عليه السّلام) لتستمر حركة الرسالة

ص:202=PAGEص:

الإسلامية بنهج نبويّ و تجتاز العقبات بعد رحيل القائد الأوّل و ذلك بعد أن عرّف بعليّ (عليه السّلام) في ذلك اليوم التاريخي الخالد بل منذ يوم الدار حيث أنّه وصفه بالوزير الناصح و الأخ المؤازر و العضد المدافع و الخليفة الذي يجب على الناس من بعده أن يطيعوه و يتّبعوه و يتّخذوه لأنفسهم قائدا و زعيما.

و بعد أن انبسط سلطان الدين و قويت مركزية القرار في المدينة لم يعد بأمر خطير نفور جماعة عن الدين أو ارتداد أفراد عن التسليم لما جاء به النبي (صلّى اللّه عليه و اله) أو وجود أفراد في الأطراف البعيدة عن المدينة يرون في عنصر الدين وسيلة لتحقيق بعض آمالهم و رغباتهم المريضة.

من هنا أخذ مسيلمة يدّعي النبوّة كذبا و كتب إلى النبي (صلّى اللّه عليه و اله) كتابا ذكر فيه أنّه بعث أيضا و يطلب فيه من النبي (صلّى اللّه عليه و اله) أن يشاركه في سلطان الأرض. و لما وقف النبي (صلّى اللّه عليه و اله) على مضمون الرسالة التفت إلى من حملها اليه و قال:

«لو لا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما لأنكما أسلمتما من قبل و قبلتما برسالتي فلم اتّبعتما هذا الأحمق و تركتما دينكما؟».

ثم ردّ على مسيلمة الكذّاب برسالة كتب فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول اللّه إلى مسيلمة الكذّاب. السلام على من اتّبع الهدى، أما بعد فإنّ الأرض للّه يورثها من يشاء من عباده و العاقبة للمتقين»[[401]](#footnote-401).

و قد أفلح المسلمون في القضاء على حركات الارتداد التي قام بها بعض الدجّالين مثل الأسود العنسي و مسيلمة و طلحة.

ص:203=PAGEص:

6- التعبئة العامّة لغزو الروم‏[[402]](#footnote-402):

أبدى النبي (صلّى اللّه عليه و اله) اهتماما كبيرا للحدود الشمالية للدولة الإسلامية حيث تتواجد دولة الروم المنظمة و صاحبة الجيش القوي. و لم تكن دولة فارس ذات أثر مقلق على الدولة الإسلامية لأنّ علامات الانهيار كانت قد بدت عليها، كما أنها لم تكن تملك عقيدة روحية تدافع عنها كالمسيحية لدى الروم، فهي التي كانت تشكّل خطرا على الكيان الإسلامي الفتيّ، خاصة و أن بعض عناصر الشغب و النفاق قد أجليت عن الدولة الإسلامية فذهبت إلى الشام و لحق بها آخرون، و كان وجود نصارى نجران عاملا سياسيا يدفع الروم لنصرتهم.

و مع ذلك فإنّ كل هذه الامور لم تكن عوامل آنيّة تستدعي الاهتمام الكبير الذي ظهر واضحا من إعداد النبي (صلّى اللّه عليه و اله) لجيش كبير ضمّ وجوه كبار الصحابة ما خلا عليا و بعض المخلصين معه فقد أراد النبي (صلّى اللّه عليه و اله) أن يخلو الجو السياسي من امور قد تعيق عمليّة انتقال السلطة إلى علي بن أبي طالب (عليه السّلام) للقيام بمهام الخلافة من بعده، بعد أن لمس النبيّ تحسّسا و انزعاجا من بعض الأطراف بعد تأكيده المستمر على مرجعيّة عليّ (عليه السّلام) و صلاحيّته لإتمام مسيرة النبي (صلّى اللّه عليه و اله) و خصوصا بعد بيعة الغدير، فأراد النبي (صلّى اللّه عليه و اله) أن يخلو الظرف من التوتر السياسي في المدينة ليتم استلام علي (عليه السّلام) لزمام الدولة من بعده دون صدام و شجار؛ و لهذا عقد النبي (صلّى اللّه عليه و اله) لواء و سلّمه الى اسامة بن زيد- القائد الشاب الذي نصبه الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) في اشارة بليغة إلى أهمية الكفاءة في القيادة- و جعل تحت إمرته شيوخ الأنصار و المهاجرين، و قال له: «سر إلى موضع قتل أبيك فأوطئهم الخيل فقد ولّيتك هذا الجيش فاغز صباحا على أهل ابنى».

ص:204=PAGEص:

و لكنّ روح التمرد و الطمع في السلطان و قلّة الانضباط دفعت بعض العناصر إلى عدم التسليم التام لأمر النبي (صلّى اللّه عليه و اله) و لعلّها كانت عارفة بالأهداف التي قصدها النبي (صلّى اللّه عليه و اله) و من هنا حاولت أن تؤخّر حركة الجيش المجتمع في معسكر «الجرف». و بلغ النبي (صلّى اللّه عليه و اله) ذلك فغضب و خرج- و هو ملتحف قطيفة، و قد عصّب جبهته بعصابة من ألم الحمّى التي أصابته- إلى المسجد فصعد المنبر ثم حمد اللّه و أثنى عليه و قال: أما بعد أيها الناس فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري اسامة، و لئن طعنتم في إمارتي أباه من قبله و أيم اللّه إن كان للإمارة لخليقا و إن ابنه من بعده لخليق للإمارة، و إن كان لمن أحب الناس إليّ و إنّهما لمخيلان لكل خير[[403]](#footnote-403)، و استوصوا به خيرا فإنه من خياركم»[[404]](#footnote-404).

و اشتدت الحمى برسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) و لم يغفله ثقل المرض عن الاهتمام الكبير لخروج الجيش فكان يقول: «أنفذوا جيش اسامة»[[405]](#footnote-405) لكل من كان يعوده من أصحابه و يزيد إصرارا بقوله: «جهّزوا جيش اسامة لعن اللّه من تخلف عنه»[[406]](#footnote-406). و أوصل بعض المسلمين أنباء تدهور صحة النبي (صلّى اللّه عليه و اله) الى معسكر المسلمين في الجرف فرجع اسامة ليعود النبي (صلّى اللّه عليه و اله) فحثّه النبيّ على المضيّ نحو هدفه الذي رسمه له و قال له: «اغد على بركة اللّه».

فعاد اسامة مسرعا إلى جيشه يحثه على الرحيل و التوجه للقيام بالمهمة المخوّلة إليه و لكن المتقاعسين و ذوي الأطماع في الخلافة تمكّنوا من عرقلة مسيرة الجيش زاعمين أنّ النبي (صلّى اللّه عليه و اله) يحتضر، بالرغم من تأكيد الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) بالتعجيل في المسير و عدم التردّد في المهمّة التي جعلها على عاتق جيش اسامة.

ص:205=PAGEص:

الفصل الرّابع أيام الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) الأخيرة

1- الحيلولة دون كتابة الوصية:

و رغم ثقل الحمى و ألم المرض خرج النبي (صلّى اللّه عليه و اله) مستندا على علي (عليه السّلام) و الفضل بن العباس ليصلي بالناس و ليقطع بذلك الطريق على الوصوليين الذين خطّطوا لمصادرة الخلافة و الزعامة التي طمحوا لها من قبل حيث تمرّدوا على أوامر الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) بالخروج مع جيش اسامة بكل بساطة و التفت النبيّ- بعد الصلاة- إلى الناس فقال: «أيها الناس سعّرت النار و أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، و إني و اللّه ما تمسكون عليّ بشي‏ء، إني لم أحلّ إلا ما أحلّ اللّه، و لم احرّم إلا ما حرّم اللّه»[[407]](#footnote-407) فأطلق بقوله هذا تحذيرا آخر أن لا يعصوه و إن لاحت في الأفق النوايا السيئة التي ستجلب الويلات للامة حين يتزعّمها جهّالها.

و اشتد مرض النبي (صلّى اللّه عليه و اله) و اجتمع الصحابة في داره و لحق بهم من تخلّف عن جيش اسامة فلامهم النبي (صلّى اللّه عليه و اله) على تخلّفهم و اعتذروا بأعذار واهية. و حاول النبي (صلّى اللّه عليه و اله) بطريقة أخرى أن يصون الأمة من التردّي و السقوط فقال لهم: ايتوني بدواة و صحيفة أكتب لكم كتابا لا تضلون بعده، فقال عمر ابن الخطاب: إنّ رسول اللّه قد غلبه الوجع و عندكم القرآن حسبنا كتاب اللّه‏[[408]](#footnote-408)،

ص:206=PAGEص:

و هكذا وقع التنازع و الاختلاف و قالت النسوة من وراء الحجاب: إئتوا رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) بحاجته. فقال عمر: اسكتن فإنكن صويحبات يوسف إذا مرض عصرتنّ أعينكن و إذا صحّ أخذتنّ بعنقه، فقال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله): هن خير منكم‏[[409]](#footnote-409).

ثم قال (صلّى اللّه عليه و اله): قوموا عني لا ينبغي عندي التنازع.

و كم كانت الامة بحاجة ماسة الى كتاب الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) هذا، حتى أن إبن عباس كان يأسف كلما يذكر ذلك و يقول: الرزية كل الرزية ما حال بيننا و بين كتاب رسول اللّه‏[[410]](#footnote-410).

و لم يصرّ نبي الرحمة على كتابة الكتاب بعد اختلافهم عنده خوفا من تماديهم في الإساءة و إنكارهم لما هو أكبر، فقد علم (صلّى اللّه عليه و اله) بما في نفوسهم، و حين راجعوه ثانية بشأن الكتاب قال (صلّى اللّه عليه و اله): «أبعد الذي قلتم‏[[411]](#footnote-411)؟!» و أوصاهم ثلاث وصايا، لكن كتب التأريخ لم تذكر سوى اثنتين منها و هما: اخراج المشركين من جزيرة العرب و اجازة الوفد كما كان يجيزهم.

و علّق السيد محسن الأمين العاملي على ذلك قائلا: و المتأمل لا يكاد يشكّ في أن الثالثة سكت عنها المحدّثون عمدا لا نسيانا و أنّ السياسة قد اضطرتهم الى السكوت عنها و تناسيها و أنّها هي طلب الدواة و الكتف ليكتبها لهم‏[[412]](#footnote-412).

2- الزهراء (عليها السّلام) تزور أباها (صلّى اللّه عليه و اله):

أقبلت الزهراء (عليها السّلام) و هي تجر أذيال الحزن و تتطلع إلى أبيها و هو على‏

ص:207=PAGEص:

و شك الالتحاق بربّه فجلست عنده منكسرة القلب دامعة العين و هي تردد:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| و أبيض يستسقى الغمام بوجهه‏ |  | ثمال اليتامى عصمة للأرامل‏ |
|  |  |  |

و في هذه اللحظات فتح النبي (صلّى اللّه عليه و اله) عينيه و قال بصوت خافت: يا بنية هذا قول عمك أبي طالب لا تقوليه و لكن قولي: وَ ما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى‏ أَعْقابِكُمْ، وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلى‏ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَ سَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ‏[[413]](#footnote-413).

و كأنّ النبي (صلّى اللّه عليه و اله) كان يريد بذلك أن يهيّى‏ء ابنته فاطمة (عليها السّلام) لما سيجري من أحداث مؤسفة فإن ذلك كان هو الأنسب لتلك من قول أبي طالب رضي اللّه تعالى عنه و أرضاه.

ثم إنّ النبي (صلّى اللّه عليه و اله) أومأ إلى حبيبته الزهراء (عليها السّلام) أن تدنو منه ليحدثها فانحنت عليه فسارّها بشي‏ء فبكت ثم سارّها ثانية فضحكت. و قد أثارت هذه الظاهرة فضول بعض الحاضرين فسألوها عن سرّ ذلك فقالت (عليها السّلام): ما كنت لافشي سرّ رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله).

و لكنّها سئلت بعد وفاة أبيها (صلّى اللّه عليه و اله) عن ذلك فقالت: أخبرني رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) أنه قد حضر أجله و أنه يقبض في وجعه هذا، فبكيت ثم أخبرني أني أول أهله لحوقا به فضحكت‏[[414]](#footnote-414).

3- اللحظات الأخيرة من عمر النبي (صلّى اللّه عليه و اله):

و كان علي (عليه السّلام) ملازما للرسول (صلّى اللّه عليه و اله) ملازمة ذي الظل لظلّه حتى آخر لحظات حياته الشريفة و هو يوصيه و يعلّمه و يضع سرّه عنده. و في الساعة

ص:208=PAGEص:

الأخيرة قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله): ادعوا لي أخي- و كان (صلّى اللّه عليه و اله) قد بعثه في حاجة فجاءه بعض المسلمين فلم يعبأ بهم الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) حتى جاء علي (عليه السّلام) فقال (صلّى اللّه عليه و اله) له:

ادن مني. فدنا علي (عليه السّلام) فاستند إليه فلم يزل مستندا إليه يكلّمه حتى بدت عليه (صلّى اللّه عليه و اله) علامات الاحتضار[[415]](#footnote-415)، و توفّي رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) و هو في حجر علي (عليه السّلام). كما قد صرّح بذلك علي (عليه السّلام) نفسه في إحدى خطبه‏[[416]](#footnote-416) الشهيرة.

4- وفاة النبي (صلّى اللّه عليه و اله) و مراسم دفنه:

و لم يكن حول النبي (صلّى اللّه عليه و اله) في اللحظات الأخيرة إلّا علي بن أبي طالب و بنو هاشم و نساؤه. و قد علم الناس بوفاته (صلّى اللّه عليه و اله) من الضجيج و الصراخ الذي علا من بيت الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) حزنا على فراق الحبيب، و خفقت القلوب هلعة لرحيل أشرف خلق اللّه. و انتشر خبر الوفاة في المدينة انتشار النار في الهشيم و دخل الناس في حزن و ذهول رغم أنه (صلّى اللّه عليه و اله) كان قد مهّد لذلك و نعى نفسه الشريفة عدّة مرات و أوصى الامة بما يلزمها من طاعة وليّها و خليفته من بعده علي ابن أبي طالب. لقد كانت وفاته صدمة عنيفة هزّت وجدان المسلمين، فهاجت المدينة بسكانها و ازدادت حيرة المجتمعين حول دار الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) أمام كلمة عمر بن الخطاب التي قالها و هو يهدد بالسيف: إنّ رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) قد مات، إنه و اللّه ما مات و لكنّه قد ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران‏[[417]](#footnote-417).

و رغم أنّه لا تشابه بين غياب موسى (عليه السّلام) و وفاة النبي محمد (صلّى اللّه عليه و اله)،

ص:209=PAGEص:

لكن مواقف عمر التالية لعلّها تكشف النقاب عن إصراره على هذه المقارنة.

نعم لم يهدأ عمر حتى قدم أبو بكر من السنح و دخل إلى بيت رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) فكشف عن وجه النبي (صلّى اللّه عليه و اله) و خرج مسرعا و قال: أيها الناس من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات و من كان يعبد اللّه فإن اللّه حيّ لا يموت و تلا قوله تعالى: وَ ما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ‏ و هنا هدأت فورة عمر و زعم أنه لم يلتفت الى وجود مثل هذه الآية في القرآن الكريم‏[[418]](#footnote-418).

و أسرع أبو بكر و عمر بن الخطاب مع بعض أصحابهما إلى سقيفة بني ساعدة بعد أن عرفا أنّ اجتماعا طارئا قد حصل في السقيفة فيما يخصّ الخلافة بعد وفاة رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله). متناسين نصب عليّ بن أبي طالب و كذا بيعتهم إيّاه بالخلافة و غير مدركين أنّ تصرفهم هذا يعدّ استخفافا بحرمة رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) و جسده المسجّى.

و أمّا عليّ بن أبي طالب (عليه السّلام) و أهل بيته فقد انشغلوا بتجهيز الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) و دفنه فقد غسّله عليّ من دون أن ينزع قميصه و أعانه على ذلك العباس بن عبد المطلب ابنه و الفضل و كان يقول: بأبي أنت و أمي ما أطيبك حيّا و ميّتا[[419]](#footnote-419).

ثم وضعوا جسد الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) على سرير و قال علي (عليه السّلام): إن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) إمامنا حيا و ميتا فليدخل عليه فوج بعد فوج فيصلّون عليه بغير إمام و ينصرفون.

و أوّل من صلى على النبي (صلّى اللّه عليه و اله) علي (عليه السّلام) و بنو هاشم ثم صلّت الانصار من بعدهم‏[[420]](#footnote-420).

ص:210=PAGEص:

و وقف علي (عليه السّلام) بحيال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) و هو يقول: سلام عليك أيها النبي و رحمة اللّه و بركاته اللهم إنّا نشهد أن قد بلّغ ما انزل اليه و نصح لامته و جاهد في سبيل اللّه حتى أعزّ اللّه دينه و تمّت كلمته، اللهم فاجعلنا ممن يتّبع ما أنزل اللّه إليه و ثبّتنا بعده و اجمع بيننا و بينه، فيقول الناس: آمين، حتى صلّى عليه الرجال ثم النساء ثم الصبيان‏[[421]](#footnote-421).

و حفر قبر للنبي (صلّى اللّه عليه و اله) في الحجرة التي توفي فيها. و حين أراد علي (عليه السّلام) أن ينزله في القبر نادت الأنصار من خلف الجدار: يا علي نذكرك اللّه و حقّنا اليوم من رسول اللّه أن يذهب، أدخل منا رجلا يكون لنا به حظّ من مواراة رسول اللّه. فقال (عليه السّلام) ليدخل أوس بن خولي، و كان بدريا فاضلا من بني عوف.

و نزل عليّ (عليه السّلام) الى القبر فكشف عن وجه رسول اللّه و وضع خدّه على التراب، ثم أهال عليه التراب.

و لم يحضر دفن النبي (صلّى اللّه عليه و اله) و الصلاة عليه أحد من الصحابة الذين ذهبوا الى السقيفة.

فسلام عليك يا رسول اللّه يوم ولدت و يوم مت و يوم تبعث حيا.

ص:211=PAGEص:

الفصل الخامس من معالم الرسالة الاسلامية الخاتمة

بما ذا بعث النبي محمد (صلّى اللّه عليه و اله)[[422]](#footnote-422)؟

بعث اللّه تعالى نبيّه محمّدا (صلّى اللّه عليه و اله) على حين فترة من الرسل خاتما للنبيين و ناسخا لشرائع من كان قبله من المرسلين إلى الناس كافة أسودهم و أبيضهم عربيهم و عجميهم و قد ملئت الأرض من مشرقها إلى مغربها بالخرافات و السخافات و البدع و القبائح و عبادة الأوثان.

فقام (صلّى اللّه عليه و اله) في وجه العالم كافة و دعا إلى الايمان بإله واحد خالق رازق مالك لكل أمر، بيده النفع و الضر، لم يكن له شريك في الملك و لم يكن له ولي من الذل و لم يتخذ صاحبة، لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد.

بعثه آمرا بعبادته وحده لا شريك له مبطلا عبادة الاصنام و الاوثان التي لا تضر و لا تنفع و لا تعقل و لا تسمع و لا تدفع عن أنفسها و لا عن غيرها ضرا و لا ضيما، متمما لمكارم الاخلاق حاثا على محاسن الصفات آمرا بكل حسن ناهيا عن كل قبيح.

ص:212=PAGEص:

سهولة الشريعة الاسلامية و سماحتها

و اكتفى من الناس بأن يقولوا لا إله إلّا اللّه محمد رسول اللّه و يقيموا الصلاة و يؤتوا الزكاة و يصوموا شهر رمضان و يحجوا البيت و يلتزموا بأحكام الاسلام. و كان قول هاتين الكلمتين (لا إله إلّا اللّه، محمد رسول اللّه) يكفي لأن يكون لقائله ما للمسلمين و عليه ما عليهم.

سمو التعاليم الاسلامية

و بعث بالمساواة في الحقوق بين جميع الخلق، و أنّ أحدا ليس خيرا من أحد إلا بالتقوى. و بالاخوّة بين جميع المؤمنين و بالكفاءة بينهم: تتكافأ دماؤهم و يسعى بذمتهم أدناهم، و بالعفو العام عمن دخل في الاسلام.

و سنّ شريعة باهرة و قانونا عادلا تلقّاه عن اللّه تعالى فكان هذا القانون جامعا لأحكام عباداتهم و معاملاتهم و ما يحتاجونه في معاشهم و معادهم و كان عباديا اجتماعيا سياسيا أخلاقيا لا يشذّ عنه شي‏ء مما يمكن وقوعه في حياة البشر مستقبلا و يحتاج اليه بنو آدم، فما من واقعة تقع و لا حادثة تحدث إلّا و لها فى الشريعة الاسلامية أصل مسلّم عند المسلمين ترجع اليه.

على أن العبادات في الدين الاسلامي لا تتمحض لمجرد العبادة ففيها منافع بدنية و اجتماعية و سياسية فالطهارة تفيد النظافة، و في الصلاة رياضة روحية و بدنية، و في صلاة الجماعة و الحج فوائد اجتماعية و سياسية ظاهرة، و في الصوم فوائد صحية لا تنكر، و الاحاطة بفوائد الاحكام الاسلامية الظاهرة فضلا عن الخفية أمر متعذّر أو عسير.

و لما في هذا الدين من محاسن و موافقة أحكامه للعقول و سهولتها

ص:213=PAGEص:

و سماحتها و رفع الحرج فيه و الاكتفاء بإظهار الشهادتين و لما في تعاليمه من السمو و الحزم و الجد دخل الناس فيه افواجا و ساد أهله على أعظم ممالك الأرض و اخترق نوره شرق الارض و غربها و دخل جميع أقاليمها و أقطارها تحت لوائه و دانت به الأمم على اختلاف عناصرها و لغاتها.

و لم يمض زمن قليل حتى أصبح ذلك الرجل الذي خرج من مكة مستخفيا و أصحابه يعذّبون و يستذلون و يفتنون عن دينهم، يعتصمون تارة بالخروج إلى الحبشة مستخفين و اخرى بالخروج الى المدينة متسللين، يدخل مكة بأصحابه هؤلاء في عمرة القضاء ظاهرا لا يستطيعون دفعه و لا منعه و لم تمض إلّا مدة قليلة حتى دخل مكة فاتحا لها و سيطر على أهلها من دون أن تراق محجمة دم بل و لا قطرة دم فدخلوا في الاسلام طوعا و كرها و توافدت عليه رؤساء العرب ملقية إليه عنان طاعتها و كان من قبل هذا الفتح بلغ من القوة أن بعث برسله و سفرائه إلى ملوك الأرض مثل كسرى و قيصر و من دونهما و دعاهم إلى الاسلام و غزا بلاد قيصر مع بعد الشقة و ظهر دينه على الدين كله كما وعده ربه حسبما صرّح تعالى بذلك في سورة النصر، و الفتح و غيرهما و كما تخبرنا بذلك كتب التاريخ.

و لم يقم هذا الدين بالسيف و القهر كما يصوّره من يريد الوقيعة فيه بل كما أمر اللّه تعالى: ادْعُ إِلى‏ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ‏[[423]](#footnote-423). و لم يحارب أهل مكة و سائر العرب حتى حاربوه و أرادوا قتله و اخرجوه، و أقر أهل الاديان التي نزلت بها الكتب السماوية على أديانهم و لم يجبرهم على الدخول في الاسلام.

ص:214=PAGEص:

القرآن الكريم‏

و انزل اللّه تعالى على نبيّه حين بعثه بالنبوّة قرآنا عربيّا مبيّنا لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه، و قد أعجز النبي (صلّى اللّه عليه و اله) به البلغاء و أخرس الفصحاء و تحدّاهم فيه فلم يستطيعوا معارضته و هم أفصح العرب بل و اليهم تنتهي الفصاحة و البلاغة، و قد حوى هذا الكتاب العزيز المنزل من لدن حكيم عليم من أحكام الدين و أخبار الماضين و تهذيب الاخلاق و الأمر بالعدل و النهي عن الظلم و تبيان كل شي‏ء ما جعله يختلف عن كل الكتب حتّى المنزّلة منها و هو ما يزال يتلى على كر الدهور و مر الأيام و هو غض طري يحيّر ببيانه العقول و لا تملّه الطباع مهما تكررت تلاوته و تقادم عهده.

و قد كان القرآن الكريم معجزة فيما أبدع من ثورة علمية و ثقافية في ظلمات الجاهلية الجهلاء و قد أرسى قواعد نهضته على منهج علمي قويم، فحثّ على العلم و جعله العامل الأوّل لتسامي الانسان نحو الكمال اللائق به و حثّ على التفكير و التعقّل و التجربة و البحث عن ظواهر الطبيعة و التعمق فيها لا كتشاف قوانينها و سننها و أوجب تعلّم كل علم تتوقف عليه الحياة الاجتماعية للانسان و اهتم بالعلوم النظرية من كلام و فلسفة و تاريخ و فقه و أخلاق، و نهى عن التقليد و اتباع الظن و أرسى قواعد التمسك بالبرهان.

و حثّ القرآن على السعي و الجد و التسابق في الخيرات و نهى عن البطالة و الكسل و دعا الى الوحدة و نبذ الفرقة. و شجب العنصرية و التعصبات القبلية الجاهلية.

و أقرّ الاسلام العدل كأساس في الخلق و التكوين و التشريع و المسؤولية و في الجزاء و المكافاة، و هو أوّل من نادى بحق المساواة بين أبناء الانسان أمام‏

ص:215=PAGEص:

قانون اللّه و شريعته و أدان الطبقية و التمييز العنصري و جعل ملاك التفاضل عند اللّه أمرا معنويّا هو التقوى و الاستباق الى الخيرات، من دون أن يجعل هذا التفاضل سببا للتمايز الطبقي بين أبناء المجتمع البشري.

و بالغ الاسلام في حفظ الأمن و المحافظة على الأموال و الدماء و الأعراض و فرض العقوبات الشديدة على سلب الأمن بعد أن شيّد الارضية اللازمة لاستقرار الأمن و العدل و جعل العقوبة آخر دواء لعلاج هذه الأمراض الاجتماعية بنحو ينسجم مع الحرية التي شرّعها للانسان. و من هنا كان القضاء في الشريعة الاسلامية مرتكزا على إقرار العدل و الأمن و إحقاق الحقوق المشروعة مع كل الضمانات اللازمة لذلك.

و اعتنى الاسلام بحفظ الصحة و السلامة البدنية و النفسية غاية الاعتناء و جعل تشريعاته كلها منسجمة مع هذا الأصل المهم في الحياة.

الواجبات و المحرمات في الشريعة الاسلامية:

و ترتكز الواجبات و المحرّمات في الشريعة الاسلامية على اسس فطرية واقعية و امور تستلزمها طبيعة الأهداف السامية للشريعة التي جاءت لإخراج هذا الانسان من ظلمات الجاهلية و هدايته الى نور الحق و الكمال، و لا تحتاج الانسانية الى شي‏ء يرتكز عليه الكمال البشري إلّا و أوجبته الشريعة الاسلامية على الانسان و هيّأت له سبل الوصول إليه، و حرّمت كل شي‏ء يعيق الانسان عن السعادة الحقيقية المنشودة له و سدّت كل منافذ السقوط الى هوّة الشقاء.

و أباحت الطيبات و لذائذ الحياة الدنيا و زينتها ممّا لا يخلّ باصول الشريعة و مدارج الكمال البشري و حدّدت قنواتها حين حدّدت الأهداف‏

ص:216=PAGEص:

السامية و حرّمت ما يضرّ و أوجبت ما ينبغي للانسان امتثاله.

و مع ذلك كله فقد اعتبرت الشريعة مكارم الاخلاق أهدافا أساسيّة ينبغي للانسان الذكي اللبيب أن يحصل عليها في هذه الحياة الدنيا ليسعد بها في الدنيا و يحيا بها في الآخرة ذات الحياة الأبدية الدائمة.

و اعتنى الاسلام بالمرأة اعتناء بالغا و جعلها ركن العائلة و أساس السعادة في الحياة الزوجية و شرّع لها من الحقوق و الواجبات ما يضمن لها عزّتها و كرامتها و تحقيق سعادتها و سعادة أبنائها و مجتمعها الإنساني.

و صفوة القول أنّ الإسلام لم يغفل عن تشريع كل ما يحتاجه المجتمع البشري في تكامله و ارتقائه.

ص:217=PAGEص:

الفصل السّادس تراث خاتم المرسلين (صلّى اللّه عليه و اله)

قال تعالى: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ‏[[424]](#footnote-424).

لقد تجلت لنا- من خلال دراسة التاريخ الاسلامي- الثمار العظيمة لهذه البعثة الإلهية لخاتم النبيين محمد (صلّى اللّه عليه و اله) حيث أسفرت نبوته عن:

1- رسالة إلهية شاملة قام بتبليغها الى البشرية عامّة.

2- امّة مسلمة تحمل مشعل الرسالة و عبير النبوة الى سائر الامم.

3- و دولة اسلامية ذات كيان سياسي مستقل و نظام إلهي فريد.

4- و قيادة معصومة تخلف الرسول القائد و تمثّله خير تمثيل.

و اذا قصرنا النظر على التراث المسموع أو المكتوب و المدوّن و كان تعريفنا لتراث الرسول الخاتم (صلّى اللّه عليه و اله) بأنه: كل ما قدّمه الى البشرية و الامة الاسلامية من عطاء مقروء أو مسموع، فينبغي لنا أن نصنّف ما قدّمه إليهم الى:

1- القرآن الكريم.

2- السنّة الشريفة.

ص:218=PAGEص:

و يشترك العطاءان بأنهما من فيض السماء على الانسان بتوسط هذا الرسول الكريم. فهما وحي اللّه على قلب محمد (صلّى اللّه عليه و اله) الذي لم ينطق عن الهوى.

و يتميّز القرآن الحكيم أولا بأن شكله و محتواه (نصّه و مضمونه) معا من اللّه تعالى، فالصياغة إلهية معجزة كما أنّ مضمونه كذلك. على أن جمعه و تدوينه- كما هو الصحيح و الثابت تأريخيا- قد تمّ في عصر الرسول نفسه و قد تواتر إلينا نصّه بشكل كامل غير محرّف.

و الوثائق التأريخية الدالّة على تدوين النص القرآني في عصر الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) غير قليلة، نكتفي بنص قرآني و آخر غير قرآني على ذلك.

فالأول: قوله تعالى: وَ قالُوا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَها فَهِيَ تُمْلى‏ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَ أَصِيلًا[[425]](#footnote-425).

و الثاني: ما روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السّلام) حيث قال:

«... ما نزلت على رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) آية من القرآن إلّا أقرأنيها و أملاها عليّ فكتبتها بخطّي و علّمني تأويلها و تفسيرها و ناسخها و منسوخها و محكمها و متشابهها و خاصّها و عامّها، و دعا اللّه أن يعطيني فهمها و حفظها، فما نسيت من كتاب اللّه و لا علما أملاه عليّ و كتبته منذ دعا لي بما دعا»[[426]](#footnote-426).

و المسلمون جميعا متفقون على أن النبي (صلّى اللّه عليه و اله) بلّغ القرآن كاملا، و أن القرآن المتداول اليوم بين المسلمين هو الذي كان متداولا في عهد النبي (صلّى اللّه عليه و اله) لم يزد فيه شي‏ء و لم ينقص منه شي‏ء.

و أمّا السنة الشريفة و الحديث النبوي، فهو بشريّ الصياغة إلهيّ‏

ص:219=PAGEص:

المضمون، و يتميّز بالفصاحة الكاملة و تتجلى فيه عظمة الرسول و كماله و عصمته و التسديد الإلهي له.

و من هنا كان القرآن الكريم هو المصدر الأوّل للتشريع و الينبوع الاساسي للمعرفة التي تحتاجها البشرية على مدى الحياة. قال تعالى: قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدى‏ وَ لَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ما لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لا نَصِيرٍ[[427]](#footnote-427).

و اعتبر القرآن الكريم السنّة الشريفة ثاني مصدر للتشريع الربّاني حيث اعتبرت سنّة النبي الكريم مصدرا تشريعيا تاليا للقرآن باعتبار النبي (صلّى اللّه عليه و اله) مفسّرا للذكر الحكيم و اسوة حسنة يقتدى بها، و على الناس أن يأخذوا بأوامره و ينتهوا عن نواهيه‏[[428]](#footnote-428).

و لكن السنّة النبوية- و للأسف- لقيت بعد عصر الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) و بالذات عصر الخلفاء الأوائل وضعا سيئا حيث أقدم أبو بكر و عمر على منع تدوين حديث الرسول (صلّى اللّه عليه و اله)، و قاما بحرق ما دوّنه بعض الصحابة بحجة أن ذلك النهي جاء منهما- و من عمر بالذات- حرصا منهما على القرآن الكريم لأن تدوين السنّة و الاهتمام بها يؤدي بالتدريج الى الغفلة عن القرآن أو إلى ضياع القرآن من حيث التباسه بالحديث.

و لكن أهل البيت و أتباعهم و كثير من المسلمين قد تعاملوا مع سنّة الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) التعامل اللائق بها من الاحترام و التقديس مستلهمين ذلك من القرآن الكريم، و من هنا أخذوا يتداولونها حفظا و تحديثا و تدوينا و تطبيقا بالرغم من الحظر الرسمي للتدوين. الذي كان لسبب آخر- كما يبدو- غير ما

ص:220=PAGEص:

ذكر، ببطلان ما ذكر من الأسباب. حيث خالف العلماء و الخلفاء فيما بعد ذلك الحظر و راحوا يحثّون على التدوين.

و أول من بادر الى تدوين السنة الشريفة و اعتنى بها أشدّ الاعتناء هو ربيب الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) و وصيّه الإمام علي بن أبي طالب (عليه السّلام). قال: «و قد كنت أدخل على رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) كل يوم دخلة و كل ليلة دخلة فيخليني فيها، أدور معه حيثما دار.

و قد علم أصحاب رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) أنه لم يصنع ذلك بأحد من الناس غيري ... و كنت إذا سألته أجابني و اذا سكتّ و فنيت مسائلي ابتدأني، فما نزلت على رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) آية من القرآن الا أقرأنيها و أملاها عليّ فكتبتها بخطّي و علّمني تأويلها و تفسيرها ... و ما ترك شيئا علّمه اللّه من حلال و لا حرام و لا أمر و لا نهي كان أو يكون منزلا على أحد قبله من طاعة أو معصية الا علّمنيه و حفظته فلم أنس حرفا واحدا ...»[[429]](#footnote-429).

و تمثّلت مدوّنات الامام عليّ (عليه السّلام) مما أملاه عليه الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) في ما يسمّى بكتاب علي و ما يسمّى بالجامعة أو الصحيفة.

قال ابو العباس النجاشي المتوفى سنة (450 ه): أخبرنا محمد بن جعفر (النحوي التميمي و هو شيخه في الاجازة) مسندا الى عذافر الصير في قال:

كنت مع الحكم بن عتيبة عند أبي جعفر (عليه السّلام) فجعل يسأله و كان أبو جعفر (عليه السّلام) له مكرّما فاختلفا في شي‏ء، فقال أبو جعفر (عليه السّلام): يا بني قم فاخرج كتاب علي (عليه السّلام)، فأخرج كتابا مدروجا عظيما، ففتحه و جعل ينظر حتى أخرج المسألة فقال ابو جعفر (عليه السّلام): هذا خط علي (عليه السّلام) و إملاء رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) و أقبل على الحكم و قال: يا أبا محمد اذهب أنت و سلمة و أبو المقدام حيث شئتم يمينا و شمالا فو اللّه لا تجدون العلم أوثق منه عند قوم كان ينزل عليهم جبرائيل (عليه السّلام)[[430]](#footnote-430).

ص:221=PAGEص:

و عن ابراهيم بن هاشم مسندا الى أبي جعفر (عليه السّلام): في كتاب علي كل شي‏ء يحتاج اليه حتى أرش الخدش‏[[431]](#footnote-431).

و أما صحيفة عليّ (عليه السّلام) أو الجامعة فهي مدوّنة اخرى لعلي (عليه السّلام) على جلد طوله سبعون ذراعا فعن أبي بصير (عليه السّلام): أنه قال له الامام الصادق (عليه السّلام) فيما قال له: و ان عندنا الجامعة، صحيفة طولها سبعون ذراعا بذراع رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) و املائه من فلق فيه و خط علي (عليه السّلام) بيمينه، فيها كل حلال و حرام و كل شي‏ء يحتاج اليه الناس حتى الارش في الخدش‏[[432]](#footnote-432).

هذا هو موقف أهل البيت (عليهم السّلام) من السنّة الشريفة.

و أما الموقف الحكومي الرسمي في خلافة الشيخين فقد ترك آثارا سلبية كبيرة حيث استمرّ هذا الحظر إلى ما لا يقلّ عن قرن واحد و أدّى الى ضياع كثير منها، و فتح الباب أمام تسرّب الإسرائيليات الى مصادر الثقافة عند المسلمين، كما و أنتج انفتاح باب الرأي و الاستحسان على مصراعيه حتى غدا الرأي مصدرا من مصادر التشريع بل قد قدّمه البعض حتى على نصوص السنّة النبوية الشريفة؛ إذ لم يصمد كثير من النصوص أمام النقد العلمي. و هذا قد أدّى بدوره الى شحّة النصوص النبوية الصحيحة عند أهل السنّة و عدم وفائها بما تحتاجه الامة في عصورها المقبلة.

و لكن أهل البيت (عليهم السّلام) قد وقفوا أمام هذا التيّار الجارف بكل حزم و استطاعوا أن يحفظوا السنّة الشريفة من الضياع عند المؤمنين من خلال توجيهاتهم و حسب ما تقتضيه إمامتهم و خلافتهم الشرعية فإنّ اولى مهامّ الإمام و الخليفة المنصوص هو حفظ الشريعة و نصوصها من الضياع.

ص:222=PAGEص:

و من هنا لزم على الباحث عن السنّة النبوية الرجوع الى مصادر السنّة عند أهل البيت (عليهم السّلام) و أتباعهم فإنهم أدرى بما في البيت.

و السنة الشريفة عند أهل البيت (عليهم السّلام) تغطّي جميع أبواب العقيدة و الفقه و الاخلاق و التربية و كل ما تحتاجه البشرية في كل مجالات الحياة.

و قد صرّح الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السّلام) حفيد الرسول الأعظم بهذه الحقيقة فقال: «ما من شي‏ء إلّا و فيه كتاب أو سنّة[[433]](#footnote-433).

ص:223=PAGEص:

نماذج من تراث سيّد المرسلين (صلّى اللّه عليه و اله)

1- العقل و العلم:

1- لقد اهتم الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) بالعقل أشدّ الاهتمام، فعرّفه و بيّن وظيفته و دوره في الحياة: على مستوى التكليف و المسؤولية، و على مستوى العمل و الجزاء، كما بيّن عوامل رشده و تكامله، فقال:

«إن العقل عقال من الجهل، و النفس مثل أخبث الدوّاب، فإن لم يعقل حارت، فالعقل عقال من الجهل، و إن اللّه خلق العقل، فقال له: أقبل فأقبل، و قال له: أدبر فأدبر، فقال له اللّه تبارك و تعالى: و عزّتي و جلالي ما خلقت خلقا أعظم منك و لا أطوع منك، بك ابدي و اعيد، لك الثواب و عليك العقاب.

فتشعّب من العقل الحلم، و من الحلم العلم، و من العلم الرشد، و من الرشد العفاف، و من العفاف الصيّانة، و من الصيّانة الحياء، و من الحياء الرزانة، و من الرزانة المداومة على الخير، و كراهية الشر، و من كراهية الشرّ طاعة الناصح.

فهذه عشرة أصناف من أنواع الخير، و لكل واحد من هذه العشرة الأصناف عشرة أنواع ...»[[434]](#footnote-434).

2- و اهتم الرسول الرائد (صلّى اللّه عليه و اله) بالعلم و المعرفة، مبيّنا دور العلم في الحياة و قيمته اذا ما قيس الى سائر أنواع الكمال، فقال:

«طلب العلم فريضة على كل مسلم، فاطلبوا العلم من مظانّه، و اقتبسوه من أهله، فإنّ‏

ص:224=PAGEص:

تعليمه للّه حسنة، و طلبه عبادة، و المذاكرة به تسبيح، و العمل به جهاد، و تعليمه من لا يعلمه صدقة، و بذله لأهله قربة إلى اللّه تعالى؛ لأنّه معالم الحلال و الحرام، و منار سبل الجنّة، و المؤنس في الوحشة، و الصاحب في الغربة و الوحدة، و المحدّث في الخلوة، و الدليل على السّرّاء و الضرّاء، و السلاح على الأعداء، و الزين عند الأخلّاء. يرفع اللّه به أقواما، فيجعلهم في الخير قادة، تقتبس آثارهم، و يهتدى بفعالهم، و ينتهى إلى رأيهم، و ترغب الملائكة في خلّتهم. بأجنحتها تمسحهم، و في صلاتها تبارك عليهم. يستغفر لهم كل رطب و يابس، حتى حيتان البحر و هوامّه، و سباع البر و أنعامه. إن العلم حياة القلوب من الجهل، و ضياء الأبصار من الظّلمة، و قوة الأبدان من الضعف. يبلغ بالعبد منازل الأخيار، و مجالس الأبرار، و الدرجات العلى في الدنيا و الآخرة. الذكر فيه يعدل بالصيام، و مدارسته بالقيام. به يطاع الرب، و به توصل الأرحام، و به يعرف الحلال و الحرام. العلم إمام العمل و العمل تابعه.

يلهمه السعداء، و يحرمه الأشقياء، فطوبى لمن لم يحرمه اللّه منه حظّه.

و صفة العاقل أن يحلم عمّن جهل عليه، و يتجاوز عمّن ظلمه، و يتواضع لمن هو دونه، و يسابق من فوقه في طلب البر. و إذا أراد أن يتكلم تدبّر، فإن كان خيرا تكلم فغنم، و إن كان شرّا سكت فسلم، و إذا عرضت له فتنة استعصم باللّه، و أمسك يده و لسانه، و إذا رأى فضيلة انتهز بها. لا يفارقه الحياء، و لا يبدو منه الحرص، فتلك عشر خصال يعرف بها العاقل.

و صفة الجاهل أن يظلم من خالطه، و يتعدّى على من هو دونه، و يتطاول على من هو فوقه. كلامه بغير تدبّر، إن تكلّم أثم، و إن سكت سها، و إن عرضت له فتنة سارع إليها فأردته، و إن رأى فضيلة أعرض عنها و أبطأ عنها. لا يخاف ذنوبه القديمة، و لا يرتدع فيما بقي من عمره من الذنوب. يتوانى عن البرّ و يبطئ عنه، غير مكترث لما فاته من ذلك أو ضيّعه، فتلك‏

ص:225=PAGEص:

عشر خصال من صفة الجاهل الذي حرم العقل‏[[435]](#footnote-435).

2- مصادر التشريع:

3- لقد رسم خاتم الرسل (صلّى اللّه عليه و اله) للناس جميعا طريق السعادة الحقيقية و ضمن لهم الوصول اليها فيما اذا التزموا بالتعليمات التي بيّنها لهم. و يتلخّص طريق السعادة عند الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) بالتمسك بأصلين أساسيين لا غنى بأحدهما عن الآخر و هما الثقلان، حيث قال:

«أيّها النّاس! إنّي فرطكم، و انتم واردون عليّ الحوض، ألا و إنّي سائلكم عن الثقلين، فانظروا: كيف تخلّفوني فيهما؟ فإن اللّطيف الخبير نبّأني: أنّهما لن يفترقا حتى يلقياني، و سألت ربي ذلك فأعطانيه، ألا و إنّي قد تركتهما فيكم: كتاب اللّه و عترتي أهل بيتي، لا تسبقوهم فتفرّقوا و لا تقصروا عنهم فتهلكوا، و لا تعلّموهم، فإنهم أعلم منكم.

أيّها الناس! لا ألفينّكم بعدي كفّارا، يضرب بعضكم رقاب بعض، فتلقوني في كتيبة كمجرّ السيل الجرّار.

ألا و إن علي بن أبي طالب أخي و وصيّي، يقاتل بعدي على تأويل القرآن، كما قاتلت على تنزيله»[[436]](#footnote-436).

القرآن و دوره المتميّز:

4- و أفصح النبي (صلّى اللّه عليه و اله) تبليغ بيانه عن عظمة القرآن الكريم مبيّنا دوره في الحياة و قيمة التمسك التامّ به حيث خاطب عامّة البشرية قائلا:

«أيّها الناس! إنكم في دار هدنة، و أنتم على ظهر سفر، و السير بكم سريع، فقد رأيتم الليل و النهار، و الشمس و القمر، يبليان كل جديد، و يقرّبان كلّ بعيد، و يأتيان بكل وعد

ص:226=PAGEص:

و وعيد، فأعدّوا الجهاز لبعد المجاز. إنّها دار بلاء و ابتلاء، و انقطاع و فناء، فإذا التبست عليكم الامور كقطع الليل المظلم، فعليكم بالقرآن، فإنّه شافع مشفّع، و ماحل مصدّق. من جعله أمامه قاده إلى الجنة، و من جعله خلفه ساقه إلى النّار، و من جعله الدليل يدلّه على السبيل. و هو كتاب فيه تفصيل، و بيان و تحصيل. هو الفصل ليس بالهزل، و له ظهر و بطن، فظاهره حكم اللّه، و باطنه علم اللّه تعالى، فظاهره أنيق، و باطنه عميق، له تخوم، و على تخومه تخوم، لا تحصى عجائبه، و لا تبلى غرائبه، مصابيح الهدى، و منار الحكمة، و دليل على المعرفة لمن عرف الصفة، فليجل جال بصره، و ليبلغ الصفة نظره، ينج من عطب، و يتخلّص من نشب؛ فإن التفكّر حياة قلب البصر، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنّور، فعليكم بحسن التخلّص، و قلة التربص»[[437]](#footnote-437).

أهل البيت (عليهم السّلام) أركان الدين‏

5- و عرّف الرسول الخاتم (صلّى اللّه عليه و اله) الثقل الكبير- أي أهل بيت الرسالة:

علي و بنوه الأحد عشر- بأنواع التعريف، و كان مما قاله في آخر خطبة خطبها:

«يا معشر المهاجرين و الأنصار! و من حضرني في يومي هذا، و في ساعتي هذه، من الجنّ و الإنس فليبلغ شاهدكم الغائب: ألا قد خلّفت فيكم كتاب اللّه. فيه النّور، و الهدى، و البيان، ما فرّط اللّه فيه من شي‏ء، حجة اللّه لي عليكم. و خلّفت فيكم العلم الأكبر، علم الدين، و نور الهدى، وصيّي: علي بن أبي طالب، ألا و هو حبل اللّه، فاعتصموا به جميعا، و لا تفرقوا عنه، وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً[[438]](#footnote-438).

أيّها الناس! هذا عليّ بن أبي طالب، كنز اللّه، اليوم و ما بعد اليوم، من أحبّه و تولّاه‏

ص:227=PAGEص:

اليوم و ما بعد اليوم، فقد أوفى بما عاهد عليه، و أدّى ما وجب عليه، و من عاداه اليوم و ما بعد اليوم، جاء يوم القيامة أعمى و أصمّ، لا حجّة له عند اللّه.

أيّها الناس! لا تأتوني غدا بالدنيا، تزفّونها زفّا، و يأتي أهل بيتي شعثاء غبراء، مقهورين مظلومين، تسيل دماؤهم أمامكم، و بيعات الضلالة و الشورى للجهالة في رقابكم.

ألا و إن هذا الأمر له أصحاب و آيات، قد سمّاهم اللّه في كتابه، و عرّفتكم، و بلّغتكم ما أرسلت به إليكم، و لكنّي أراكم قوما تجهلون. لا ترجعنّ بعدي كفّارا مرتدّين، متأوّلين للكتاب على غير معرفة، و تبتدعون السّنّة بالهوى؛ لأنّ كل سنّة و حديث و كلام خالف القرآن فهو ردّ و باطل.

القرآن إمام هدى، و له قائد يهدي إليه، و يدعو إليه بالحكمة و الموعظة الحسنة. و هو وليّ الأمر بعدي، و وارث علمي و حكمتي، و سرّي و علانيتي، و ما ورّثه النبيّون من قبلي، و أنا وارث و مورث، فلا يكذبنّكم أنفسكم.

أيّها الناس! اللّه اللّه في أهل بيتي؛ فإنّهم أركان الدين، و مصابيح الظلم، و معدن العلم؛ عليّ أخي، و وارثي، و وزيري، و أميني، و القائم بأمري، و الموفي بعهدي على سنّتي. أوّل النّاس بي إيمانا، و آخرهم عهدا عند الموت، و أوسطهم لي لقاءا يوم القيامة، فليبلّغ شاهدكم غائبكم ألا و من أمّ قوما إمامة عمياء، و في الأمة من هو أعلم، فقد كفر.

أيّها النّاس! و من كانت له قبلي تبعة فيما أنا، و من كانت له عدة، فليأت فيها عليّ بن أبي طالب، فإنّه ضامن لذلك كلّه، حتى لا يبقى لأحد عليّ تباعة»[[439]](#footnote-439).

ص:228=PAGEص:

3- اصول العقيدة الإسلامية

الخالق لا يوصف:

«إنّ الخالق لا يوصف إلّا بما وصف به نفسه، و كيف يوصف الخالق الذي تعجز الحواس أن تدركه، و الأوهام أن تناله، و الخطرات أن تحدّه، و الأبصار عن الإحاطة به؟ جلّ عمّا يصفه الواصفون، ناء في قربه، و قريب في نأيه، كيّف الكيفيّة فلا يقال له كيف؟ و أيّن الأين فلا يقال له أين؟ هو منقطع الكيفوفيّة و الأينونيّة، فهو الأحد الصمد كما وصف نفسه، و الواصفون لا يبلغون نعته، لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد»[[440]](#footnote-440).

شروط التوحيد:

«إذا قال العبد: «لا إله إلّا اللّه» فينبغي أن يكون معه تصديق و تعظيم، و حلاوة و حرمة، فإذا قال: «لا إله إلّا اللّه» و لم يكن معه تعظيم، فهو مبتدع. و إذا لم يكن معه حلاوة فهو مراء. و إذا لم يكن معه حرمة فهو فاسق»[[441]](#footnote-441).

رحمة اللّه:

«إن رجلين كانا في بني إسرائيل، أحدهما مجتهد في العبادة و الآخر مذنب، فجعل يقول المجتهد: أقصر عمّا أنت فيه، فيقول: خلّني و ربي، حتى وجده يوما على ذنب استعظمه، فقال: أقصر، قال: خلّني و ربي، أبعثت عليّ رقيبا؟ فقال: و اللّه لا يغفر اللّه لك و لا يدخلك الجنة. فبعث اللّه إليهما ملكا، فقبض أرواحهما فاجتمعا عنده، فقال للمذنب: ادخل‏

ص:229=PAGEص:

الجنة برحمتي، و قال للآخر: أتستطيع أن تحظر على عبدي رحمتي؟ فقال: لا يا ربّ. قال:

اذهبوا به إلى النّار»[[442]](#footnote-442).

لا جبر و لا اختيار:

«إنّ اللّه لا يطاع جبرا، و لا يعصى مغلوبا، و لم يهمل العباد من المملكة، و لكنه القادر على ما أقدرهم عليه، و المالك لما ملّكهم إياه؛ فإن العباد إن ائتمروا بطاعة اللّه لم يكن منها مانع، و لا عنها صاد، و إن عملوا بمعصيته فشاء أن يحول بينهم و بينها فعل، و ليس من شاء أن يحول بينك و بين شي‏ء و لم يفعله، فأتاه الذي فعله كان هو الذي أدخله فيه»[[443]](#footnote-443).

الخاتمية:

«فضّلت على الأنبياء بستّ: اعطيت جوامع الكلم، و نصرت بالرعب من مسيرة شهر، و احلّت لي الغنائم. و جعلت لي الأرض مسجدا و طهورا. و ارسلت إلى الخلق كافّة.

و ختم بي النبيّون»[[444]](#footnote-444).

إنّ اللّه اصطفاني:

«إن اللّه اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، و اصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة، و اصطفى من بني كنانة قريشا. و اصطفى من قريش بني هاشم، و اصطفاني من بني هاشم، قال اللّه تبارك و تعالى: لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ‏»[[445]](#footnote-445).

ص:230=PAGEص:

[[446]](#footnote-446)

مثلي مثل الغيث:

«إنّ مثل ما بعثني به ربّي من الهدى و العلم كمثل غيث أصاب أرضا، منها طائفة طيّبة، فقبلت الماء فأنبتت العشب و الكلأ الكبير، و كانت منها أجادب امسكت الماء، فنفع اللّه بها الناس فشربوا منها و سقوا و زرعوا، و أصاب طائفة منها أخرى، إنّما هي قيعات، لا تمسك و لا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين اللّه، و تفقّه فيما بعثني اللّه به، فعلم و علّم، و مثل من لم يرفع بذلك رأسا، و لم يقبل هدى اللّه الذي ارسلت به»[[447]](#footnote-447).

الإمام بعد رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله):

«يا عمّار! إنّه سيكون بعدي هنات، حتى يختلف السيف فيما بينهم، و حتى يقتل بعضهم بعضا، و حتى يبرأ بعضهم من بعض، فإذا رأيت ذلك فعليك بهذا الأصلع عن يميني:

عليّ بن أبي طالب، فإن سلك الناس كلّهم واديا، و سلك عليّ واديا فاسلك وادي عليّ، و خلّ عن الناس.

يا عمّار! إن عليّا لا يردّك عن هدى، و لا يدلّك على ردى.

يا عمّار! طاعة عليّ طاعتي، و طاعتي طاعة اللّه»[[448]](#footnote-448).

«من ظلم عليّا مقعدي هذا بعد وفاتي، فكأنّما جحد نبوّتي، و نبوّة الأنبياء قبلي»[[449]](#footnote-449).

ص:231=PAGEص:

فضل عليّ (عليه السّلام):

«لو لا أنّني أشفق أن تقول فيك طوائف ما قالت النصارى في عيسى بن مريم، لقلت فيك اليوم مقالا، لا تمرّ بملأ منهم إلّا أخذوا التراب من تحت قدميك‏[[450]](#footnote-450).

الأئمة بعد رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله):

«الأئمة بعدي من عترتي بعدد نقباء بني إسرائيل، و حواريي عيسى، من أحبهم فهو مؤمن و من أبغضهم فهو منافق، هم حجج اللّه في خلقه و أعلامه في بريّته»[[451]](#footnote-451).

أئمة الحق:

«يا علي! أنت الإمام و الخليفة بعدي، و أنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضيت فابنك الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى الحسن فالحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى الحسين فابنه عليّ بن الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى عليّ فابنه محمّد أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى محمّد فابنه جعفر أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى جعفر فابنه موسى أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى موسى فابنه عليّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى علي فابنه محمد أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى محمد فابنه عليّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى عليّ فابنه الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى الحسن فالقائم المهدي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، يفتح اللّه به مشارق الأرض و مغاربها، فهم أئمة الحق، و ألسنة الصدق، منصور من‏

ص:232=PAGEص:

نصرهم، مخذول من خذلهم»[[452]](#footnote-452).

النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) يبشّر بالمهديّ (عليه السّلام):

روى أحمد عن النبي (صلّى اللّه عليه و اله)، أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلما و عدوانا ثمّ يخرج من عترتي من يملأها قسطا و عدلا ...»[[453]](#footnote-453).

و جاء عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه قال: دفع النبي (صلّى اللّه عليه و اله) الراية يوم خيبر الى علي ففتح اللّه على يده ثم في غدير خم أعلم الناس أنه مولى كل مؤمن و مؤمنة. و ساق الحديث و ذكر شيئا من فضائل علي و فاطمة و الحسن و الحسين الى أن قال: «أخبرني جبرئيل أنهم يظلمون بعدي و أنّ ذلك الظلم يبقى حتى اذا قام قائمهم و علت كلمتهم و اجتمعت الامة على محبتهم و كان الشانئ لهم قليلا و الكاره لهم ذليلا و كثر المادح لهم و ذلك حين تغيّر البلاد و ضعف العباد و اليأس من الفرج فعند ذلك يظهر القائم المهدي من ولدي بقوم يظهر اللّه الحق بهم و يخمد الباطل بأسيافهم- الى أن قال- «معاشر الناس أبشروا بالفرج فإن وعد اللّه حق لا يخلف، و قضاءه لا يرد و هو الحكيم الخبير و ان فتح اللّه قريب»[[454]](#footnote-454).

و عن ام سلمة أنها قالت: سمعت رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) يقول: «المهدي من عترتي من ولد فاطمة»[[455]](#footnote-455).

ص:233=PAGEص:

و جاء عن حذيفة بن اليمان أنه قال: خطبنا رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) فذكر لنا ما هو كائن الى يوم القيامة ثم قال: لو لم يبق من الدنيا الّا يوم واحد لطوّل اللّه عزّ و جلّ ذلك اليوم حتى يبعث اللّه رجلا من ولدي اسمه اسمي، فقام سلمان و قال: يا رسول اللّه إنه من أي ولدك؟ قال: هو من ولدي هذا و ضرب بيده على الحسين‏[[456]](#footnote-456).

4- اصول التشريع الاسلامي في تراث الرسول الأعظم (صلّى اللّه عليه و اله)[[457]](#footnote-457)

الف- خصائص الاسلام:

1- الإسلام يعلو و لا يعلى عليه.

2- الإسلام يجبّ ما قبله.

3- الناس في سعة ما لم يعلموا.

4- رفع عن امتّي الخطأ و النسيان و ما استكرهوا عليه.

5- رفع القلم عن ثلاثة: الصبي و المجنون و النائم.

ب- العلم و مسؤولية العلماء:

1- من مات و لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة.

2- من قال في القرآن بغير علم فليتبوّأ مقعده من النار.

3- من سئل عن علم فكتمه ألجمه اللّه بلجام من نار.

4- من أفتى بما لا يعلم لعنته ملائكة السماء و الأرض.

5- كل مفت ضامن.

6- كل بدعة ضلالة و كل ضلالة سببها الى النار.

7- من يرد اللّه به خيرا يفقّهه في الدين.

ص:234=PAGEص:

8- تعلّموا الفرائض و علّموها الناس فإنها نصف العلم.

9- إذا أتاكم عني حديث فاعرضوه على كتاب اللّه فما وافقه فاقبلوه و ما خالفه فاضربوا به عرض الحائط.

10- إذا ظهرت البدعة فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل فعليه لعنة اللّه.

ج- قواعد عامة للسلوك الاسلامي:

1- لا رهبانية في الإسلام.

2- لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

3- لا دين لمن لا تقيّة له.

4- لا خير في النوافل إذا أضرّت بالفرائض.

5- في كل أمر مشكل القرعة.

6- إنّما الأعمال بالنّيات.

7- نيّة المرء أبلغ من عمله.

8- أفضل الأعمال أحمزها.

9- من دان بدين قوم لزمه حكمهم.

10- من سنّ سنّة حسنة كان له أجرها و أجر العامل بها إلى يوم القيامة و من سنّ سنّة سيّئة كان عليه وزرها و وزر العامل بها إلى يوم القيامة.

د- خطوط عامة في القضاء و المحاكمات:

1- إذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر و إن أصاب فله أجران.

2- إقرار العقلاء على أنفسهم جائز.

3- البيّنة على المدّعي و اليمين على من أنكر.

4- لا يمين إلّا باللّه.

ص:235=PAGEص:

5- ادرؤا الحدود بالشبهات.

6- من قتل دون ماله فهو شهيد.

7- على اليد ما أخذت حتى تؤدّي.

8- جناية العجماوات جبار.

9- لا يؤاخذ الرجل بجريرة ابنه، و لا ابن بجريرة أبيه.

10- الناس مسلّطون على أموالهم.

ه- العبادات في خطوطها العريضة:

1- إنّ عمود الدين الصلاة.

2- خذوا عني مناسككم.

3- صلّوا كما رأيتموني اصلّي.

4- زكّوا أموالكم تقبل صلاتكم.

5- زكاة الفطرة على كل ذكر و انثى.

6- جعلت لي الأرض مسجدا و ترابها طهورا.

7- جنّبوا مساجدكم بيعكم و شراءكم و خصوماتكم.

8- سياحة امتي الصوم.

9- كل معروف صدقة.

10- أفضل الجهاد كلمة حق بين يدي سلطان جائر.

و- من اصول النظام العائلي:

1- النكاح سنّتي فمن رغب عن سنّتي فليس منّي.

2- تناكحوا تناسلوا فإني اباهي بكم الامم يوم القيامة.

ص:236=PAGEص:

3- تزوّجوا و لا تطلّقوا فإنّ الطلاق يهتزّ منه عرش الرحمن.

4- تخيّروا لنطفكم، فانكحوا الأكفاء و أنكحوا إليهم.

5- الولد للفراش و للعاهر الحجر.

6- جهاد المرأة حسن التّبعّل لزوجها.

7- ليس على النساء جمعة و لا جماعة و لا أذان و لا إقامة و لا عيادة مريض و لا هرولة بين الصفا و المروة و لا جهاد و لا استلام الحجر و لا تولّي القضاء و لا الحلق.

8- المتلاعنان لا يجتمعان أبدا.

9- قذف المحصنة يحبط عمل مئة سخينة.

10- الرضاع ما أنبت اللحم و شدّ العظم.

11- علّموا أولادكم السباحة و الرمي.

12- من كان عنده صبيّ فليتصابّ له.

ز- نقاط مضيئة من النظام الاقتصادي الاسلامي:

1- العبادة سبعة أجزاء أفضلها طلب الحلال.

2- الفقه ثم المتجر.

3- ملعون من ألقى كلّه على الناس.

4- ابدأ بمن تعول.

5- اعطوا الأجير أجره قبل أن يجفّ عرقه.

6- على كل ذي كبد حرّى أجر.

7- المسلمون عند شروطهم.

8- المسلم أحق بماله أينما وجده.

9- الوقوف على حسب ما يوقفها أهلها.

ص:237=PAGEص:

10- لا يحل مال امرئ مسلم إلّا عن طيب نفسه منه.

11- الكفن ثم الدّين ثم الوصية ثم الميراث.

12- الصلح جائز بين المسلمين إلّا ما أحلّ حراما أو حرّم حلالا.

13- مطل الموسر المسلم ظلم للمسلم.

14- البيّعان بالخيار ما داما في المجلس.

15- شرّ المكاسب الرّبا.

16- لا ينتفع من الميتة بإهاب و لا عصب.

ح- من اصول التعايش الاجتماعي:

1- قتال المؤمن كفر و أكل لحمه معصية.

2- حرمة المؤمن ميّتا كحرمته حيّا.

3- كرامة الميت تعجيله في التجهيز.

4- المؤمنون إخوة تتكافأ دماؤهم و يسعى بذمّتهم أدناهم و هم يد على من سواهم.

5- الولاء للعتق.

6- الولاء لحمة كلحمة النسب.

7- سباب المؤمن فسوق.

8- كل مسكر حرام.

9- ما اسكر كثيره فالجرعة منه حرام.

10- عذاب القبر من النميمة و الغيبة و الكذب.

11- لا غيبة لفاسق.

12- حرّم لباس الذهب على ذكور امّتي و حلّ لإناثهم.

ص:238=PAGEص:

5- من جوامع الكلم في تراث الرسول الأعظم (صلّى اللّه عليه و اله):

1- إنّما بعثت لاتمّم مكارم الأخلاق.

2- أنا مدينة العلم و عليّ بابها.

3- أحبّ الأعمال إلى اللّه أدومها و إن قلّ.

4- إذا عمل أحدكم عملا فليتقن.

5- الايمان نصفان: نصف في الصبر و نصف في الشكر.

6- استعينوا على اموركم بالكتمان.

7- الأمانة تجلب الرزق و الخيانة تجلب الفقر.

8- الأيدي ثلاثة: سائلة و منفقة و ممسكة، فخير الأيادي المنفقة.

9- إذا ساد القوم فاسقهم و كان زعيم القوم أذلّهم و أكرم الرجل الفاسق فلينتظر البلاء.

10- أعجل الشر عقوبة البغي.

11- ألا إنّ شرار امّتي الذين يكرمون مخافة شرّهم. ألا و من أكرمه الناس اتّقاء شرّه فليس منيّ.

12- بالبرّ يستعبد الحرّ.

13- بشّروا و لا تنفّروا.

14- بادر بأربع قبل أربع: شبابك قبل هرمك و صحّتك قبل سقمك و غناك قبل فقرك و حياتك قبل موتك.

15- ثلاث من مكارم الأخلاق في الدنيا و الآخرة: أن تعفو عمّن ظلمك و تصل من قطعك و تحلم على من جهل عليك.

16- ثلاث تخرق الحجب و تنتهي الى ما بين يدي اللّه: صرير أقلام العلماء و وطئ المجاهدين و صوت مغازل المحصنات.

ص:239=PAGEص:

17- ثلاث تقسي القلب: استماع اللهو، و طلب الصيد و اتيان باب السلطان.

18- جبلت القلوب على: حب من أحسن إليها، و بغض من أساء إليها.

19- حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا.

20- حب الدنيا رأس كل خطيئة.

21- الحكمة ضالة المؤمن. رأس الحكمة مخافة اللّه.

22- حفت الجنة بالمكاره و حفّت النار بالشهوات.

23- حسّنوا أخلاقكم و الطفوا بجيرانكم و اكرموا نساءكم تدخلوا الجنة بغير حساب، داووا أمراضكم بالصدقة.

24- رأس العقل بعد الايمان باللّه مداراة الناس في غير ترك حق.

25- سادة الناس في الدنيا الأسخياء، سادة الناس في الآخرة الأتقياء. السعيد من وعظ بغيره.

26- شر الناس من باع آخرته بدنياه، و شر من ذلك من باع آخرته بدنيا غيره.

27- طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس.

28- عليك بالجماعة فإن الذئب يأخذ القاصية.

29- عليكم بالاقتصاد فما افتقر قوم اقتصدوا.

30- عجبت لمن يحتمي من الطعام مخافة الداء، كيف لا يحتمي من الذنوب مخافة النار.

31- عزّ المؤمن استغناؤه عن الناس.

32- عد من لا يعودك، و اهد لمن لم يهد إليك.

33- الغني غني النفس.

34- كن عالما أو متعلّما أو مستمعا أو محبّا، و لا تكن الخامس فتهلك.

35- لا مال أعود من العقل.

ص:240=PAGEص:

36- لا فقر أشدّ من الجهل.

37- لا عقل كالتدبير.

38- ليس منّا من غشّ مسلما أو ضرّه أو ماكره.

39- من المروءة إصلاح المال.

40- من أحبّ عمل قوم أشرك معهم في عملهم.

41- من أحب قوما حشر معهم.

42- من عمل بما علم ورّثه اللّه ما لم يعلم.

43- من أعان ظالما على ظلمه سلّطه اللّه عليه.

44- من يصلح ما بينه و بين اللّه يصلح اللّه ما بينه و بين الناس.

45- من لا يرحم لا يرحم.

46- من غشّ غشّ.

47- من تساوى يوماه فهو مغبون.

48- ما عال من اقتصد

49- المؤمن من أمن الناس من يده و لسانه.

50- المسلم من سلم الناس من أذاه.

51- المجالس بالأمانة.

52- المسلم مرآة لأخيه المسلم.

53- المسلم أخو المسلم لا يظلمه و لا يثلمه.

54- المستشار مؤتمن.

55- ما هلك امرؤ عرف قدر نفسه.

56- من تفاقر افتقر.

57- من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح.

ص:241=PAGEص:

58- من أذاع فاحشة كان كمبدئها.

59- و من عيّر مؤمنا بشي‏ء لم يمت حتى يركبه.

60- من عدّ غدا من أجله فقد أساء صحبة الموت.

61- من أرضى سلطانا بما يسخط اللّه خرج من دين اللّه.

62- مداراة الناس نصف الايمان و الرفق بهم نصف العيش.

63- يسّروا و لا تعسّروا.

64- يطبع المؤمن على كل خصلة و لا يطبع على الكذب و لا على الخيانة.

6- نماذج من ادعيته الشريفة (صلّى اللّه عليه و اله)

ألف- من دعائه في شهر رمضان بعد المكتوبة: «اللهم أدخل على أهل القبور السرور، اللهم أغن كل فقير، اللهم أشبع كل جائع، اللهم اكس كل عريان، اللهم اقض دين كل مدين، اللهم فرج عن كل مكروب، اللهم رد كل غريب، اللهم فك كل أسير، اللهم أصلح كل فاسد من امور المسلمين، اللهم اشف كل مريض، اللهم سدّ فقرنا بغناك، اللهم غيّر سوء حالنا بحسن حالك، اللهم اقض عنا الدين و أغننا من الفقر إنّك على كل شي‏ء قدير».

ب- دعاؤه (صلّى اللّه عليه و اله) يوم بدر: «اللهم أنت ثقتي في كل كرب، و أنت رجائي في كل شدّة، و أنت لي في كل أمر نزل بي ثقة و عدّة، كم من كرب يضعف عنه الفؤاد و تقلّ فيه الحيلة، و يخذل فيه القريب، و يشمت به العدو، و تعييني فيه الأمور، أنزلته بك و شكوته اليك راغبا فيه اليك عمن سواك ففرّجته و كشفته عني و كفيتنيه، فأنت ولي كل نعمة، و صاحب كل حاجة، و منتهى كل رغبة، فلك الحمد كثيرا و لك المنّ فاضلا».

ج- دعاؤه (صلّى اللّه عليه و اله) يوم الأحزاب: «يا صريخ المكروبين و يا مجيب دعوة المضطرين اكشف عني همي و غمي و كربي فإنّك تعلم حالي و حال أصحابي فاكفني حول عدوي فإنه‏

ص:242=PAGEص:

لا يكشف ذلك غيرك».

د- دعاء علّمه (صلّى اللّه عليه و اله) لبعض أصحابه يتّقي به شرّ العدو:

ذكر ابن طاوس في مهج الدعوات هذا الدعاء كما يلي:

«يا سامع كل صوت، يا محيي النفوس بعد الموت، يا من لا يعجل لأنه لا يخاف الفوت، يا دائم الثبات، يا مخرج النبات يا محيي العظام الرميم الدارسات. بسم اللّه، اعتصمت باللّه و توكلت على الحي الذي لا يموت، و رميت كل من يؤذيني بلا حول و لا قوة إلّا باللّه العلي العظيم».

ه- دعاؤه (صلّى اللّه عليه و اله) لقضاء الدين علّمه علي بن أبي طالب (عليه السّلام):

«اللهم اغنني بحلالك عن حرامك و بفضلك عمن سواك».

و- دعاؤه (صلّى اللّه عليه و اله) إذا وضعت المائدة بين يديه:

كان رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) إذا وضعت المائدة بين يديه قال:

«سبحانك اللهم ما أحسن ما تبتلينا، سبحانك اللهم ما أكثر ما تعطينا، سبحانك اللهم ما أكثر ما تعافينا، اللهم أوسع علينا و على فقراء المؤمنين و المسلمين»[[458]](#footnote-458).

و آخر دعوانا أن الحمد للّه ربّ العالمين‏

ص:243=PAGEص:

الفهرس التفصيلي‏

فهرس اجمالي 5

مقدمة المجمع 7

الباب الأول‏

المدخل: المنهج القرآني في عرض و دراسة التاريخ و السيرة 17

الفصل الأوّل: النبيّ الخاتم (صلّى اللّه عليه و اله) في سطور 25

الفصل الثاني: سنّة البشارة على مدى العصور 31

الفصل الثالث: مظاهر من شخصية خاتم النبيين (صلّى اللّه عليه و اله) 39

الباب الثاني‏

الفصل الأول: دور الولادة و النشأة 51

1- ملامح انهيار المجتمع الوثني 51

2- إيمان آباء النبي (صلّى اللّه عليه و اله) 52

3- مولد الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) 53

4- رضاعه الميمون 55

5- الاستسقاء بالنبي (صلّى اللّه عليه و اله) 57

6- مع امّه آمنة 58

7- مع جدّه (صلّى اللّه عليه و اله) عبد المطّلب 59

الفصل الثاني: دور الفتوّة و الشباب 61

1- كفالة أبي طالب للنبي (صلّى اللّه عليه و اله) 61

2- السفرة الاولى الى الشام 62

ص:244=PAGEص:

3- رعي الغنم 62

4- حروب الفجار 63

5- حلف الفضول 64

6- التجارة بأموال خديجة 65

الفصل الثالث: من الزواج الى البعثة 67

1- الزواج المبارك 67

2- إعادة وضع الحجر الاسود 70

3- ولادة علي (عليه السّلام) و تربية النبي (صلّى اللّه عليه و اله) له 71

4- ملامح من شخصية خاتم الأنبياء (صلّى اللّه عليه و اله) قبل البعثة 73

الباب الثالث‏

الفصل الأول: البعثة النبوية المباركة و ارهاصاتها 77

الفصل الثاني: مراحل حركة الرسالة في العصر المكّي 87

1- بناء الخلية الإيمانية الاولى 87

2- أدوار العصر المكي 88

3- دور إعداد القاعدة الاولى 88

4- دور المواجهة الاولى و إنذار الأقربين 90

5- دور المواجهة الشاملة 91

الفصل الثالث: موقف بني هاشم من النبي (صلّى اللّه عليه و اله) 93

1- دفاع أبي طالب (عليه السّلام) عن الرسالة و الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) 93

2- موقف قريش من الرسالة و الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) 95

3- الكفر يأبى الانصياع لصوت العقل 96

4- الاتهام بالسحر 97

ص:245=PAGEص:

5- التعذيب وسيلة لقمع المؤمنين 98

6- الهجرة الى الحبشة لايجاد قاعدة آمنة 100

7- الحصار الظالم و موقف بني هاشم 102

8- عام الحزن 103

9- الاسراء و المعراج 104

الفصل الرابع: سنوات الانفراج حتى الهجرة 107

1- الطائف ترفض الرسالة الإسلامية 107

2- الانفتاح على الرسالة و معوّقاتها في مكة 109

3- بيعة العقبة الاولى 110

4- بيعة العقبة الثانية 112

5- الاستعداد للهجرة الى يثرب 114

6- المؤاخاة قبل الهجرة 116

الباب الرابع‏

الفصل الأول: تأسيس الدولة الإسلامية الاولى 119

1- الهجرة الى يثرب 119

2- بناء المسجد النبوي 122

3- المؤاخاة بين المهاجرين و الأنصار 123

4- معاهدة المدينة 125

5- النفاق و بدايات الاستقرار في المدينة 127

6- تحويل القبلة الى الكعبة 128

7- بدايات الصراع العسكري 128

ص:246=PAGEص:

الفصل الثاني: الدفاع عن كيان الدولة الفتيّة 131

1- غزوة بدر الكبرى 131

2- اهتمام النبي (صلّى اللّه عليه و اله) بزواج الزهراء (عليها السّلام) 136

3- الصدام المباشر مع اليهود و إجلاء بني قينقاع 138

4- ردود فعل قريش بعد انتصارات المسلمين 139

5- غزوة احد 140

6- محاولات الغدر بالمسلمين 145

7- غزوة بني النضير 146

8- مناوشات عسكرية بعد احد 147

9- غزوة بني المصطلق و دور النفاق 148

10- إبطال أعراف جاهلية 150

الفصل الثالث: تظاهر قوى الشرك و الرد الإلهي الحاسم 153

1- تحالف قوى الشرك و غزوة الخندق 153

2- الضغط على المسلمين 155

3- هزيمة العدو 155

4- غزوة بني قريظة و تصفية يهود المدينة 156

الباب الخامس‏

الفصل الأول: مرحلة الفتح 161

1- صلح الحديبية 161

2- انطلاقة الرسالة الاسلامية الى خارج المدينة 166

3- غزوة خيبر 167

4- محاولة اغتيال النبي (صلّى اللّه عليه و اله) 169

ص:247=PAGEص:

5- استسلام أهالي فدك 169

6- عمرة القضاء 170

الفصل الثاني: الاسلام خارج الجزيرة 173

1- معركة مؤتة 173

2- فتح مكة 174

3- غزوة حنين و حصار الطائف 181

4- غزوة تبوك 185

5- مسجد ضرار 189

6- عام الوفود 190

7- وفاة إبراهيم 191

الفصل الثالث: تصفية الوجود الوثني داخل الجزيرة 193

1- إعلان البراءة من المشركين 193

2- مباهلة نصارى نجران 194

3- حجة الوداع 196

4- تعيين الوصي 199

5- ظهور المتنبّئين 201

6- التعبئة العامة لغزو الروم 203

الفصل الرابع: أيّام الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) الأخيرة 205

1- الحيلولة دون كتابة الوصية 205

2- الزهراء (عليها السّلام) تزور أباها (صلّى اللّه عليه و اله) 206

3- اللحظات الأخيرة من عمر النبي (صلّى اللّه عليه و اله) 207

4- وفاة النبي (صلّى اللّه عليه و اله) و مراسم دفنه 208

ص:248=PAGEص:

الفصل الخامس: من معالم الرسالة الاسلامية الخاتمة 211

1- بما ذا بعث النبي محمّد (صلّى اللّه عليه و اله)؟ 211

2- سهولة الشريعة الاسلامية 212

3- سموّ التعاليم الاسلامية 212

4- القرآن الكريم 214

5- الواجبات و المحرّمات في الشريعة الاسلامية 215

الفصل السادس: تراث خاتم المرسلين (صلّى اللّه عليه و اله) 217

نماذج من تراث سيّد المرسلين (صلّى اللّه عليه و اله) 223

1- العقل و العلم 223

2- مصادر التشريع 225

3- اصول العقيدة الاسلامية 228

4- اصول التشريع الاسلامي 233

5- من جوامع كلم الرسول الأعظم (صلّى اللّه عليه و اله) 238

6- من أدعيته الشريفة 241

الفهرس التفصيلي 243

\*\*\*[[459]](#footnote-459)

1. ( 1) الاعراف( 7): 176. [↑](#footnote-ref-1)
2. ( 1) يوسف( 12): 111. [↑](#footnote-ref-2)
3. ( 2) يوسف( 12): 111. [↑](#footnote-ref-3)
4. ( 3) هود( 11): 120. [↑](#footnote-ref-4)
5. ( 1) آل عمران( 3): 62. [↑](#footnote-ref-5)
6. ( 2) الاعراف( 7): 7. [↑](#footnote-ref-6)
7. ( 3) آل عمران( 3): 19. [↑](#footnote-ref-7)
8. ( 1) آل عمران( 3): 7- 8. [↑](#footnote-ref-8)
9. ( 2) هود( 11): 1. [↑](#footnote-ref-9)
10. ( 1) آل عمران( 3): 7. [↑](#footnote-ref-10)
11. ( 1) الانعام( 6): 57. [↑](#footnote-ref-11)
12. ( 2) يوسف( 12): 108. [↑](#footnote-ref-12)
13. ( 3) يونس( 10): 35. [↑](#footnote-ref-13)
14. ( 1) البقرة( 2): 213. [↑](#footnote-ref-14)
15. ( 1) حركة التاريخ عند الإمام علي( عليه السّلام): 71- 73. [↑](#footnote-ref-15)
16. ( 2) أخذ عليهم الميثاق أن يبلّغوا ما أوحي إليهم، أو أخذ عليهم أن لا يشرّعوا للناس إلّا ما يوحى إليهم. [↑](#footnote-ref-16)
17. ( 3) عهد اللّه الى الناس: هو ما يعبر عنه بميثاق الفطرة. [↑](#footnote-ref-17)
18. ( 4) الأنداد: المعبودين من دونه سبحانه و تعالى. [↑](#footnote-ref-18)
19. ( 5) اجتالتهم: صرفتهم عن قصدهم الذي وجّهوا إليه بالهداية المغروزة في فطرهم. [↑](#footnote-ref-19)
20. ( 6) كأن اللّه تعالى بما أودع في الإنسان من الغرائز و القوى، و بما أقام له من الشواهد و أدلة الهدى، قد أخذ عليه ميثاقا بأن يصرف ما أوتي من ذلك فيما خلق له، و قد كان يعمل على ذلك الميثاق و لا ينقضه لو لا ما اعترضه من وساوس الشهوات، فبعث النبيين ليطلبوا من الناس أداء ذلك الميثاق. [↑](#footnote-ref-20)
21. ( 7) دفائن العقول: أنوار العرفان التي تكشف للإنسان أسرار الكائنات، و ترتفع به الى الإيقان بصانع-- الموجودات، و قد يحجب هذه الأنوار غيوم من الأوهام و حجب من الخيال، فيأتي النبيون لإثارة تلك المعارف الكامنة، و إبراز تلك الأسرار الباطنة. [↑](#footnote-ref-21)
22. ( 1) السقف المرفوع: السماء. و المهاد الموضوع: الأرض. و الأوصاب: المتاعب. [↑](#footnote-ref-22)
23. ( 2) المحجة: الطريق القويمة الواضحة. [↑](#footnote-ref-23)
24. ( 3) من سابق بيان للرسل، و كثير من الأنبياء السابقين سميت لهم الأنبياء الذين يأتون بعدهم فبشروا بهم، كما ترى ذلك في التوراة. و الغابر: الذي يأتي بعد أن يشير به السابق جاء معروفا بتعريف من قبله. [↑](#footnote-ref-24)
25. ( 4) مضت متتابعة. [↑](#footnote-ref-25)
26. ( 5) الضمير في عدته للّه تعالى: لأن اللّه وعد بإرسال محمد( صلّى اللّه عليه و اله) على لسان أنبيائه السابقين. و كذلك الضمير في نبوته: لأنّ اللّه تعالى أنبأ به، و أنّه سيبعث وحيا لأنبيائه. فهذا الخبر الغيبي قبل حصوله يسمى نبوة. و لما كان اللّه هو المخبر به أضيفت النبوة إليه. [↑](#footnote-ref-26)
27. ( 6) سماته: علاماته التي ذكرت في كتب الأنبياء السابقين الذين بشّروا به. [↑](#footnote-ref-27)
28. ( 7) الملحد في إسم اللّه: الذي يميل به عن حقيقة مسمّاه فيعتقد في اللّه صفات يجب تنزيهه عنها. و المشير الى غيره، الذي يشرك معه في التصرّف إلها آخر فيعبده و يستعين به. [↑](#footnote-ref-28)
29. ( 1) أي أنّ الأنبياء لم يهملوا أممهم مما يرشدهم بعد موت أنبيائهم، و قد كان من محمد( صلّى اللّه عليه و اله) مثل ما كان منهم، فإنّه خلّف في أمته كتاب اللّه تعالى حاويا لجميع ما يحتاجون اليه في دينهم، كما خلّف أهل بيته المعصومين و جعلهم قرناء للكتاب المجيد كما صرّح بذلك في حديث الثقلين الذي تواتر عنه( صلّى اللّه عليه و اله) و رواه جمع غفير من المحدثين. [↑](#footnote-ref-29)
30. ( 2) محمد في القرآن: 36- 37. [↑](#footnote-ref-30)
31. ( 1) البقرة( 2): 129. [↑](#footnote-ref-31)
32. ( 2) الاعراف( 7): 157. [↑](#footnote-ref-32)
33. ( 1) الانعام( 6): 20. [↑](#footnote-ref-33)
34. ( 2) سيرة رسول اللّه: 1/ 38- 39. [↑](#footnote-ref-34)
35. ( 3) البقرة( 2): 89. [↑](#footnote-ref-35)
36. ( 4) أشعة البيت النبوي: 1/ 70، عن الاغاني: 16/ 75، تاريخ اليعقوبي: 2/ 12، حياة نبي الاسلام: 23، عن سيرة ابن هشام: 1/ 181، و اعلام الورى: 26. [↑](#footnote-ref-36)
37. ( 5) راجع ما جاء في شأن نزول سورة الكهف. [↑](#footnote-ref-37)
38. ( 6) المائدة( 5): 83. [↑](#footnote-ref-38)
39. ( 7) سيرة رسول اللّه و أهل بيته: 1/ 39، انجيل يوحنّا و اشعة البيت النبوي: 1/ 70، عن التوراة و راجع:

    بشارات عهدين، و البشارات و المقارنات. [↑](#footnote-ref-39)
40. ( 1) راجع كتب السيرة النبويّة و التفسير حيث تضمّنت جملة من هذه البشائر. [↑](#footnote-ref-40)
41. ( 2) لاحظ الخطبة الاولى من نهج البلاغة. [↑](#footnote-ref-41)
42. ( 3) الطبقات الكبرى: 1/ 363. [↑](#footnote-ref-42)
43. ( 1) النحل( 16): 103. [↑](#footnote-ref-43)
44. ( 2) العنكبوت( 29): 48. [↑](#footnote-ref-44)
45. ( 3) الجمعة( 62): 2. [↑](#footnote-ref-45)
46. ( 1) الاعراف( 7): 158. [↑](#footnote-ref-46)
47. ( 2) النساء( 4): 113. [↑](#footnote-ref-47)
48. ( 3) المائدة( 5): 15، الاحزاب( 33): 46، النساء( 4): 174، الفتح( 48): 8، الزخرف( 43): 29، الاعراف( 7): 68، الغاشية( 88): 21، الاسراء( 17): 105، المائدة( 5): 19. [↑](#footnote-ref-48)
49. ( 1) الأنعام( 6): 161- 163. [↑](#footnote-ref-49)
50. ( 2) امالي الطوسي: 2/ 141. [↑](#footnote-ref-50)
51. ( 3) بحار الانوار: 83/ 16. [↑](#footnote-ref-51)
52. ( 4) اخلاق النبي و آدابه: 251. [↑](#footnote-ref-52)
53. ( 5) المصدر السابق: 201. [↑](#footnote-ref-53)
54. ( 6) سنن النبي: 32. [↑](#footnote-ref-54)
55. ( 7) اخلاق النبي: 199، و صحيح البخاري: 1/ 381/ الحديث 1078. [↑](#footnote-ref-55)
56. ( 8) وسائل الشيعة: 4/ 309. [↑](#footnote-ref-56)
57. ( 9) سنن النبي: 300. [↑](#footnote-ref-57)
58. ( 1) الكافي: 4/ 155. [↑](#footnote-ref-58)
59. ( 2) المحجة البيضاء: 2/ 282. [↑](#footnote-ref-59)
60. ( 3) المصدر السابق: 2/ 284. [↑](#footnote-ref-60)
61. ( 4) بحار الانوار: 16/ 217. [↑](#footnote-ref-61)
62. ( 5) المصدر السابق: 16/ 253. [↑](#footnote-ref-62)
63. ( 6) الكافي: 2/ 503. [↑](#footnote-ref-63)
64. ( 7) طه( 20): 1- 2. [↑](#footnote-ref-64)
65. ( 8) الزمر( 39): 36. [↑](#footnote-ref-65)
66. ( 9) الشعراء( 26): 217- 219. [↑](#footnote-ref-66)
67. ( 1) رياض الصالحين( للنووي): 5/ الحديث 78، و صحيح مسلم: 4/ 465. [↑](#footnote-ref-67)
68. ( 2) الاحزاب( 33): 39. [↑](#footnote-ref-68)
69. ( 3) فضائل الخمسة من الصحاح الستة: 1/ 138. [↑](#footnote-ref-69)
70. ( 4) مغازي الواقدي: 1/ 239- 240. [↑](#footnote-ref-70)
71. ( 1) طه( 20): 131. [↑](#footnote-ref-71)
72. ( 2) سنن الترمذي: 4/ 518/ الحديث 2377. [↑](#footnote-ref-72)
73. ( 3) المصدر السابق. [↑](#footnote-ref-73)
74. ( 4) سنن الترمذي: 4/ 501/ الحديث 2360. [↑](#footnote-ref-74)
75. ( 5) صحيح البخاري: 5/ 2371/ الحديث 6090. [↑](#footnote-ref-75)
76. ( 6) صحيح البخاري: 3/ 1068/ الحديث 2759. [↑](#footnote-ref-76)
77. ( 1) الطبقات( لابن سعد): 1/ 400. [↑](#footnote-ref-77)
78. ( 2) مسند أحمد: 3/ 582/ الحديث 11887. [↑](#footnote-ref-78)
79. ( 3) صحيح مسلم: 4/ 481/ الحديث 3308، و مسند أحمد: 01/ 598/ الحديث 3415. [↑](#footnote-ref-79)
80. ( 4) سنن الدارمي: 1/ 34. [↑](#footnote-ref-80)
81. ( 1) المعجم الكبير( الطبراني): 12/ 337/ الحديث 13607. [↑](#footnote-ref-81)
82. ( 2) حياة النبي و سيرته: 3/ 311. [↑](#footnote-ref-82)
83. ( 3) حياة النبي و سيرته: 3/ 306. [↑](#footnote-ref-83)
84. ( 4) المصدر: 3/ 307. [↑](#footnote-ref-84)
85. ( 5) صحيح البخاري: 5/ 2260/ الحديث 5738. [↑](#footnote-ref-85)
86. ( 6) محمد في القرآن: 60- 65. [↑](#footnote-ref-86)
87. ( 1) آل عمران( 3): 159. [↑](#footnote-ref-87)
88. ( 2) التوبة( 9): 128. [↑](#footnote-ref-88)
89. ( 3) صحيح البخاري: 3/ 1306/ ألحديث 3369. [↑](#footnote-ref-89)
90. ( 4) مجمع الزوائد: 9/ 13. [↑](#footnote-ref-90)
91. ( 5) الطبقات( لابن سعد): 1/ 37/ و مجمع الزوائد: 9/ 19. [↑](#footnote-ref-91)
92. ( 6) حياة النبي و سيرته: 3/ 313/ عن ابن سعد. [↑](#footnote-ref-92)
93. ( 7) سنن ابن ماجة: 2/ 1101/ الحديث 3312. [↑](#footnote-ref-93)
94. ( 8) سنن أبي داود: 4/ 358/ الحديث 5230. [↑](#footnote-ref-94)
95. ( 1) سنن الترمذي: 4/ 304/ الحديث 1990. [↑](#footnote-ref-95)
96. ( 2) مسند أحمد: 3/ 80. [↑](#footnote-ref-96)
97. ( 3) الطبقات( لابن سعد): 1/ 240. [↑](#footnote-ref-97)
98. ( 4) الدر المنثور: 2/ 359، و المواهب اللدنيّة: 2/ 331. [↑](#footnote-ref-98)
99. ( 5) سنن الترمذي: 4/ 499/ الحديث 2352. [↑](#footnote-ref-99)
100. ( 1) راجع السيرة النبوية: 1/ 225. [↑](#footnote-ref-100)
101. ( 2) بحار الأنوار: 15/ 231، و راجع السيرة النبوية: 1/ 211، البقرة: 2/ 89. [↑](#footnote-ref-101)
102. ( 3) السيرة النبوية: 1/ 43- 62، الكامل في التأريخ: 1/ 260، بحار الانوار: 5/ 130. [↑](#footnote-ref-102)
103. ( 4) السيرة الحلبية: 1/ 182، الملل و النحل للشهرستاني: 2/ 248. [↑](#footnote-ref-103)
104. ( 5) سيرة زيني دحلان بهامش السيرة الحلبية: 1/ 64، و راجع تاريخ اليعقوبي: 2/ 10. [↑](#footnote-ref-104)
105. ( 1) السيرة النبوية: 1/ 979، تاريخ ابن عساكر: 1/ 69، مجمع البيان: 7/ 37، مستدرك الحاكم: 2/ 623، الطبقات الكبرى: 1/ 168، السيرة الحلبية: 1/ 189، اصول الكافي: 1/ 448، الغدير: 7/ 345. [↑](#footnote-ref-105)
106. ( 2) سيرة زيني دحلان بهامش السيرة الحلبية: 1/ 58، و راجع أوائل المقالات للشيخ المفيد: 12 و 13. [↑](#footnote-ref-106)
107. ( 1) نهج البلاغة: الخطبة( 89). [↑](#footnote-ref-107)
108. ( 2) راجع، إمتاع الأسماع: 3 حيث تجد جميع الأقوال المذكورة حول يوم ميلاد النبي( صلّى اللّه عليه و اله). [↑](#footnote-ref-108)
109. ( 3) تاريخ اليعقوبي: 2/ 8، السيرة الحلبية: 1/ 92. [↑](#footnote-ref-109)
110. ( 4) السيرة الحلبية: 1/ 128. [↑](#footnote-ref-110)
111. ( 1) الصف( 61): 6، راجع السيرة الحلبية: 1/ 79. [↑](#footnote-ref-111)
112. گروه مؤلفان، أعلام الهداية - قم، چاپ: دوم، 1425 ه.ق. [↑](#footnote-ref-112)
113. ( 1) السيرة الحلبية: 1/ 146. [↑](#footnote-ref-113)
114. ( 2) الصحيح من سيرة النبي الأعظم( صلّى اللّه عليه و اله): 1/ 81، السيرة الحلبية: 1/ 81. [↑](#footnote-ref-114)
115. ( 3) بحار الانوار: 15/ 342. [↑](#footnote-ref-115)
116. ( 4) السيرة الحلبية: 1/ 147. [↑](#footnote-ref-116)
117. ( 5) بحار الانوار: 15/ 345، المناقب لابن شهرآشوب: 1/ 24، و راجع السيرة الحلبية: 1/ 149. [↑](#footnote-ref-117)
118. ( 1) السيرة النبوية: 1/ 167، بحار الانوار: 15/ 401، السيرة الحلبية: 1/ 155. [↑](#footnote-ref-118)
119. ( 2) الملل و النحل: 2/ 248، و راجع السيرة الحلبية: 1/ 182- 183. [↑](#footnote-ref-119)
120. ( 3) السيرة الحلبية: 1/ 331. [↑](#footnote-ref-120)
121. ( 1) السيرة الحلبية: 1/ 190، البداية و النهاية: 3/ 52، بحار الأنوار: 8/ 2. [↑](#footnote-ref-121)
122. ( 1) السيرة الحلبية: 1/ 105. [↑](#footnote-ref-122)
123. ( 2) السيرة النبوية: 1/ 168. [↑](#footnote-ref-123)
124. ( 3) مجمع البيان: 5/ 333 تفسير مطلع سورة القلم. [↑](#footnote-ref-124)
125. ( 1) تاريخ اليعقوبي: 2/ 10. [↑](#footnote-ref-125)
126. ( 1) مناقب آل أبي طالب: 1/ 35، تاريخ اليعقوبي: 2/ 14. [↑](#footnote-ref-126)
127. ( 1) سيرة ابن هشام: 1/ 194، الصحيح من سيرة النبي: 1/ 91- 94. [↑](#footnote-ref-127)
128. ( 1) علل الشرائع: ص 23، سفينة البحار: مادة نبأ. [↑](#footnote-ref-128)
129. ( 2) تاريخ اليعقوبي: 2/ 21، البداية و النهاية: 2/ 296. [↑](#footnote-ref-129)
130. ( 3) صحيح البخاري: كتاب الاجارة، الباب 303، الحديث رقم 499. [↑](#footnote-ref-130)
131. ( 4) القلم: 68/ 4. [↑](#footnote-ref-131)
132. ( 5) موسوعة التاريخ الإسلامي 1: 301- 305 عن الأغاني 19: 74- 80. [↑](#footnote-ref-132)
133. ( 1) تاريخ اليعقوبي: 2/ 15. [↑](#footnote-ref-133)
134. ( 2) تاريخ اليعقوبي: 2/ 15. [↑](#footnote-ref-134)
135. ( 3) راجع موسوعة التاريخ الاسلامي: 1/ 304. [↑](#footnote-ref-135)
136. ( 4 و 5) السيرة النبوية لزيني دحلان: 1/ 251، السيرة الحلبية: 1/ 127. [↑](#footnote-ref-136)
137. ( 4 و 5) السيرة النبوية لزيني دحلان: 1/ 251، السيرة الحلبية: 1/ 127. [↑](#footnote-ref-137)
138. ( 6) تاريخ اليعقوبي: 2/ 16. [↑](#footnote-ref-138)
139. ( 7) راجع الصحيح في السيرة: 1/ 95. [↑](#footnote-ref-139)
140. ( 1) البداية و النهاية: 3/ 293، و راجع شرح النهج لابن أبي الحديد: 14/ 129 و 283. [↑](#footnote-ref-140)
141. ( 2) تاريخ اليعقوبي: 1/ 17. [↑](#footnote-ref-141)
142. ( 3) سيرة ابن هشام: 1/ 142. [↑](#footnote-ref-142)
143. ( 4) السيرة الحلبية: 1/ 132، البداية و النهاية: 2/ 291. [↑](#footnote-ref-143)
144. ( 1) راجع بحار الانوار: 16/ 22، كشف الغمة: 2/ 134 نقلا عن معالم العترة للجنابذي، و راجع أيضا السيرة الحلبية: 1/ 132. [↑](#footnote-ref-144)
145. ( 2) البداية و النهاية: 2/ 296، السيرة الحلبية: 1/ 136. [↑](#footnote-ref-145)
146. ( 3) تاريخ اليعقوبي: 2/ 21. [↑](#footnote-ref-146)
147. ( 4) بحار الأنوار: 17/ 308. [↑](#footnote-ref-147)
148. ( 1) بحار الأنوار: 16/ 22. [↑](#footnote-ref-148)
149. ( 1) السيرة الحلبية: 1/ 137. [↑](#footnote-ref-149)
150. ( 2) الكافي: 5/ 374، بحار الانوار: 16/ 5 نقلا عن الكشاف و ربيع الابرار، و راجع أيضا السيرة الحلبية:

     1/ 139، تاريخ اليعقوبي: 2/ 20، الأوائل لأبي هلال: 1/ 162. [↑](#footnote-ref-150)
151. ( 1) السيرة النبوية: 1/ 141. [↑](#footnote-ref-151)
152. ( 2) للإطلاع على اختلاف الروايات راجع الاصابة: 3/ 611، السيرة الحلبية: 1/ 140، اسد الغابة:

     5/ 71 و 121. [↑](#footnote-ref-152)
153. ( 3) مناقب آل أبي طالب: 1/ 159. و راجع أيضا أعلام الهداية الجزء 3، و الصحيح من سيرة النبي الأعظم( صلّى اللّه عليه و اله): 1/ 121- 126. [↑](#footnote-ref-153)
154. ( 4) راجع السيرة الحلبية: 1/ 140، البداية و النهاية: 2/ 295، بحار الانوار: 16/ 12، سيرة مغلطاي: 12.-- و الصحيح من سيرة النبي الأعظم( صلّى اللّه عليه و اله): 1/ 126. [↑](#footnote-ref-154)
155. ( 1) راجع تاريخ اليعقوبي: 2/ 19، سيرة ابن هشام: 1/ 204، البداية و النهاية: 2/ 300، تاريخ الطبري: 2/ 37( ط. الاستقامة). [↑](#footnote-ref-155)
156. ( 2) السيرة الحلبية:/ 1/ 145. [↑](#footnote-ref-156)
157. ( 1) قال الحاكم النيسابوري:

     « فقد تواترت الأخبار أن فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرّم اللّه وجهه في جوف الكعبة» المستدرك على الصحيحين: 3/ 483. [↑](#footnote-ref-157)
158. ( 2) الفصول المهمة لإبن الصباغ: 13. [↑](#footnote-ref-158)
159. ( 3) نهج البلاغة: الخطبة القاصعة رقم( 192). [↑](#footnote-ref-159)
160. ( 1) مقاتل الطالبيين: 36، الكامل في التأيخ: 1/ 37. [↑](#footnote-ref-160)
161. ( 2) نهج البلاغة: الخطبة 192، و شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 4/ 315. [↑](#footnote-ref-161)
162. ( 1) نهج البلاغة: الخطبة 192. [↑](#footnote-ref-162)
163. ( 2) السيرة النبوية: 1/ 182، الطبقات الكبرى: 1/ 154. [↑](#footnote-ref-163)
164. ( 3) السيرة الحلبية: 1/ 125، سفينة البحار، مادة نبأ، السيرة النبوية لابن هشام: 1/ 166. [↑](#footnote-ref-164)
165. ( 4) بحار الأنوار: 16/ 22، كشف الغمة: 2/ 13، الكامل في التأريخ: 2/ 24. [↑](#footnote-ref-165)
166. ( 1) الإصابة: 1/ 545، اسد الغابة: 2/ 225. [↑](#footnote-ref-166)
167. ( 2) القلم( 68): 4. [↑](#footnote-ref-167)
168. ( 1) الشورى( 42): 3. [↑](#footnote-ref-168)
169. ( 2) يوسف( 12): 109. [↑](#footnote-ref-169)
170. ( 3) الأنبياء( 21): 25. [↑](#footnote-ref-170)
171. ( 4) الأنبياء( 21): 73. [↑](#footnote-ref-171)
172. ( 1 و 2 و 3) الشورى( 42): 7 و 13 و 15 و 17. [↑](#footnote-ref-172)
173. ( 1 و 2 و 3) الشورى( 42): 7 و 13 و 15 و 17. [↑](#footnote-ref-173)
174. ( 1 و 2 و 3) الشورى( 42): 7 و 13 و 15 و 17. [↑](#footnote-ref-174)
175. ( 4 و 5) الشورى( 42): 24 و 51 و 52. [↑](#footnote-ref-175)
176. ( 4 و 5) الشورى( 42): 24 و 51 و 52. [↑](#footnote-ref-176)
177. ( 1) نهج البلاغة، الخطبة القاصعة: 292. [↑](#footnote-ref-177)
178. ( 2) القلم( 68): 4. [↑](#footnote-ref-178)
179. ( 3) الكافي: 1/ 66/ الحديث 4. [↑](#footnote-ref-179)
180. ( 1) النجم( 53): 1- 11. [↑](#footnote-ref-180)
181. ( 2) الأنعام( 6): 57. [↑](#footnote-ref-181)
182. ( 3) الكهف( 18): 110. [↑](#footnote-ref-182)
183. ( 4) الأنبياء( 21): 45. [↑](#footnote-ref-183)
184. ( 5) الأنبياء( 21): 108. [↑](#footnote-ref-184)
185. ( 6) طه( 20): 114. [↑](#footnote-ref-185)
186. ( 1) سبأ( 34): 50. [↑](#footnote-ref-186)
187. ( 2) يوسف( 12): 108. [↑](#footnote-ref-187)
188. ( 1) مسند أحمد، الحديث رقم: 24681. [↑](#footnote-ref-188)
189. ( 1) تاريخ الطبري: 2/ 201 تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم. ط دار سويدان. بيروت. [↑](#footnote-ref-189)
190. ( 1) الضبع: وسط العضد و في المصدر: بضبعيه. و هزه: حركه. [↑](#footnote-ref-190)
191. ( 2) العلق( 96): 1- 5. [↑](#footnote-ref-191)
192. ( 1) بحار الأنوار: 18/ 207- 208. [↑](#footnote-ref-192)
193. ( 1) السيرة النبوية لابن هشام: 1/ 245 باب ان علي بن أبي طالب رضى اللّه عنه أوّل ذكر أسلم. [↑](#footnote-ref-193)
194. ( 1) اسد الغابة: 4/ 18، حلية الأولياء: 1/ 66، شرح ابن أبي الحديد: 3/ 256، مستدرك الحاكم: 3/ 112. [↑](#footnote-ref-194)
195. ( 2) كما ورد في مطلع سورة المدّثر. [↑](#footnote-ref-195)
196. ( 1) أنساب الاشراف: 1/ 117، السيرة الحلبية: 1/ 456. [↑](#footnote-ref-196)
197. ( 2) السيرة النبوية: 1/ 263 و 282. [↑](#footnote-ref-197)
198. ( 1) السيرة الحلبية: 1/ 283، اسد الغابة: 4/ 44. [↑](#footnote-ref-198)
199. ( 2) الشعراء( 26): 214. [↑](#footnote-ref-199)
200. ( 1) روي هذا الحديث في مصادر عديدة و بألفاظ متقاربة في: تاريخ الطبري: 2/ 404، السيرة الحلبية: 1/ 460، شرح نهج البلاغة: 13/ 210. و راجع أيضا: حياة محمد: 104، لمحمد حسين هيكل، الطبعة الاولى. [↑](#footnote-ref-200)
201. ( 2) الحجر( 15): 94- 95. [↑](#footnote-ref-201)
202. ( 1) المناقب: 1/ 46، تاريخ الطبري: 2/ 403. [↑](#footnote-ref-202)
203. ( 2) سيرة ابن هشام: 1/ 264- 265، تأريخ الطبري: 2/ 406. [↑](#footnote-ref-203)
204. ( 1) تاريخ الطبري: 2/ 409، السيرة النبوية: 1/ 286. [↑](#footnote-ref-204)
205. ( 2) تاريخ الطبري: 2/ 410، السيرة النبوية: 1/ 269. [↑](#footnote-ref-205)
206. ( 1) السيرة الحلبية: 1/ 303، تاريخ الطبري: 2/ 409. [↑](#footnote-ref-206)
207. ( 1) السيرة النبوية: 1/ 380. [↑](#footnote-ref-207)
208. ( 2) السيرة النبوية: 1/ 313، تاريخ الطبري: 2/ 416. [↑](#footnote-ref-208)
209. ( 3) فصلت( 41): 1- 5. [↑](#footnote-ref-209)
210. ( 1) راجع السيرة النبوية: 1/ 293. [↑](#footnote-ref-210)
211. ( 2) السيرة النبوية: 1/ 289. [↑](#footnote-ref-211)
212. ( 1) السيرة النبوية: 1/ 317- 320. [↑](#footnote-ref-212)
213. ( 1) الحجر( 15): 95. [↑](#footnote-ref-213)
214. ( 2) الأنعام( 6): 10. [↑](#footnote-ref-214)
215. ( 3) الأنفال( 8): 30. [↑](#footnote-ref-215)
216. ( 1) السيرة النبوية: 1/ 321، تاريخ اليعقوبي: 2/ 29، بحار الأنوار: 18/ 412. [↑](#footnote-ref-216)
217. ( 1) السيرة النبوية: 1/ 335، تاريخ اليعقوبي: 2/ 29. [↑](#footnote-ref-217)
218. ( 1) جاء في أعيان الشيعة، ان الصحيفة الظالمة كتبت في غرّة محرم من السنة السابعة للبعثة. [↑](#footnote-ref-218)
219. ( 2) السيرة النبوية: 1/ 350، أعيان الشيعة: 1/ 235. [↑](#footnote-ref-219)
220. ( 1) تاريخ اليعقوبي: 2/ 21، طبقات ابن سعد: 1/ 173، السيرة النبوية: 1/ 377. [↑](#footnote-ref-220)
221. ( 2) السيرة النبوية: 1/ 375، تاريخ الطبري: 2/ 423. [↑](#footnote-ref-221)
222. ( 1) كشف الغمة: 1/ 61، مستدرك الحاكم: 2/ 622، وكاعّة بمعنى وكعّ عنه: إذ اهابه و جبن عنه. [↑](#footnote-ref-222)
223. ( 2) السيرة النبوية: 1/ 416، تاريخ الطبري: 2/ 426. [↑](#footnote-ref-223)
224. ( 1) السير النبوية: 1/ 396. [↑](#footnote-ref-224)
225. ( 1) كان خروجه( صلّى اللّه عليه و اله) إلى الطائف لليال بقين من شوال سنة عشرة من البعثة. [↑](#footnote-ref-225)
226. ( 2) راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 4/ 127 و 14/ 97. [↑](#footnote-ref-226)
227. ( 1) السيرة النبوية: 1/ 420، بحار الانوار: 19/ 6 و 7 و 22، إعلام الورى: 1/ 133. [↑](#footnote-ref-227)
228. ( 2) الطبري: 2/ 426، أنساب الأشراف: 1/ 227، تأريخ اليعقوبي: 2/ 36 السيرة النبوية: 1/ 420. [↑](#footnote-ref-228)
229. ( 3) تاريخ الطبري: 2/ 346، و سيرة ابن هشام: 2/ 63، و الطبقات: 1/ 312. راجع سورة الأحقاف: 29- 31. [↑](#footnote-ref-229)
230. ( 1) السيرة النبوية: 1/ 423، تأريخ الطبري: 2/ 429، أنساب الأشراف: 1/ 237. [↑](#footnote-ref-230)
231. ( 2) السيرة النبوية: 1/ 424، تأريخ الطبري: 2/ 431. [↑](#footnote-ref-231)
232. ( 3) السيرة النبوية: 1/ 423، تاريخ الطبري: 2/ 430. [↑](#footnote-ref-232)
233. ( 1) السيرة النبوية: 1/ 270. [↑](#footnote-ref-233)
234. ( 1) السيرة النبوية: 1/ 428، بحار الأنوار: 19/ 25. [↑](#footnote-ref-234)
235. ( 2) تاريخ اليعقوبي: 2/ 37- 38، السيرة النبوية: 1/ 429، بحار الأنوار: 19/ 23. [↑](#footnote-ref-235)
236. ( 1) السيرة النبوية: 1/ 433، تأريخ الطبري: 2/ 436. [↑](#footnote-ref-236)
237. ( 1) السيرة النبوية: 1/ 438، تأريخ الطبري: 2/ 441، مناقب آل أبي طالب: 1/ 181 [↑](#footnote-ref-237)
238. ( 2) تأريخ الطبري: 2/ 442، السيرة النبوية: 1/ 443، المناقب: 1/ 182. [↑](#footnote-ref-238)
239. ( 3) تفسير القمي: 1/ 272. [↑](#footnote-ref-239)
240. ( 1) الطبقات الكبرى: 1/ 226. [↑](#footnote-ref-240)
241. ( 2) مناقب آل أبي طالب: 1/ 182، السيرة النبوية: 1/ 468. [↑](#footnote-ref-241)
242. ( 1) السيرة النبوية: 1/ 480، الطبقات الكبرى: 1/ 227، تفسير العياشي: 2/ 54. [↑](#footnote-ref-242)
243. ( 2) المناقب: 1/ 182- 183، الأنفال: 8/ 3. [↑](#footnote-ref-243)
244. ( 1) السيرة الحلبية: 2/ 20، مستدرك الحاكم: 3/ 14. [↑](#footnote-ref-244)
245. ( 1) راجع احقاق الحق: 3/ 23- 45 مع تعليقات المرعشي النجفي لتقف على مصادر هذا الحدث التاريخي و موقف علي الرساليّ عند علماء أهل السنة.

     و راجع أيضا: مسند الإمام أحمد: 1/ 331 الطبعة الأولى بمصر، و تفسير الطبري: 9/ 140 الطبعة الميمنية بمصر و مستدرك الحاكم: 3/ 4 طبعة حيدرآباد الدكن. [↑](#footnote-ref-245)
246. ( 1) أعيان الشيعة: 1/ 237. [↑](#footnote-ref-246)
247. ( 2) راجع الكامل في التأريخ: 2/ 106. [↑](#footnote-ref-247)
248. ( 3) البدء و التأريخ: 4/ 176- 177. [↑](#footnote-ref-248)
249. ( 4) وصل النبي( صلّى اللّه عليه و اله) مدينة يثرب في 12 ربيع الأول. [↑](#footnote-ref-249)
250. ( 1) راجع السيرة النبوية: 1/ 494. [↑](#footnote-ref-250)
251. ( 2) ابن خلدون: المقدمة/ 283، و تاج العروس: 2/ 85. [↑](#footnote-ref-251)
252. ( 3) تأريخ الطبري( الامم و الملوك): 2/ 110- 114. [↑](#footnote-ref-252)
253. ( 1) بحار الانوار: 19/ 112، السيرة النبوية: 1/ 496. [↑](#footnote-ref-253)
254. ( 2) السيرة النبوية: 1/ 504. [↑](#footnote-ref-254)
255. گروه مؤلفان، أعلام الهداية - قم، چاپ: دوم، 1425 ه.ق. [↑](#footnote-ref-255)
256. ( 1) السيرة النبوية: 1/ 500. [↑](#footnote-ref-256)
257. ( 1) الكافي: 1/ 83، تهذيب الأحكام: 1/ 215. [↑](#footnote-ref-257)
258. ( 2) البقرة( 2): 144. [↑](#footnote-ref-258)
259. ( 3) راجع مجمع البيان: 1/ 413. [↑](#footnote-ref-259)
260. ( 1) إذ إن مصدرها المالي هو التجارة من خلال حركة القوافل بين مكة و الشام و اليمن. [↑](#footnote-ref-260)
261. ( 1) السيرة النبوية: 1/ 598، المغازي: 1/ 11- 12. [↑](#footnote-ref-261)
262. ( 1) راجع المغازي للواقدي: 1/ 48، السيرة الحلبية: 2/ 160، و بحار الأنوار: 19/ 217. [↑](#footnote-ref-262)
263. ( 2) الانفال( 8): 7- 16. [↑](#footnote-ref-263)
264. ( 3) برك الغماد: موضع وراء مكة مما يلي البحر. [↑](#footnote-ref-264)
265. ( 1) المغازي: 1/ 48- 49. [↑](#footnote-ref-265)
266. ( 2) الانفال( 8): 65. [↑](#footnote-ref-266)
267. ( 3) راجع المغازي: 1/ 50. [↑](#footnote-ref-267)
268. ( 1) المغازي: 1/ 61، بحار الانوار: 19/ 252. [↑](#footnote-ref-268)
269. ( 2) المغازي: 1/ 68. [↑](#footnote-ref-269)
270. ( 3) إعلام الورى: 1/ 169، السيرة النبوية: 1/ 628. [↑](#footnote-ref-270)
271. ( 4) إعلام الورى: 1/ 171، السيرة النبوية: 1/ 638. [↑](#footnote-ref-271)
272. ( 1) المغازي: 1/ 104، السيرة النبوية: 1/ 642. [↑](#footnote-ref-272)
273. ( 2) السيرة النبوية: 1/ 652، البحار: 19/ 348. [↑](#footnote-ref-273)
274. ( 1) الانفال( 8): 9، 11، 12، 42، 44، و آل عمران( 3): 13 و 123 و 127. [↑](#footnote-ref-274)
275. ( 2) الارشاد: 39- 40. [↑](#footnote-ref-275)
276. ( 3) المناقب: 3/ 120. [↑](#footnote-ref-276)
277. ( 1) حياة النبي و سيرته: 1/ 309، نقلا عن المنتقى للكازروني اليماني. [↑](#footnote-ref-277)
278. ( 2) كشف الغمة: 1/ 356- 358. [↑](#footnote-ref-278)
279. ( 3) كشف الغمة: 1/ 359. [↑](#footnote-ref-279)
280. ( 1) كشف الغمة: 1/ 362، مناقب آل أبي طالب: 3/ 355. [↑](#footnote-ref-280)
281. ( 2) المغازي: 1/ 174. [↑](#footnote-ref-281)
282. ( 3) المصدر السابق: 1/ 172. [↑](#footnote-ref-282)
283. ( 4) السيرة النبوية: 2/ 51. [↑](#footnote-ref-283)
284. ( 1) المغازي: 1/ 176. [↑](#footnote-ref-284)
285. ( 1) وقعت معركة أحد في شوال من السنة الثالثة للهجرة. [↑](#footnote-ref-285)
286. ( 1) السيرة النبوية: 2/ 23، المغازي: 1/ 214. [↑](#footnote-ref-286)
287. ( 2) الطبقات لابن سعد: 2/ 39. [↑](#footnote-ref-287)
288. ( 3) الطبري: 3/ 107. [↑](#footnote-ref-288)
289. ( 4) المغازي: 1/ 221. [↑](#footnote-ref-289)
290. ( 1) المغازي: 1/ 237، السيرة النبوية: 2/ 83، شرح نهج البلاغة: 15/ 20. [↑](#footnote-ref-290)
291. ( 2) بحار الأنوار: 20/ 27. و قد وردت آيات القرآن تبين القتال و نوازع المسلمين في سورة آل عمران:

     3/ 121- 180. [↑](#footnote-ref-291)
292. ( 3) تاريخ الطبري: 3/ 117، بحار الأنوار: 20/ 102. [↑](#footnote-ref-292)
293. ( 1) تأريخ الطبري: 3/ 116، مجمع الزوائد: 6/ 114، بحار الأنوار: 20/ 71. [↑](#footnote-ref-293)
294. ( 2) السيرة النبوية: 2/ 94. [↑](#footnote-ref-294)
295. ( 3) السيرة النبوية: 2/ 102، الطبقات الكبرى: 2/ 49. [↑](#footnote-ref-295)
296. ( 1) المغازي: 1/ 340. [↑](#footnote-ref-296)
297. ( 1) السيرة النبوية 3: 193- 195. [↑](#footnote-ref-297)
298. (\*) وقعت هذه الغزوة في شهر ربيع الأول من السنة الرابعة للهجرة. [↑](#footnote-ref-298)
299. ( 2) الطبقات الكبرى: 2/ 57، امتاع الاسماع: 1/ 187. [↑](#footnote-ref-299)
300. ( 1) وصفت سورة الحشر احداث جلاء بني النضير. [↑](#footnote-ref-300)
301. ( 2) الارشاد: 47. [↑](#footnote-ref-301)
302. ( 3) راجع السيرة النبوية: 2/ 204. [↑](#footnote-ref-302)
303. ( 1) السيرة النبوية لابن كثير: 3/ 177، الطبقات الكبرى: 2/ 62. [↑](#footnote-ref-303)
304. ( 1) تاريخ الطبري: 3/ 204، امتاع الاسماع: 1/ 195. [↑](#footnote-ref-304)
305. ( 2) السيرة النبوية: 1/ 290. [↑](#footnote-ref-305)
306. ( 3) امتاع الأسماع: 1/ 202. [↑](#footnote-ref-306)
307. ( 4) راجع السيرة النبوية: 2/ 292. [↑](#footnote-ref-307)
308. ( 1) أسد الغابة: 2/ 235، الاستيعاب مادة: زيد. [↑](#footnote-ref-308)
309. ( 2) الأحزاب( 33): 36. [↑](#footnote-ref-309)
310. ( 1) الأحزاب( 33): 4. [↑](#footnote-ref-310)
311. ( 2) راجع سورة الأحزاب( 33): 37- 40، و راجع تفسير الميزان: 16/ 290، مفاتيح الغيب: 25/ 212، روح المعاني: 22/ 23. [↑](#footnote-ref-311)
312. ( 1) كما ورد في قوله تعالى في الآية: 51 من سورة النساء. [↑](#footnote-ref-312)
313. ( 1) راجع البداية و النهاية لابن كثير: 4/ 96، و المغازي: 1/ 453. [↑](#footnote-ref-313)
314. ( 2) نزلت آيات من القرآن الكريم تفضح السلوك التخاذلي و تدعم مركزية العمل بوجود الرسول القائد( صلّى اللّه عليه و اله). راجع سورة الأحزاب، الآيات: 12- 20. [↑](#footnote-ref-314)
315. ( 3) بحار الأنوار: 20/ 215. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 13/ 283 و 14/ 291- 292 و 19/ 63- 64 و السيرة النبوية: 3/ 281 و راجع مستدرك الحاكم: 3/ 32. [↑](#footnote-ref-315)
316. ( 4) المغازي: 1/ 456، بحار الأنوار: 20/ 222. [↑](#footnote-ref-316)
317. ( 1) راجع المغازي: 2/ 465، 475، 489. [↑](#footnote-ref-317)
318. ( 1) نزلت سورة الأحزاب و فيها تفاصيل ما جرى يوم الخندق. [↑](#footnote-ref-318)
319. ( 2) الطبري: 3/ 179. [↑](#footnote-ref-319)
320. ( 1) السيرة النبوية: 2/ 237. [↑](#footnote-ref-320)
321. ( 2) السيرة النبوية: 2/ 239، الارشاد: 50. [↑](#footnote-ref-321)
322. ( 3) راجع السيرة النبوية: 2/ 240، المغازي: 2/ 510. [↑](#footnote-ref-322)
323. ( 4) السيرة النبوية: 2/ 241. [↑](#footnote-ref-323)
324. ( 1) بحار الأنوار: 20/ 229. [↑](#footnote-ref-324)
325. ( 2) الطبري: 3/ 216. [↑](#footnote-ref-325)
326. ( 3) المغازي: 2/ 598. [↑](#footnote-ref-326)
327. ( 1) تأريخ الطبري: 3/ 223. [↑](#footnote-ref-327)
328. ( 1) السيرة النبوية: 2/ 315. [↑](#footnote-ref-328)
329. ( 1) السيرة الحلبية: 3/ 21. [↑](#footnote-ref-329)
330. ( 2) بحار الأنوار: 20/ 352. [↑](#footnote-ref-330)
331. ( 3) مجمع البيان: 9/ 117. [↑](#footnote-ref-331)
332. ( 4) بحار الأنوار: 20/ 352. [↑](#footnote-ref-332)
333. ( 5) السيرة الحلبية: 3/ 21، السيرة النبوية: 2/ 218، بحار الأنوار: 20/ 252. [↑](#footnote-ref-333)
334. ( 6) راجع سورة الفتح( 48): 1- 7 و 18- 28. [↑](#footnote-ref-334)
335. ( 1) السيرة النبوية: 2/ 606، و الطبقات الكبرى: 1/ 264. [↑](#footnote-ref-335)
336. ( 2) قد عدّ علماء الاسلام ما يقارب من( 185) كتابا و رسالة بعثها رسول اللّه( صلّى اللّه عليه و اله) إلى كل القوى يدعوها إلى الإسلام. راجع: مكاتيب الرسول لعلي بن حسين علي الأحمدي. [↑](#footnote-ref-336)
337. (\*) وقعت هذه الغزوة في شهر جمادى الآخرة من السنة السابعة للهجرة، راجع الطبقات الكبرى: 2/ 77. [↑](#footnote-ref-337)
338. ( 1) الطبقات الكبرى: 2/ 106. [↑](#footnote-ref-338)
339. ( 2) السيرة النبوية: 2/ 337. صحيح مسلم 15/ 176- 177 و فضائل الصحابة: 2/ 603 و مسند الإمام أحمد:

     3/ 384 و المواهب اللدنيّة: 1/ 284، و الاستيعاب: 3/ 203، كنز العمال: 13/ 123. [↑](#footnote-ref-339)
340. ( 1) السيرة النبوية: 2/ 337، المغازي: 2/ 677. [↑](#footnote-ref-340)
341. ( 1) مجمع البيان: 3/ 411، شرح ابن أبي الحديد: 16/ 268، الدر المنثور: 4/ 177. [↑](#footnote-ref-341)
342. ( 2) الطبقات الكبرى: 2/ 108، و السنن الكبرى للبيهقي: 7/ 101، و السيرة النبوية لابن كثير: 3/ 398. [↑](#footnote-ref-342)
343. گروه مؤلفان، أعلام الهداية - قم، چاپ: دوم، 1425 ه.ق. [↑](#footnote-ref-343)
344. ( 1) السيرة النبوية: 2/ 372. [↑](#footnote-ref-344)
345. (\*) وقعت معركة مؤتة في جمادى الاولى من السنة الثامنة للهجرة. [↑](#footnote-ref-345)
346. ( 1) المغازي: 2/ 758، راجع السيرة النبوية: 2/ 374. [↑](#footnote-ref-346)
347. ( 1) السيرة النبوية: 2/ 381. [↑](#footnote-ref-347)
348. ( 2) بحار الأنوار: 21/ 54، المغازي: 2/ 766، السيرة الحلبية: 3/ 68. [↑](#footnote-ref-348)
349. ( 3) تم فتح مكة في شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة. [↑](#footnote-ref-349)
350. ( 1) السيرة النبوية: 3/ 397، المغازي: 2/ 796. [↑](#footnote-ref-350)
351. ( 2) السيرة النبوية: 2/ 398. [↑](#footnote-ref-351)
352. ( 3) امتاع الاسماع: 1/ 363، المغازي: 2/ 798. و يرى بعض المحققين أن هذا الحديث من الموضوعات.

     راجع سيرة المصطفى: 592. [↑](#footnote-ref-352)
353. ( 4) وسائل الشيعة: 7/ 124، السيرة الحلبية: 3/ 290، المغازي: 2/ 802، و صحيح مسلم 3/ 141- 142، كتاب الصيام باب جواز الصوم و الفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية، ط دار الفكر، بيروت. [↑](#footnote-ref-353)
354. ( 1) السيرة النبوية: 3/ 40، مجمع البيان: 10/ 554. [↑](#footnote-ref-354)
355. ( 1) المغازي، للواقدي: 2/ 816، السيرة النبوية: 3/ 47. [↑](#footnote-ref-355)
356. ( 1) مسند أحمد: 1/ 151، فرائد السمطين: 1/ 249، كنز العمّال: 13/ 171، السيرة الحلبية: 3/ 86. [↑](#footnote-ref-356)
357. ( 2) الحجرات( 49): 13. [↑](#footnote-ref-357)
358. ( 3) بحار الأنوار: 21/ 106، و السيرة النبوية: 2/ 412. [↑](#footnote-ref-358)
359. ( 1) بحار الأنوار: 21/ 113، و سورة الممتحنة: الآية 12. [↑](#footnote-ref-359)
360. ( 2) سنن ابن ماجة، الحديث 3109، كنز العمال، الحديث 34682، الدر المنثور: 1/ 122، ط دار الفكر. [↑](#footnote-ref-360)
361. ( 1) السيرة النبوية: 2/ 420، الخصال: 562، أمالي الطوسي: 318. [↑](#footnote-ref-361)
362. ( 2) الطبقات الكبرى: 2/ 148. [↑](#footnote-ref-362)
363. (\*) وقعت معركة حنين فى شوال من السنة الثامنة للهجرة. [↑](#footnote-ref-363)
364. ( 3) الطبقات الكبرى: 2/ 150، المغازي: 2/ 889. [↑](#footnote-ref-364)
365. ( 1) السيرة النبوية: 2/ 443، المغازي: 3/ 99. [↑](#footnote-ref-365)
366. ( 2) نزلت آيات من سورة التوبة و هي توضح تأييد اللّه و نصره، و تلوم من اعتمد العدة و العدد و اعتبارهما سببا للنصر. [↑](#footnote-ref-366)
367. ( 1) امتاع الاسماع: 1/ 409. [↑](#footnote-ref-367)
368. ( 2) سيد المرسلين: 2/ 53، المغازي: 3/ 949- 953. [↑](#footnote-ref-368)
369. ( 3) المغازي: 3/ 954- 955. [↑](#footnote-ref-369)
370. ( 1) السيرة النبوية: 2/ 496، و راجع المغازي: 3/ 948. [↑](#footnote-ref-370)
371. ( 1) السيرة النبوية: 2/ 498، المغازي: 3/ 957. [↑](#footnote-ref-371)
372. (\*) كانت غزوة تبوك في رجب سنة( 9) من الهجرة. [↑](#footnote-ref-372)
373. ( 1) الإرشاد للمفيد 1/ 115، أنساب الأشراف: 1/ 94- 95، كنز العمّال ج 11/ باب فضائل علي( عليه السّلام). [↑](#footnote-ref-373)
374. ( 1) امتاع الأسماع: 1/ 449، صحيح البخاري: 3/ 1359 الحديث 3503، صحيح مسلم: 5/ 23 الحديث 2404، سنن ابن ماجة: 1/ 42 الحديث 115، مسند أحمد: 1/ 284 الحديث 1508. [↑](#footnote-ref-374)
375. ( 2) السيرة النبوية: 2/ 521، السيرة الحلبية: 3/ 134. [↑](#footnote-ref-375)
376. ( 3) المغازي: 3/ 1019. [↑](#footnote-ref-376)
377. ( 1) الطبقات الكبرى: 2/ 166، بحار الأنوار: 21/ 246. [↑](#footnote-ref-377)
378. ( 2) المغازي: 3/ 1042، مجمع البيان: 3/ 46، بحار الأنوار: 21/ 247. [↑](#footnote-ref-378)
379. ( 1) السيرة النبوية: 20/ 530، بحار الأنوار: 20/ 253. [↑](#footnote-ref-379)
380. ( 2) السيرة النبوية لابن هشام: ذكر سنة تسع و تسميتها سنة الوفود. [↑](#footnote-ref-380)
381. ( 1) السيرة النبوية: 2/ 537، السيرة الحلبية: 3/ 216. [↑](#footnote-ref-381)
382. ( 2) السيرة الحلبية: 3/ 311، بحار الأنوار: 22/ 157. [↑](#footnote-ref-382)
383. ( 1) السيرة الحلبية: 3/ 311. [↑](#footnote-ref-383)
384. ( 2) بحار الانوار: 22/ 151. [↑](#footnote-ref-384)
385. ( 3) تاريخ اليعقوبي: 2/ 87. [↑](#footnote-ref-385)
386. ( 1) العاشر من ذي الحجة عام( 9 ه). [↑](#footnote-ref-386)
387. ( 2) التوبة( 9): 1- 13. [↑](#footnote-ref-387)
388. ( 1) الكافي: 1/ 326، الارشاد: 37، الواقدي: 3/ 1077، خصائص النسائي: 20، صحيح الترمذي: 2/ 183، مسند أحمد: 3/ 283، فضائل الخمسة من الصحاح الستة: 2/ 343. [↑](#footnote-ref-388)
389. ( 2) السيرة الحلبية: 3/ 211، السيرة النبوية: 1/ 574. [↑](#footnote-ref-389)
390. ( 1) آل عمران( 3): 61. [↑](#footnote-ref-390)
391. ( 2) التفسير الكبير( للرازي): 8/ 85. [↑](#footnote-ref-391)
392. ( 3) الطبقات الكبرى: 1/ 357. [↑](#footnote-ref-392)
393. ( 1) بحار الأنوار: 21/ 319. [↑](#footnote-ref-393)
394. ( 2) السيرة النبوية: 2/ 603، بحار الأنوار: 21/ 385. [↑](#footnote-ref-394)
395. ( 1) بحار الأنوار: 21/ 405. [↑](#footnote-ref-395)
396. ( 2) العقد الفريد: 4/ 57، الطبقات الكبرى: 2/ 184، الخصال: ص 487، بحار الأنوار: 21/ 405، و قد ورد النص في مصادر السيرة و التأريخ مع اختلاف بالزيادة و النقصان. [↑](#footnote-ref-396)
397. ( 3) للمزيد من التفصيل راجع موسوعة الغدير للعلّامة الأميني الجزء الأوّل. [↑](#footnote-ref-397)
398. ( 1) المائدة( 5): 67. [↑](#footnote-ref-398)
399. ( 1) المائدة( 5): 3. [↑](#footnote-ref-399)
400. ( 2) راجع تأريخ اليعقوبي: 3/ 112، و مسند أحمد: 4/ 281، البداية و النهاية: 5/ 213، و موسوعة الغدير:

     1/ 43، 165، 196، 215، 230، 238، 276، 283، 285، 297، 379، 392، 402، و الجزء: 11/ 131. [↑](#footnote-ref-400)
401. ( 1) السيرة النبوية: 2/ 600. [↑](#footnote-ref-401)
402. (\*) عقد النبي( صلّى اللّه عليه و اله) اللواء لاسامة في صفر عام( 11 ه). [↑](#footnote-ref-402)
403. ( 1) بمعنى أنهما ممن يتفرّس فيهما كل خير. و الخوليّ: هو الراعي الحسن القيام على المال. [↑](#footnote-ref-403)
404. ( 2) الطبقات الكبرى: 2/ 190، ط دار الفكر. [↑](#footnote-ref-404)
405. ( 3) المصدر السابق. [↑](#footnote-ref-405)
406. ( 4) الملل و النحل: 1/ 23. [↑](#footnote-ref-406)
407. ( 1) السيرة النبوية: 2/ 954، الطبقات الكبرى: 2/ 215. [↑](#footnote-ref-407)
408. ( 2) صحيح البخاري كتاب العلم باب كتابة العلم و كتاب الجهاد باب جوائز الوفد. [↑](#footnote-ref-408)
409. ( 1) الطبقات الكبرى: 2/ 244، كنز العمال: 3/ 138. [↑](#footnote-ref-409)
410. ( 2) صحيح البخاري كتاب العلم: 1/ 22 و 2/ 14، الملل و النحل: 1/ 22، الطبقات الكبرى: 2/ 244. [↑](#footnote-ref-410)
411. ( 3) بحار الانوار: 22/ 469. [↑](#footnote-ref-411)
412. ( 4) أعيان الشيعة: 1/ 294. راجع صحيح البخاري: باب مرض النبي( صلّى اللّه عليه و اله). [↑](#footnote-ref-412)
413. ( 1) آل عمران( 3): 144. [↑](#footnote-ref-413)
414. ( 2) الطبقات الكبرى: 2/ 247، الكامل في التأريخ: 2/ 219. [↑](#footnote-ref-414)
415. ( 1) الطبقات الكبرى: 2/ 263. [↑](#footnote-ref-415)
416. ( 2) نهج البلاغة: خطبة 197. [↑](#footnote-ref-416)
417. ( 3) الكامل في التأريخ: 2/ 323، الطبقات الكبرى: 2/ 266، السيرة النبوية لزيني دحلان: 2/ 306. [↑](#footnote-ref-417)
418. ( 1) الطبقات الكبرى: 2/ القسم الثاني: 53- 56. [↑](#footnote-ref-418)
419. ( 2) السيرة النبوية لابن كثير: 4/ 518. [↑](#footnote-ref-419)
420. ( 3) الارشاد: 1/ 187 و اعيان الشيعة: 1/ 295. [↑](#footnote-ref-420)
421. ( 1) الطبقات الكبرى: 2/ 291. [↑](#footnote-ref-421)
422. ( 1) تجد هذا البحث في سيرة النبي( صلّى اللّه عليه و اله) للسيد محسن الأمين العاملي في كتابه أعيان الشيعة. [↑](#footnote-ref-422)
423. ( 1) النحل( 16): 125. [↑](#footnote-ref-423)
424. ( 1) الجمعة( 62): 2. [↑](#footnote-ref-424)
425. ( 1) الفرقان( 25): 5. [↑](#footnote-ref-425)
426. ( 2) الكافي: 1/ 62- 63 كتاب فضل العلم، باب اختلاف الحديث. [↑](#footnote-ref-426)
427. ( 1) البقرة( 2): 120. [↑](#footnote-ref-427)
428. ( 2) النحل( 16): 44، و الاحزاب( 33): 21 و الحشر( 59): 7. [↑](#footnote-ref-428)
429. ( 1) بصائر الدرجات: 198 و الكافي: 1/ 62- 63. [↑](#footnote-ref-429)
430. ( 2) تاريخ التشريع الاسلامي: 31. [↑](#footnote-ref-430)
431. ( 1) تاريخ التشريع الإسلامي: 32. [↑](#footnote-ref-431)
432. ( 2) المصدر السابق: 33. [↑](#footnote-ref-432)
433. ( 1) الكافي: 1/ 48. [↑](#footnote-ref-433)
434. ( 1) راجع تمام الحديث في تحف العقول، باب مواعظ النبي و حكمه. و روي أنّ شمعون بن لاوي المسيحي دخل على رسول اللّه و ناقشه طويلا ثم اعتنق الإسلام فقال: أخبرني عن العقل ما هو؟ و كيف هو؟ و ما يتشعب منه و ما لا يتشعب، وصفه وصف لي طوائفه كلها، فقال الرسول: ... ان العقل عقال من الجهل ...

     راجع أيضا كلمة الرسول الأعظم: 91. [↑](#footnote-ref-434)
435. ( 1) بحار الأنوار: 1/ 171 طبعة مؤسسة الوفاء، و راجع تحف العقول: 28 طبعة مؤسسة النشر الاسلامي. [↑](#footnote-ref-435)
436. ( 2) أعيان الشيعة: 2/ 226، تاريخ اليعقوبي: 2/ 101- 102. [↑](#footnote-ref-436)
437. ( 1) تفسير العياشي: 1/ 2- 3، كنز العمّال: 2/ 288، الحديث 4027. [↑](#footnote-ref-437)
438. ( 2) آل عمران( 3): 103. [↑](#footnote-ref-438)
439. ( 1) آخر خطبة لرسول اللّه( صلّى اللّه عليه و اله). راجع بحار الأنوار: 22/ 484- 487. [↑](#footnote-ref-439)
440. ( 1) بحار الانوار: 2/ 94، الكفاية، أبو المفضل الشيباني عن أحمد بن مطوق بن سوار عن المغيرة بن محمد ابن المهلب عن عبد الغفار بن كثير عن ابراهيم بن حميد عن أبي هاشم عن مجاهد عن ابن عباس قال: قدم يهودي على رسول اللّه( صلّى اللّه عليه و اله)، يقال له: نعثل. فقال: يا محمد إني أسألك عن أشياء تلجلج في صدري منذ حين، فإن أنت أجبتني عنها، أسلمت على يدك. قال: سل يا أبا عمارة! فقال: يا محمد صف لي ربك. فقال: ... [↑](#footnote-ref-440)
441. ( 2) كلمة الرسول الأعظم: 30. [↑](#footnote-ref-441)
442. ( 1) كلمة الرسول الأعظم: 31. [↑](#footnote-ref-442)
443. ( 2) بحار الأنوار: 77/ 140. [↑](#footnote-ref-443)
444. ( 3) المصدر السابق: 16/ 324. [↑](#footnote-ref-444)
445. ( 4) كلمة الرسول الأعظم: 35. راجع بحار الأنوار: 16/ 323. [↑](#footnote-ref-445)
446. گروه مؤلفان، أعلام الهداية - قم، چاپ: دوم، 1425 ه.ق. [↑](#footnote-ref-446)
447. ( 1) بحار الأنوار: 1/ 184. [↑](#footnote-ref-447)
448. ( 2) مجمع البيان: 3/ 534، روى أبو أيوب الأنصاري أن النبي( صلّى اللّه عليه و اله) قال لعمار بن ياسر: ... [↑](#footnote-ref-448)
449. ( 3) المصدر السابق: 3/ 534، عن كتاب شواهد التنزيل للحاكم أبي القاسم الحسكاني عن أبي الحمد مهدي ابن نزار الحسني حدثني محمد بن القاسم بن أحمد عن أبي سعيد محمد بن الفضيل بن محمد عن محمد بن صالح العرزمي عن عبد الرحمن بن أبي حاتم عن أبي سعيد الأشج عن أبي خلف الأحمر عن إبراهيم بن طهمان عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية« و اتقوا فتنة»: قال النبي( صلّى اللّه عليه و اله): ... [↑](#footnote-ref-449)
450. ( 1) الإرشاد: 1/ 165، قاله لأمير المؤمنين، بعد ما فتح اللّه على يديه في غزوة ذات السلاسل. [↑](#footnote-ref-450)
451. ( 2) كفاية الأثر: 166، أبو المفضل الشيباني عن أحمد بن عامر بن سليمان الطائي عن محمد بن عمران الكوفي عن عبد الرحمن بن أبي نجران عن صفوان بن يحيى عن إسحاق بن عمار عن جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن أخيه الحسن ابن علي( عليهم السّلام)، قال: قال رسول اللّه( صلّى اللّه عليه و اله): ... [↑](#footnote-ref-451)
452. ( 1) كفاية الأثر: 195- 196، عن الحسين بن علي، عن هارون بن موسى عن محمد بن إسماعيل الفزاري، عن عبد اللّه بن الصالح كاتب الليث، عن رشد بن سعد، عن الحسين بن يوسف الأنصاري، عن سهل بن سعد الأنصاري قال: سئلت فاطمة بنت رسول اللّه( صلّى اللّه عليه و اله) عن الائمة فقالت: كان رسول اللّه( صلّى اللّه عليه و اله) يقول لعلي: ... و روى نصّين آخرين عن جابر الأنصاري فراجع. [↑](#footnote-ref-452)
453. ( 2) راجع مسند أحمد: 3/ 425، الحديث 10920. [↑](#footnote-ref-453)
454. ( 3) ينابيع المودّة: 440. [↑](#footnote-ref-454)
455. ( 4) المصدر السابق: 430 عن أبي داود في صحيحه: 4/ 87. [↑](#footnote-ref-455)
456. ( 1) البيان في أخبار صاحب الزمان للحافظ أبي عبد اللّه محمد بن يوسف بن محمد النوفلي: 129. [↑](#footnote-ref-456)
457. ( 2) تراجع هذه النصوص و غيرها في أعيان الشيعة: 1/ 303- 306. [↑](#footnote-ref-457)
458. ( 1) أعيان الشيعة: 1/ 306. [↑](#footnote-ref-458)
459. گروه مؤلفان، أعلام الهداية - قم، چاپ: دوم، 1425 ه.ق. [↑](#footnote-ref-459)